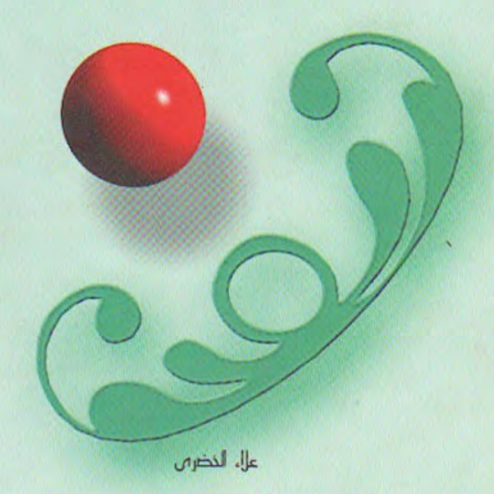


ديوان ابن الوردي

للشيخ العلّامة الأديب الألمعيّ

زين الدين أبي حفص عمر بن مظفّر بن عمر الورديّ الشافعيّ

(٦٩١ - ٧٤٩هـ)



علاء الخضري

تحقيق

الأستاذ الدكتور: عبد الحميد هنداوي



بۆدابەزاندنی جۆرەها کتێب:سەردانی: (مُنتَدى إقْرَأ الثَقافِي)

لتحميل انواع الكتب راجع: (مُنتَدى إقْرَأ الثَقافِي)

براي دانلود كتابهاى مختلف مراجعه: (منتدى اقرأ الثقافي)

www. Iqra.ahlamontada.com



www.iqra.ahlamontada.com

للكتب (كوردى ,عربي ,فارسي)


ديوان ابن الوردي

ديوان ابن الوردي

للشيخ العلامة الأديب الألمعي

زين الدين أبو حفص عمر بن مظفر بن عمر الوردي الشافعي

(٦٩١ - ٧٤٩هـ)

تحقيق

الأستاذ الدكتور: عبد الحميد هنداوي

الأستاذ بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة



اسم الكتاب : ديوان ابن الوردي
اسم المؤلف : زين الدين أبو حفص عمر بن مظفر الوردي الشافعي
اسم المحقق : د. عبد الحميد هنداوي

رقم الإيــــداع : ٥٧٦٥ / ٢٠٠٦
الترقيم الدولى : ISBN : 977 - 344 - 142 - 3

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

دار الآفاق العربية
نشر - توزيع - طباعة
٥٥ ش محمود طلعت - من ش الطيران
مدينة نصر - القاهرة
تليفون : ٢٦١٧٢٣٩ - تليفاكس : ٢٦١٠١٦٤
e-mail: daralafk@yahoo.com



بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الديوان

الحمـــد لله خالق الإنسان، ومكون الأكوان، ومعلم البيان، وأصلي وأسلم على أفصح الخلق لسانًا، وأحسنهم بيانًا محمد وعلى آله وصحبه إقرارًا وعرفانًا.

وبعد؛ فإن الناظر في هذا الديوان يجد أنه أمام بحر زاخر تتلاطم أمواجه، وتقذف بالجواهـــر واللآلئ، فما بين مقامة شريفة، وحكمة لطيفة، ومدح عفيف، وفخر منيف، ورثاء شريف، وهجاء ظريف، ومثل طريف، ووصف يعاينه الكفيف.

كـــلُّ ذلك بلفظ قد سهل في جزالة، ورقّ في فخامة، قد نادى بنداوته، وصاح بفـــصاحته، وبان بيانه، وبلغ القلوب ببلاغته، يصور دقيق المعاني، ولطيف الفكر، ويرسم ببديعه أجمل الصور.

وفي الحقـــيقة لا يسعفني البيان بتصوير حقيقة البستان، فمهما صورت لك ما فيه مـــن زهـــر منمق، وأيك مزوق، فلن أستطيع نقل الصورة على ما هي عليه من الإبداع والجمـــال، فـــدونك بستان الورد في شعر ابن الوردي فنـــزّه فيه الطرف، وتنشق الشذا والعرف، لتعرف حقيقة الوصف، وأنه دولا واحد من ألف.

إن المطلـــع على ديوان هذا الأديب البارع يجد نفسه أمام رجل أديب ناقد لبيب بارع، فطن فقيه ديّن ذي اعتقاد حسن، آخذ بحظه من جميع العلوم.

فديوانه لا يخلو من النظرات البلاغية والنقدية الدالة على حسّ أدبي نقدي، وذوق مرهف.

وشـــعره دالّ على اتساع في مختلف العلوم العربية والدينية من نحو وصرف وفقه ولغة وعروض وإملاء ومعان وبيان وبديع ومنطق وتوحيد وكلام وحساب وجبر وهندسة وبلدان، ومن عجب تجده على حسن اعتقاده وزهده وعفته آخذًا في جميع المعاني، ضاربًا في كلّ منها بسهم.

ومـــا يـــدل على حســـن اعتـــقاده أنه على تصـــوفه وثنائه على أهل الطريقة مـــنهم، فإنه ينكر عليهم زيارة المشاهد، وما يأتون عندها من البدع والمنكرات، والوقوع

في الشرك والضلالات.

ويشهد لحسن اعتقاده وسلفيته وسنّية مذهبه رثاؤه لشيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– وإحسان الثناء عليه، وانتصاره له، وحملته على مناوئيه غير هيّاب لبطشهم ولا سلطانهم، منكرًا عليهم سجنهم له حتى لقى ربّه، وذلك في مرثيّة له من أروع قصائده.

ومما يشهد لحسن سلوكه واعتقاده كذلك اعتذاره في صدر ديوانه عمّا أورد فيه من وصف عذار الحبيب وخدّه، ونعت ردفه وقدّه.. إلخ، مبينًا أنه إنما أورد ذلك على وجه امتحان القريحة؛ أي على سبيل التدرب ومزاولة البراعة والبيان لا أكثر، ومحبة في إيراد المعاني المبتكرة، واللمع المليحة.

فيقول في صدر كتابه: "وقد يقف الناظر في مجموعي هذا على وصف عذار الحبيب وخده، ونعت ردفه وقده، وشكوى عشقه وصده، وذم الشيء وحمده، ومدح الشخص لرفده، وجزر القول ومده، فيظن لذلك بي الظنون، غافلاً عن قوله تعالى: ﴿**وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ**﴾، وإني إنما قلت ذلك على وجه امتحان القريحة، ومحبَّة في المعاني المبتكرة واللمع المليحة".

وسواء قبل الناظر عذره أم لم يقبل، فاعتذاره يدل على تحرّجه وصلاح دينه.

هذا، وقد جمع ابن الوردي في شعره ونثره فنون البلاغة من المعاني والبيان والبديع في الغالب الأعم، وأكثر إكثارًا عظيمًا من السجع والجناس والمشاكلة والمطابقة والمقابلة والاقتباس والتضمين من القرآن الكريم والحديث الشريف وروائع الشعر والنثر، كما غلب على شعره استخدام التورية وحسن التعليل اللذين أحسن التصرف فيهما تصرفًا عظيمًا، وقد أشرت إلى ذلك في تعليقي على كثير من أبياته في هذا الديوان.

أما عن عملنا في هذا الديوان:

فلم نأل جهدًا في ضبط ألفاظه، وتحرير أصله، وبيان فروق النسخ بين نسخه المطبوعة المتداولة، لما في ذلك من فائدة يعرفها أهل العلم بهذه الصناعة.

كما نبهنا على بعض أخطاء نسخه، وأهملنا ذلك في الغالب واكتفينا بإثبات النص على الصحة والصواب.

وقـــد تم تصحيحه وتدقيقه على النسخة المطبوعة بالمكتبة الكمالية، وقد كتب في آخرها:

انتهت مجموعة الرسائل الكمالية رقم ١١.

يقـــول الفقير لفضل مولاه المتعال، محمد سعيد بن حسن عبد الحي كمال: الحمد لله الـــواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

أما بعد، فقد تم بحمد الله تعالى وحسن توفيقه طبع هذا المجموع القيم المشتمل على:

١-لامية العرب للشَنْفَرىَ.

٢-شرح هذه اللامية المسمى "أعجب العجب في شرح لامية العرب" لعلامة زمانه في علم العربية محمود بن عمر الزمخشري.

٣-المقـــصورة الدريديـــة مع شرحها لعلامة زمانه أبي بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي.

٤-قصيدة المقصور والممدود المنسوبة لابن دريد.

٥-ديـــوان ورســـائل الـــشيخ العلامة زين الدين أبي حفص عمر بن مظفر بن عمر المشهور بابن الوردي.

٦-ديـــوان الـــسيد الشريف أبي الحسن إسماعيل بن سعد بن إسماعيل الوهبي الحسيني المصري الشافعي المعروف بالخشاب.

وكـــان صـــاحب مطبعة الجوائب طبع هذه المجموعة سنة ١٣٠٠هـــ، الطبعة الأولى بالقـــسطنطينية وإنـــي إذ أعيد طبعها اليوم بعد مائة عام تقريبًا سنة ١٣٩٩هـــ بالقاهرة، أشكر الله عز وجل على أن وفقني للقيام بطبعها مساهمة في نشر العلم وقيامًا بواجب نشر المعرفة والله أسأل أن يجعل عملي خالصًا لوجهه الكريم، إنه نعم المولى ونعم النصير.

مكتبة المعارف محمد سعيد بن حسن عبدالحي كمال الطائف- شارع الكمال ١/١/ ١٣٩٩هـ

كمـا اسـتعنا في مراجعة بعض ألفاظه بمخطوطتي ديوان ابن الوردي، ومقاماته بمعهد المخطوطات رقم ١٦٩٦، ٧٨٩ أدب.

ولمـا كانـت أغلب ألفاظه سهلة متداولة على ألسنة الشعراء، فلم نكثر بشرح الألفاظ والكلمات إلا ما ظهرت صعوبته، وأشكل معناه.

كما صدّرنا الديوان بهذه المقدمة التي ذيلناها بترجمة للشاعر.

والله نـسأل أن ينفع بهذا الديوان، وبما فيه من القيم والحكم والأدب، وأن يزيد محبيّ العربية حبًّا، والمقصر في طلبها طلبًا.

كما نسأله سبحانه أن يجزل لنا المثوبة في العناية به، وأن يصلح القصد والنية وأن يجـزي كلّ من ساهم في إخراجه خير الجزاء، إنه سبحانه خير مسئول وخير مأمول، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وكتب

عبد الحميد هنداوي

الجيزة في شوال ١٤٢٦هـ

الورقة الأولى من مقامات ابن الوردي وشعره

٧٨٩ أدب

والخلل ولقد صدقت خبر جهين وصدقت [illegible]

خبرك وخبرك وخاب شرك وسرك أطلالا للخمر ونهيه للمنكر

وازدكاما للمآثر حتى على سفر فقلت بأبي أنت وأمي أوصل الخبر إلي

فمن فقال لقد أفتى المفتون أن مشاهد المشاهد مفتون وها قد

جردت من دار العدل المعمور لأعيب حاضري المشاهد وأزري على زائري

القبور شعر

وأصدهم عن بدعة عظمت خطى على السما

وأردهم عن خطة ألفت وألفى الخطا

قلت أيها الأمير الجليل هل أبدى لهذا التحريم دليل فقال قد

ذكر لذلك أدلة تدع حاضري أهلها أذلة منها شد رحالهم إلى غير

المساجد الثلاثة ومشاركتهم أهل الكتاب في الأعياد والجماعة

وتشبههم بالمجوس في إضرام النار وإضاعة المال الذي منها في

الأحجار واختلاط النساء بالرجال وركوب الأخطار والأوجال

هو هو من العبادات والجماعات وإقبالهم على اللعب والسماعات ومحاكاتهم

الجاهلية في أسواقها وأحداث الحدثات العشرة في الشريعة ما ليس

الورقة الوسطى من مقامات ابن الوردي وشعره

٧٨٩ أدب

له الصبح متنفس الصعدا وحتى انفلق له الفجر زهرا وتكهما حتى
اظهر الله تعالى انه من النصارى الضالين الجبارى فصدوا به
الجامع والمشاهد ومدارس العلم والمساجد لاهل دمشق بانها لاهل
بلاد الاسلام بمزمتها بمكاتبات من ملوك الفرنج واشباههم
ليطفئوا نور الله بافواههم وجهزوا لهم من البحر سكاكين مسموما
ينحروا بها الذبائح للمسلمين في ايام معلومات وحرضوهم على حريق
الجرمين عنادا وكفرا وضمن لهم المحترقون بذلك الجنة وآكل الحر
فعل من يعبد ما صوره بيده في الحائط ويصلي ملطخا بالبول والغائط
فغيبهم الله عن صوابهم وجنبوا جنابا وكان جناب الدهر عن
جنابهم فنهبت من تغيب عن لقيهم وقال الاسرموا النصارى بعد
التهم وخوف من انتصار ملوك البحر لاهل دينهم وجعل من خدم
شارما لاعينهم فانشد بعض الفضلا بيت ابي العلا **شعر**

اعباد المسيح يخاف صحبي ونحن عبيد من خلق المسيحا

فما كان الان باب الشام اخذته الغيرة للدين والاحتشام
واشتكت منهم اهل الرتبة وفرزهم فافرزوا بعضا صيل هذه الهيبة فلحدهم

الورقة الأخيرة من مقامات ابن الوردي وشعره

٧٨٩ أدب

المكتبة ١٢٩٠١ أدب — [illegible] — رقم

رقم التصوير ٧٨/٦٩

اسم الكتاب المقامة [illegible] والمقامة [illegible]

اسم المؤلف زين الدين ابن الوردي

تاريخ النسخ بالقرن الثامن

عدد الأوراق —

الملاحظات

جامعة الدول العربية
معهد إحياء المخطوطات

آخر النسخة

تم تصويرها بدار الكتب المصرية
في يوم الجمعة ٢٦ من ربيع الثاني سنة ١٣٨٧ هـ
الموافق ٧ من [illegible] سنة ١٩٦٧ م

تقرير موجز عن فنون البديع
في شعر ابن الوردي ونثره

إن المطلع على شعر ابن الوردي ونثره يجد أنه يطوف في بستان تجتمع فيه شتى فنون البلاغة لاسيما المعنية بالتصوير والتزيين كالصور البيانية والفنون البديعية.

فالسجع يعد سمة ظاهرة في مقاماته ورسائله كقوله:

-من سالمه الناس وسالمهم استغنى عن الهجاء والقدح

- وثارت النار لأخذ الثار.

وكما يشيع السجع في نثره يشيع الجناس في شعره فمن أمثلته في الشعر لديه قوله:

السكْرُ كلُّ السكرِ في كاساتِه ... والسرُّ كلُّ السرِّ في إبريقِه

رَفَعَ الكلَّ عنِ الكلِّ وَمَنْ ... كَلَّ في الدنيا تحامى كُلَّ كُلْ

لو تقنَّعتُ أتى رزقي على ... رغمِهِ لكنْ خُلقنا مِنْ عجلْ

صارَ الرباطُ كاسمِه ... والخانقاهُ خانقَة

قَدْ حمى[1] المولى حماةَ بفضله ... فدمشقُ تحسدُها على تمكينها

ساقٍ يسوقُ إلى السياق محبةً ... ويرى شفاءَ حريقِه برحيقِه[2]

ودارِهِمْ في دارِهِمْ وحيِّهم ... في حيِّهم وأَرْضِهم في أرضِهِمْ

- ومن الجناس لديه في النثر :

- القصور من القصور.

-وأعلاها على أعلاها.

-ويمد لهم خِوانًا، يجمع فساقًا وخُوّانًا.

-فوا أسفاه على منبج من مدينة جليلة، أصبحت دمنة وكانت الألسن عن وصفها كليلة[3].

---

(١) فيه جناس بديع بين حمى وحماة.

(٢) فيه جناس ظاهر وهو كثير في كلام المصنف.

(٣) فيه مشاكلة وتورية بكليلة ودمنة وليس هو المراد.

ومن الفنون الأثيرة لديه كذلك فن التورية ، فمن أمثلته لديه:

وإنّ في عمرٍ عدلاً ومعرفةً فكيفَ يُصْرَفُ عن هذا بلا سببِ

-وإذ قد أصغيتم لبياني، فسآتي بالبديع في شرح هذه المعاني.

-وسيوف بحوثه ماضية فهي على الفتح تبنى.

-موالاة يمتنع صرفها لاجتماع العدل والمعرفة.

- لا جرم شمر السيف وصقل قفاه، وسقي ماء حميمًا فقطع معاه، يا غراب البين، ويا عدة الحين، ويا معتل العين.

-حتى كاد يحصل منه الياس.

-فلولا أن هذا الشاب أسد لما قدر على السبع.

- فهي أم أربعة وأربعين.

-وينهى بعد دعائه المبني على الفتح، وثنائه المنصوب على المدح، وشوقه الذي ارتفع فاعله، وتوقه الذي لا يكف ولا يلغي عامله.

- فما أحق هذا الجبر بمقابلة الثناء عليه، وأن يمد المملوك لهاتين اليدين يديه، ومن كرامات مولانا أنه أصبح جابرًا بكاسرين.

- ويجمل نظراءه ببقائه فقد سبقهم أبو بكر بشيء وقر في صدره[1].

- من أمثلة التورية بمصطلحات علمي النحو والصرف

-يا سائلي عن الكلام المنتظمْ ذاكَ كلامُ مَنْ هويتُ لا عُدمْ

-فكلُّ ما يقولُ فيهِ العذّل فإنّهُ منكَّرٌ يا رجلُ

-في صدغهِ للحسْنِ آياتٌ تُخَطّ وقالَ قومٌ إنها اللامُ فقطْ

-رمّانُهُ غضٌّ فلا يمشي فرطْ إذْ ألفُ الوصلِ متى يدرجْ سقطْ

-صَرَفْتَهم عنْ ربعها إذْ أضفْتَهُمْ إلى الذلِّ والمصروفُ يدخلُهُ الكسرُ

---

(١) واضح أن الإجازة بكتاب "بهجة الحاوي" وهو كتاب فقهي فلذا اشتملت على التورية بكثير من مسائل الفقه وأبوابه وكتبه.

وكذلك حسن التعليل:

ومن أمثلته لديه:

-وإنْ يتكدّروا يوماً فَعُذْراً فإنَّ القومَ منْ ماءٍ وطينِ

-فما زادوا الصديقَ على سلامٍ لهذا سُمِّيَتْ دارَ السلامِ

-إذْ كلُّ ذي مخلبٍ ونابٍ يعدو به لا يحلُّ أكلُهْ

وكذلك الطباق كما في قوله:

وخلَتْ قلوبُ قصورِها فاستضحكتْ إذْ عاشَ شاكرُها وماتَ كفورُها

-فما أحق هذا الجبر بمقابلة الثناء عليه، وأن يمد المملوك لهاتين اليدين يديه، ومن كرامات مولانا أنه أصبح جابرًا بكاسرين.

وكذلك القلب كما في قوله:

- وزريت بقصور مادحيها، وتمثلت بمادحي قصورها، وزرت قبور صالحيها، وتوسلت بصالحي قبورها[١].

-وكذلك المشاكلة كما في قوله:

فوا أسفاه على منبج من مدينة جليلة، أصبحت دمنة[٢] وكانت الألسن عن وصفها كليلة[٢].

كما يكثر لديه الاقتباس والتضمين من القرآن الكريم والحديث والشعر:

فمن أمثلته في القرآن:

- فكيف الخلاص، ولات حين مناص.

- وتلوت يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب.

- ففهمناها سليمان.

- وكلفتني شططًا فقلت ستجدني إن شاء الله صابرًا ولا أعصي لك أمرًا.

---

(١) التوسل بالمقبورين بدعة مخالفة للعقيدة الصحيحة، وفي الجمل السابقة نوع من القلب وهو من فنون البديع.

(٢) فيه مشاكلة وتورية بكليلة ودمنة وليس هو المراد.

- فأشفق الناس مـــن مس سقر. —وقد أويت من دمشق إلى ربوة ذات قرار ومعين.

- ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخًا. —ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا.

—وتنبهت عينه لمصر فإذا هم بالساهرة. —بل مكر الليل والنهار.

ومن أمثلته في الحديث: وارحموا عزيز قوم ذل.

ومن أمثلته في الشعر:

—قفـــا نبكِ مِنْ ذكرى حبيبٍ ومنزلِ لقـــد هـــزلَتْ حـــتى بدا مِن هزالِها

—علـــى أريحـــيٌّ مـــذْ سمعتُ بذكرهِ أُغالـــبُ فيهِ الشوقَ والشوقُ أَغلَبُ[1]

—زلـــزلةٌ قـــدْ وقعـــتْ في العقـــبهْ ترضـــى مـــن اللحـــمِ بعظمِ الرقبهْ[2]

—بـــسمَتْ فأعجـــبني تبـــسُّم ثغرِها فلـــثمتُ فاهـــا آخـــذاً بقـــرونِها[3]

—يا برقُ قلْ لي ويا سطرَ السحابِ ترى الـــسيف أصـــدقُ أنباءً أمِ الكتبُ[4]

—كَمْ كسَّرتْ أصلَ تفاحٍ وكم حَطَمَتْ ورداً وعـــضت علـــى العنَّاب بالبرد

—اللّـــهُ قـــدَّرَ رحلـــتي عـــن ربعِها يـــا قلـــبُ لا تملـــكْ أســـى وتجمَّلِ

وبعد فإن المطلع على ديوان ابن الوردي إنما ينـــزه طرفه في رياض مزهرة تجتمع فيها ضروب من الوشي وحلل من الزخرف البديع والبيان الرائق الينيع، فدونك هذا الديوان، فانشق عبيره وأريجه ومتع طرفك ببديع تصويريه وبديعه.

---

(١) تضمين لمطلع قصيدة مشهورة للمتنبي.

(٢) ضمن بيت الراجز:

أُمُّ الحُلَيسِ لَعَجُوزٌ شَهْرَبَهْ تَرضَى مِنَ اللَحْمِ بَعَظْمِ الرَقَبَهْ.

وأراد الراجز قلة أكلها، وأراد المصنف هنا أنها مهلكة حيث تأخذ بالرّقاب، ومن ثم فقد جمع إلى التضمين تلك الكناية البديعة.

(٣) ضمن بيته شطر البيت المشهور:

فَلَثَمتُ فاهـــا آخِـــذاً بِقُرونِها شُربَ النَزيفِ بِبَردِ ماءَ الحَشرَجِ

وقبله:

قالَت وَعَيشِ أَخي وَذِمَةِ والدي لَأُنَبِّهَنَّ الحَيَّ إِن لَـــم تَخـــرُجِ

(٤) تضمين لمطلع قصيدة مشهورة لأبي تمام.

ترجمة المصنف

اسمه ونسبه ومولده:

هـو عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس المعرّي بن الوردي، يلقب بزين الدين، ويكنى بأبي حفص.

ولـد ابـن الوردي سنة إحدى وتسعين وستمائة من الهجرة النبوية (٦٩١هـ) بمعرة النعمان (بسورية)، ومنها جاءت إليه نسبة المعري[١].

شيوخه:

أخـذ ابن الوردي العلم عن فحول العلماء فأخذ عن القاضي شرف الدين البارزي بحماة، وعـن الفخـر خطيب جبرين بحلب[٢]، وذكره ابن الألوسي في عداد تلاميذ شيخ الإسلام ابـن تيمية الحراني[٣]، ويذكر ابن الوردي بعض ما دار بينه وبين شيخ الإسلام – مـؤكدًا بذلك حدوث التلقي عنه والتعلم على يديه- يقول فيما نقله صاحب "أبجد العلوم": "وكـنت اجـتمعت بـه بدمشق سنة ٧١٥هـ بمسجده بالقصاعين وبحثت بين يديه في فقه وتفـسير ونحو فأعجبه كلامي وقبل وجهي، وإني لأرجو بركة ذلك، وحكي لي عن واقعته المشهورة في جبل كسروان[٤]، وسهرت عنده ليلة فرأيت من فتوته ومروته ومحبته لأهل العلم

---

(١) انظـر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني- ط دار الكتب العلمية- بيروت- (١١٥/٣)، والأعـلام للزركلي- ط دار العلم للملايين- (٦٧/٥)، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي- ط المكتبة العصرية وتصحفت فيه "المعرّي" إلى "المصري"- (٢٢٦/٢).

(٢) الدرر الكامنة- (١١٦/٣).

(٣) جـلاء العينين في محاكمة الأحمدين لابن الألوسي البغدادي- (٣٥) ط مطبعة المدني- القاهرة- (١٣٨١هـ-١٩٦١م) نقلا عن أصول الفقه وابن تيمية لصالح بن عبدالعزيز- الطبعة الأولى- (١٤٠٠هـ-١٩٨٠م)- (٨٩/١).

(٤) كان بهذا الجبل قوم بغوا وخرجوا على الإمام وأخافوا السبل وعارضوا المارين فحث شيخ الإسلام ولي الأمـر على قتالهم فتجهزت الجيوش لقتالهم، وأتم الله النصر عليهم وأجلى الجبل من البغاة، وكـان من أصعب الجبال وأشقها، مما أخاف الولاة السالفين بمداهمته، فكان الخير على يد شيخ الإسلام بفضل الله [العقود الدرية- لابن عبدالهادي- (١٩٥)].

لاسيما الغرباء منهم أمرًا كثيرًا، وصليت خلفه التراويح في رمضان فرأيت على قراءته خشوعًا، ورأيت في صلاته رقة حاشية تأخذ بمجامع القلوب[1].

وقال عنه في تاريخه: "هو أكبر من أن ينبه مثلي على نعوته، فلو حلفت بين الركن والمقام لحلفت أني ما رأيت بعيني مثله، ولا رأى هو مثل نفسه في العلم[2].

ومما يؤكد هذه الصلة بينه وبين شيخ الإسلام ما نظمه ابن الوردي في رثاء شيخ الإسلام ابن تيمية، فجاء بقصيدة بديعة يقول فيها[3]:

عثا في عرضِه قومٌ سلاطٌ ... لهمْ منْ نثرِ جوهرِهِ التقاطُ
تقيُّ الدينِ أحمدُ خيرُ حَبْرٍ ... خُروقُ المعضلاتِ به تُخاطُ
توفي وهْوَ محبوسٌ فريدٌ ... وليسَ لهُ إلى الدنيا انبساطُ
ولو حضروهُ حينَ قضى لألفَوا ... ملائكةَ النعيمِ به أحاطوا
قضى نحباً وليسَ لهُ قرينٌ ... ولا لنظيرِه لُفَّ القِماطُ
فتىً في علمِه أضحى فريدًا ... وحلُّ المشكلاتِ به يُناطُ
وكانَ إلى التقى يدعو البرايا ... وينهى فرقةً فسقوا ولاطوا
وكان الجنُّ تفرق من سطاه ... بوعظ للقلوب هوَ السياطُ
فيا لله ما قد ضمَّ لحدٌ ... ويا للهِ ما غطَّى البلاطُ
هُمْ حسدوهُ لما لم ينالوا ... مناقبَهُ فقد مكروا وشاطوا
وكانوا على طرائقه كسالى ... ولكنْ في أذاهُ لهم نشاطُ
وحبسُ الدرِّ في الأصدافِ فخرٌ ... وعندَ الشيخِ بالسجنِ اغتباطُ
بآلِ الهاشميِّ لهُ اقتداءٌ ... فقد ذاقوا المنونَ ولمْ يواطُوا
بنو تيميَّةٍ كانوا فباتوا ... نجومَ العلمِ أدركها انهباطُ

---

(١) أبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجي- ط دار الكتب العلمية- بيروت- (١٣٠٧هـ-١٩٧٨م)- (١٣٦/٣).

(٢) السابق- (١٣٣/٣).

(٣) نقلنا هذه الرواية من أبجد العلوم، وهي موجودة في ديوانه باختلاف يسير وآثرنا أن ننقل هذه الرواية للزيادة في الروايات.

ولكــــنْ يــــا ندامــــةَ حابــــسيه فـــشكُّ الـــشرك كـــانَ بـــه يُمـــاطُ
ويـــا فـــرحَ الـــيهودِ بمـــا فعلـــتم فـــإنّ الـــضدَّ يعجـــبُهُ الخـــباطُ
ألمْ يـــكُ فـــيكمُ رجـــلٌ رشـــيدٌ يـــرى ســـجنَ الإمـــامِ فيُستـــشاطُ
إمـــامٌ لا ولايـــةَ كـــانَ يـــرجو ولا وقـــفٌ علـــيه ولا ربـــاطُ
ولا جـــاراكمُ في كـــسب مـــال ولم يُعْهَـــد لـــهُ بكـــمُ اختـــلاطُ
ففـــيمَ ســـجنتموهُ وغظْـــتموهُ أمـــا لجـــزا أذيَّـــته اشـــتراطُ
وســـجنُ الـــشيخِ لا يرضـــاهُ مثلـــي ففـــيه لقـــدر مـــثلكمُ انحطـــاطُ
أمـــا واللهِ لـــولا كـــتمُ ســـرّي وخـــوفُ الـــشرِّ لانحـــلَّ الـــرباطُ
وكـــنتُ أقـــولُ مـــا عـــندي ولكـــنْ بأهـــلِ العلـــمِ مـــا حَـــسُنَ اشـــتطاطُ
فمـــا أحـــدٌ إلى الإنـــصاف يدعـــو وكـــلٌّ في هـــواهُ لـــهُ انخـــراطُ
ســـيظهرُ قـــصدُكم يـــا حابـــسيه ونيـــتُكُمْ[1] إذا نُـــصبَ الـــصّراطُ
فهـــا هـــو مـــاتَ عـــندكمُ استرحتمْ فعاطـــوا مـــا أردتم أنْ تعاطـــوا
وحُلّـــوا واعقـــدوا مـــنْ غـــير ردٍّ علـــيكمْ وانطـــوى ذاكَ البـــساطُ[2]

آثاره العلمية:

خلف ابن الوردي الكثير من المصنفات في شتى المجالات، ومن مصنفاته:

١-نَظـم البهجة الوردية في الفقه على الحاوي الصغير للقزويني الشافعي المتوفى سـنة ٦٦٥هـ، وذلك في خمسة آلاف بيت وثلاثة وستين بيتا، أتى على الحاوي الصغير بغالب ألفاظه، وأول هذه المنظومة:

قـال الفقـير عمر بن الوردي الحمـــــــد لله أتم الحمـــــــد[3]

٢-الرسائل المهذبة في المسائل الملقبة في الفرائض.

٣-ضوء الدرة على ألفية ابن معطي.

---

(١) في نسخة: ونتبئكم.

(٢) أبجد العلوم- (٣/١٣٥-١٣٦).

(٣) كشف الظنون- (١/٦٢٧).

٤-شرح ألفية ابن مالك.

٥-اختصر ألفية ابن مالك في مائة وخمسين بيتًا.

٦-تحرير الخصاصة في تيسير الخلاصة نثر فيه ألفية ابن مالك.

٧-"تتمة المختصر" يعرف بتاريخ ابن الوردي.

٨-"الشهاب الثاقب" في التصوف.

٩-"منطق الطير" في التصوف "نظم ونثر".

١٠-اللباب في الإعراب.

١١-"تذكرة الغريب" منظومة في النحو.

١٢-ألفية في تعبير الأحلام.

١٣-تنسب إليه اللامية التي أولها:

اعتزل ذكـــر الأغاني والغـــزل[١]

حياته العلمية وثناء العلماء عليه:

كان ابن الوردي ينوب في الحكم في كثير من معاملات حلب، وولي قضاء منبج فتسخطها وعاتب ابن الزملكاني بقصيدة مشهورة على ذلك، ورام العود إلى نيابة الحكم بحلب فتعذر ثم أعرض عن ذلك ومات بحلب[٢].

وأثنى العلماء عليه ثناءً حسنًا؛ فقال عنه صاحب الشذرات[٣]: "كان إمامًا بارعًا في اللغـــة والفقه والنحو والأدب مفننا في العلم، ونظمه في الذروة العليا والطبقة القصوى وله فضائل مشهورة.

وقال السبكي[٤] عن شعره: "شعره أحلى من السكر المكرر وأغلى قيمة من الجوهر".

---

(١) انظـــر الـــدرر الكامنة- (١١٦/٣)، والأعلام للزركلي- (٦٧/٥)، وأبجد العلوم- (٢٧٩/٢)، وكشف الظنون- (٧٠١/١).

(٢) انظر الدرر الكامنة- (١١٦/٣-١١٧)، والأعلام- (٦٧/٥).

(٣) شذرات الذهب في أخبار من ذهب- (١٦١/٣)، وانظر بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة- (٢٢٦/٢)، وطبقات الشافعية- (٤٢٧/٥).

(٤) طبقات الشافعية- (٤٢٧/٥).

وقال ابن حجر عن نظمه في الفقه[1]: "وأقسم بالله لم ينظم أحد بعده الفقه إلا وقصر دونه".

وقال الصفدي[2]: "شعره أسحر من عيون الغيد".

وقد سبق ذكر ما دار بين ابن الوردي وابن تيمية حيث ذكر ابن الوردي أنه بحث بين يديه في فقه وتفسير ونحو فأعجب شيخ الإسلام بكلامه وقبل وجهه.. يقول ابن الوردي: "وإني لأرجو بركة ذلك".

وفعل كهذا من شيخ الإسلام يضيف إلى ابن الوردي منقبة أخرى إلى مناقبه.

مذهبه الفقهي وعقيدته:

يعتبر ابن الوردي من فقهاء المذهب الشافعي، وقد قرر ذلك بعض من ترجم له، فقال الحافظ ابن حجر: "عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس المعري زين الدين بن الوردي الفقيه الشافعي"[3].

وقال السيوطي: "زين الدين بن الوردي المصري[4] الحلبي الشافعي"[5].

وذكره السبكي في طبقات الشافعية[6].

ولذلك فقد نظم ابن الوردي البهجة الوردية على الحاوي الصغير للقزويني في الفقه الشافعي[7].

---

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة- (٣/١١٦).

(٢) شذرات الذهب- (٣/١٦١).

(٣) الدرر الكامنة- (٣/١١٥).

(٤) سبق التنبيه على التصحيف في كلمة المعرّي فصارت "المصري" في بعض الكتب منها بغية الوعاة للسيوطي.

(٥) بغية الوعاة- (٢/٢٢٦).

(٦) طبقات الشافعية- (٥/٤٢٧).

(٧) انظر: كشف الظنون- (١/٦٢٧).

وأما عن عقيدة ابن الوردي فلا نخالها إلا عقيدة أهل السنة والجماعة ويقوي ذلك ما ذكره ابن الوردي من قراءته على ابن تيمية في الفقه والتفسير والنحو وحفاوة ابن تيمية بـــه، ثم رثاء ابن الوردي له بعد موته بقصيدة بديعة غير أننا نجده يطري الصوفية في بعض المواضـــع ويذكر مصطلحاتهم التي لم يذكرها السلف من الصحابة والقرون المفضلة وذلك كالمحو والإثبات والرمز وغير ذلك من الأمور التي تمس جناب العقيدة مما يجعلنا نتوقف في الجـــزم الكلي باعتقاده عقيدة أهل السنة والجماعة في جميع المسائل [1] ويذكر له أنه عاب على متصوفة الأكل والشرب والنوم الذين يروون الأقوال ولا يتبعون الأفعال الذين وافقوا الأوائل ملبسًا وخالفوهم أنفسًا[2] مما يلمح بالدعوة إلى ما يسميه البعض بالتصوف السُّني.

وفاته:

توفي ابن الوردي في السابع عشر من ذي الحجة سنة تسع وأربعين وسبعمائة من الهجـــرة النبوية، ومات مطعونًا في الطاعون العام بحلب بعد أن عمل فيه مقامة سماها "النبا في الوبا" وذلك عن عمر يناهز الستين عامًا، فرحمه الله وعفا عنه[3].

---

(١) المحو عند الصوفية يعني: رفع أوصاف العادة بحيث يغيب العبد عندها عن عقله، ويحصل منه أفعال وأقـــوال لا مـــدخل لعقله فيها كالسكر، قال الحفني: "ومحو الجمع والمحو الحقيقي: هو الكثرة في الـــوحدة، ومحو العبودية ومحو عين العبد: هو إسقاط إضافة الوجود إلى الأعيان فالوجود ليس إلا عين الحق تعالى.." [الموسوعة الصوفية للحفني- (٩٤٧)].

قلـــت: وهذه هي عين عقيدة وحدة الوجود الخبيثة التي دعا إليها غلاة الصوفية أمثال ابن عربي وابن الفارض والحلاج وغيرهم ونسأل الله السلامة والعافية، أما الرمز فهو عندهم كما يقول الطوسي: هو معنى باطن مخزون تحت كلام ظاهر لا يظفر به إلا أهله" [اللمع- (٤١٤)]، ويزعم الصوفية أن في ذلـــك مـــصلحة الناس وغيرة على أسرار الله أن تذاع بين المحجوبين (العامة) [انظر: جهود علماء السلف للجوير- (٥٤٥، ٥٥٠)] لكن اعتقاد ذلك على درجات لا ندري إلى أي درجة منها وصل ابن الوردي فالله أعلم .

(٢) انظر كلامه في المقامة الصوفية.

(٣) انظر: الأعلام للزركلي- (٥/٦٧)، وبغية الوعاة- (٢/٢٢٧).

مصادر الترجمة:

١-الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة للحافظ ابن حجر العسقلاني.

٢--طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين عبدالوهاب السبكي.

٣-بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي.

٤-الأعلام للزركلي.

٥-أبجد العلوم لصديق حسن القنوجي.

٦-كشف الظنون لحاجي خليفة.

٧-شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبدالحي الدمشقي.

٨-أصول الفقه وابن تيمية لصالح بن عبدالعزيز آل منصور.

٩-الموسوعة الصوفية لعبدالمنعم الحفني.

١٠-جلاء العينين في محاكمة الأحمدين لابن الألوسي.

١١-العقود الدرية لابن عبدالهادي.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام العالم[1] العلامة القاضي الفاضل زين الدين أبو حفص عمر بن مظفر ابن عمر الوردي الشافعي –رحمه الله تعالى ورضي عنه– أما بعد حمد الله الذي الحمد من فضله، والصلاة والسلام[2] على نبيه محمد خاتم رسله، وعلى آله وصحبه ومن اقتدى بقوله وفعله، فإني أمرت أن أكتب[3] في هذا الكتاب شيئًا من نثري ونظمي، وها أنا قد أثبتّ عليّ به مسطورًا يشهد بقصور فهمي، وقد يقف الناظر في مجموعي هذا على وصف عذار[4] الحبيب وخده، ونعت ردفه[5] وقده[6]، وشكوى عشقه وصده، وذم الشيء وحمده، ومدح الشخص لرفده، وجزر القول ومده، فيُظن[7] لذلك بي الظنون، غافلاً عن قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ﴾، وإني إنما قلت ذلك على وجه امتحان القريحة، ومحبة في المعاني المبتكرة واللمع المليحة[*]، التي لم يصبر عنها إلا من نفر طبعه، ولم يستهونها[8] إلا من أظلم حسه ونبا عن الحكمة سمعه، وما كُلُّ مَنْ قال فعل، ولا كل من مدح سأل، على أنه من نشأ بحمد الله في حجر العلم صانه عن الرذائل، ومن صحب من أولياء الله تعالى مثل شيخنا[9] دلت على نزاهته دلائل، ومن أغناه الله تعالى بفضله شرفت نفسه عن الاكتساب بالمدح، ومن سالمه الناس وسالمهم استغنى عن الهجاء والقدح[10]، ثم إني بعد جمع هذا الكتاب هجرت

---

(١) زيادة من بعض النسخ.

(٢) زيادة من بعض النسخ.

(٣) في نسخة: أثبت.

(٤) عذار الرجل: شعره النابت في موضع العذار، أي: الخد، يقال: ما أحسن عذاره أي خط لحيته [انظر: اللسان– (عذر)].

(٥) الرِّدف: العجزُ، وخص البعض به عجيزة المرأة، والجمع: أرداف [انظر: اللسان– (ردف)].

(٦) القد: القامة [انظر: اللسان– (قدد)].

(٧) أي: فيظن الناظر، والجملة سياقها هكذا: وقد يقف الناظر في مجموعي هذا على... فيظن..إلخ.

(٨) وفي نسخة: يستهجنها.

(٩) وفي نسخة شيخنا عبس.

(١٠) هذا من أمثلة السجع وهو كثير في كلام المصنف.

المـــنظوم هجـــرًا جمـــيلاً، وطويت نشر المنثور إلا قليلاً، وعاودت[1] النفس من خدمة العلم الشريف سيرتها الأولى، وكيف لا والعلم أشد وطئا وأقوم قيلاً، هذا وما أثبت في هذا المجموع مـــن نثـــري إلا اليسير، وذلك نحو الثلث والثلث كثير، وحذفت من نظمي ما لم أعبأ بحذفه، وألححـــت عليه حتى صيرته على نصفه، ولولا رجاء الترحم ممن يقف عليه، والطمع في بقاء الذكـــر فهو مما تتوق النفس إليه، لسددت بحسب الطاقة هذا الباب، ولحثوت في وجه الأدب التراب، والله المسئول أن يبدل السيئة حسنة، وأن يكفينا شر حصائد الألسنة، آمين..

فمن ذلك المقامة الصوفية

حكى إنسان، من معرة النعمان، قال: سافرت إلى القدس الشريف، سفر منكر بعد التعـــريف، فاجتزت في الطريق بواد وقانا لفحة الرمضا، وقال: حكمت على الوادي الذي تروع حصاه حالية العذارى فقلنا دائم الحكم والإمضا، وإذا عين كعين الخنساء تجري على صـــخر، ويقـــول ماؤها أنا سيد مياه هذا الوادي ولا فخر[2]، فرويت كبد صاد من تلك العين، ولكن نغّص منظرها الحسن بذكر ظمأ الحسين، هذا وماؤها يجري على رأسه خدمة للـــوراد، ويطـــوف بنفسه سواء العاكف فيه والباد، فأسبغت وضوئي منه إسباغ الذروع، وصليت ركعتين فوّقت فيهما سهام دماء من قسيّ ركوع، وسألت الله تعالى حسن منقلبي، ورجـــوت مـــنه أن يعوضـــني عن تعبي، بصحبة من يدلني عليه، ورؤية من يقربني منه إليه، فأجيـــبت دعوتي في الحال، والتفتّ وإذا عشرة رجال، من جملتهم شيخ كبير السن والقدر، وقـــد أحاطـــوا به إحاطة الهالة بالبدر، فقلت لهم: مرحبًا بحاضرة جلالتهم بادية، وسقيًا لمن تلقيت صحبتهم من عين صافية، يا ذوي الجمال والزين، من أين وإلى أين؟ قالوا: منه وإليه، ثقة به وتوكلاً عليه، ثم خاضوا في بحث يسرونه مني، ومناظرة يخفونها عني، بلفظ ألطف من النـــسيم، ومعنى مزاجه من تسنيم، وأطالوا في الجدال، وأنا لا أعلم حقيقة الحال، فلحظهم الـــشيـــخ شـــزرا، ونظر إليهم تارة وإليّ أخرى، وقال: إما أن تكفوا عن حثكم، وإما أن تطلعـــوا أخـــــاكم الآخر على أول بحثكم، فتنبهوا إليّ، وأقبلوا عليّ، وقالوا: أيها الأخ إن بحثنا الدقيق في طريق هي السر المكتوم، وغوصنا العميـــق في منهاج هو مفتاح العلوم، وما

---

(١) وفي نسخة ما ودت.

(٢) فيه سجع وتورية وتضمين من الحديث الشريف.

ظنك بطريق جنيـدها[1] أعظم من الملوك، وأدهـمها وابنه[2] غير مصروفين لعظمهما في سـلوك الحسن بحسن السـلوك، وأهلها هم الكرم الصيّب، وذللها ينبت العز وكل مكان ينبت العزَّ طيّب.

ذمَّ المـنازلَ بعـدَ مترلـةِ اللّـوى والعـيشَ بعـدَ أولـئكَ الأقـوامِ

فكم منكر صار معروفًا فيها بالإيثار، وكم مالك أصبح مصروفًا بحسنها عن دينار.

كـم أسـدٍ رُوِّع بالـشبلِ فـيها وحـاف فـاقَ ذا نعـلِ

وكـم سـريٍّ بحـره زاخـرٌ وكـم فـضيلٍ فـازَ بالفـضلِ

قلـت: قد وعيت على رمزكم، وانتهيت إلى كترکم، فزيدوني إيضاحًا، زادكم الله إصـلاحًا، قالـوا: نحـن أيتها العصبة، لنا في التصوف رغبة، وجدالنا معاشر الرفقة، في لفظة التـصوف: مم هي مشتقة؟ وماذا شرط الصوفيّ الصافي؟ وإلى الآن ما تحرر لنا في ذلك جواب شافي. قال الشيخ: على الخبير سقطتم، وبجهينة الخبر أحطتم، ولكنكم ما ألقفتم أولا إليّ، ولا عولـتم في ذلك عليّ، قالوا: مثلك لا يبخل بإفادتنا، وأنت عودتنا المسامحة في المطارحة فاصبر لعادتـنا، قـال: سمعًـا وطاعة، اعلموا أيها الجماعة، أن اشتقاق التصوف، عند أهل التعريف والتعـرف، مـن الصفاء والوفاء والفناء هذا من حيث عبارة الناطق، فأما اشتقاقه من حيث الحقائـق، فمن أحد أربعة أشياء، تحيي الأسرار وتسرّ الأحياء، الأول من الصوفانة وهي بقلة قـصيرة ذات رغـبة، الثاني من صوفة قبيلة كانت تجيز الحاج وتخدم الكعبة، الثالث من صوفة القفـا شـعرات في قفـا الإنسان، الرابع من الصوف الغني عن البيان، وإذ قد أصغيتم لبياني، فسآتي بالبديع في شرح هذه المعاني[3]: إن أخذ التصوف من الصوفة التي هي البقلة، قال القوم اجتـروا في الجملة، فاقتصروا على ما يوجد الله بصنعته من رزقه، ومنّ به على عباد عباده من غـير تكلـف فـيه من خلقه، فاكتفوا به[4] عما فيه للبشر صنع، فلم يسطهم إليه عطاء ولا

---

(١) يعني أبا القاسم الجنيد.

(٢) يعني إبراهيم وأباه أدهم، فهما غير مصروفين أما أدهم فللعلمية ووزن الفعل، وأما إبراهيم فللعلمية والعجمة، وفي الكلام تورية؛ لأن هذا المعنى غير مراد.

(٣) هذا من التورية وهي كثيرة في كلام المصنف.

(٤) أي: بهذا النبات.

قبضهم عنه منع، كما شاع عن المجاهدين من المهاجرين، ونبه عليه سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم، وشرف وكرم.

وإن أخذ من صوفة، وهي القبيلة المعروفة، فلأنّ الصوفي متزود من القربات والطاعات، محاسب نفسه على الدقائق والساعات، أحد أعلام الهدى، طاب خبره لطيب المبتدا. وإن أخذ من صوفة القفا، فحسبكم بيانًا وكفى، أن الصوفيّ معطوف به على الحق، مصروف به عن الخلق، لا يريد به بدلا، ولا يبغي عنه حولاً. وإن أخذ من الصوف المعروف؛ فلأن الصوفيّ يلبسه موصوف، اختار في الدنيا لبسه، وكسر بذلته وبذلته نفسه، نداء منه على لابس الحرير بالرعونة والبله، إنما يلبس الحرير في الدنيا من لا خلاق له، هذا بيان الاشتقاق[1]، وأما شرط الصوفي باستحقاق، فأن يتخلق بأخلاق الرسول، ويفوز من سول رياضاته بالشمول، ويتنكب عما عنه نكب، ويأخذ بما إليه ندب، لا يتخذ محرمه ربيعه، ولا يجري كالعاصي الذي يزيد إعراضه عن الشريعة، فقد صفى من الكدر، ونحى عن الفكر، ونجى من الغير، ومن عدل عن سمته ونهجه، وعول على حكم نفسه وهرجه، وسعى لبطنه وفرجه، كان من التصوف خاليًا، وفي التجاهل ساعيا، ومن داخله في ذلك مرية، فقد عطل عما ذكره الحافظ في الحلية. قال الحاكي: فلما سمعت ما قاله هذا الشيخ الجليل، أكبرته وبالغت له في التبجيل، وقلت له: يا سيدي لي زمان أحرص على مثلك، فما ظفرت به من قبلك، فتمم العطاء، واكشف لي الغطاء، عن أشياء تعانيها متصوفة الوقت، وميز لي منها ما يستحق المقة من

---

(١) ذكر المصنف أن التصوف مشتق من عدة أمور فهو إما من بقلة الصوفانة أو من قبيلة صوفة أو من صوفة القفا، أو من الصفاء أو من الصوف، وزاد آخرون فقالوا: إنما اشتق من أهل الصفة الذين كانوا يبيتون في مؤخرة مسجد النبي ﷺ من فقراء الصحابة المهاجرين، وقال آخرون: إنما اشتق من الصف الأول؛ لأن الصوفية في الصف الأول بين يدي الله -عز وجل- بارتفاع هممهم إليه ووقوفهم بسرائرهم بين يديه، وقيل غير ذلك، والراجح اشتقاقه من الصوف فهو الصحيح من حيث النسب في اللغة، ثم من حيث صحة المعنى إذ كان الغالب على طلائعهم الأولى لبس الخشن من الثياب زهدًا في اللين والزهد في طيبات الحياة، وهو ما رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية والعلامة بن خلدون وغيرهما من المتأخرين [انظر: المقدمة لابن خلدون- (٥١٧)، ومجموع الفتاوى- (١١/١٩٥)].

المقــت[1]، قــال: سل عما تريد، قلت: أول بيت في القصيد، لم حلقوا الرءوس وقصروا الثــياب؟ قال: موافقة لما في الكتاب، وهم في ذلك كالمذكرين، أن من كان إلى العلا من المحلقين، فليعترف أنه من المقصرين. قلت: فلم تركوا النعال ولبسوا الجماجم؟ قال: شيء أحدثه الأعاجم.

وأقــسمُ مــا ذاكَ مــنهم سُــدى ... فأفهــامُهم فــوقَ أفهامِــنا
فــإن قلــتُ مــا ســرٌّ ذا أنــشدوا ... جماجُمــنَا تحــتَ أقدامِــنا

قلــت: فلــم تختموا بالعقيق؟ قال: فيه منافع وخواص هو بها حقيق، فإن خاتمه يــسكن حدة الغضب، ولمنع النزيف هو سبب، وسحالته لتآكل الأسنان، ولوجع القلب وقروح أمعاء الإنسان، ومما ذُكر عنه وقيل، أن خاتمه لم يوجد في أصبع قتيل، وما أحسن استخدام بعضهم فيه، عج بالعقيق فمدمعي يحكيه، قلت: فلم رقصوا في السماع؟ قال: فيه لــذة واجتماع، ولهم فيه أسرار، لا يطلع عليها الأشرار، فهو كالفخ أو كالشبكة في يد الشيخ المتصنع يصيد به القوت، والصادق يصيد به الرتوت، والمبادرة إلى تحريمه من الجمود والقــصور، وهو رأي من له بالشعر شعور، ولا فهم المنظوم ولا شم رائحة المنثور، ولقد رأينا المعتمدين، من علماء الدين، لا يطلقون القول فيه بمنع ولا جواز، ولا يحملون الفتوى فيه في عراق ولا حجاز، بل الفتوى المعتمدة التي القلب إليها ساكن، أن الأمر في السماع يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال والأماكن[2].

---

(١) المقة: المحبة، وفعلها: ومق، والمقت: البغض، وفعله: مقت.

(٢) في هذا الكلام نظر؛ إذ إن أدلة تحريم الغناء ساطعة من الكتاب والسنة وكلام السلف، فعلى سبيل المثال قال تعالى: ﴿**وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ**﴾ قال مجاهد: بصوتك: الغناء والمزامير، وقــال تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ**...﴾ قال ابن مسعود: هو الحديث الغناء، وفي الــبخاري: "لــيكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف"، وعن أنس مــرفوعًا: "ليكونن في هذه الأمة خسف وقصف ومسخ وذلك إذا شربوا الخمر واتخذوا القينات وضربوا المعازف" [السلسلة الصحيحة للألباني].

كانـوا معـاني المغـاني حينَ ينشدُهُمْ شـادٍ يجاوبُـهُ حُـسْنٌ وإحـسانُ
مـا أنـتَ حـينَ تُغنِّـي في مـنازلهم إلا نـسيم الـصبا والقـومُ أغـصانُ

قلـت: فلـم يجلـسون الوارد على باب الرباط، ولا يتلقونه أولاً بالواجب ولا بالانبـساط؟، قال: لأنه بطارئ السفر، قد هجن طبعه ونفر، فأرادوا بذلك رياضة نفسه، ولينـسى عـشرة أبـناء جنسه، وليبنى لهؤلاء على الكسر، وينصره الله على شيطانه وما النـصر، قلت: فلم شرطوا عليه هيئة السفر إلى الدخول؟ قال: لأنها مذكرة بالوصول، فيا لهـا من هيئة تنسي الخلاق والطرب، تغييرها رياضة تعرب عن أصل الأدب، على أنه في هذا الوقوف، ينشد من قلب عروف.

وقـوفي علـى بـابهمْ رفعـةٌ فـيا طـولَ طـرديَ إنْ لمْ أقـفْ
ولـو لم تكـنْ لِيَ فَـرْعيَّةٌ إلـيهمْ بأصـلٍ لقالـوا انـصرفْ

قلت: فما معنى توجيه أباريقهم إلى القبلة؟، قال: هي صورة عبادة في الجملة، وفي المثل الغريب "أباريق الصوفية مخاريب".

سـاقٍ يـسوقُ إلى الـسياق محـبةً ويـرى شـفاءَ حـريقه بـرحيقه[1]
الـسكْرُ كـلُّ الـسكرِ في كاسـاته والـسرُّ كـلُّ الـسرِّ في إبـريقه

قلـت: فلـم وضع ساقيهم إبهام رجله اليمنى إلى إبهام اليسرى؟، قال: فرقًا بين خدمـة الخالـق والمخلوق وذكرى، ففي الصلاة يصف قدميه، وفي خدمة القوم يفعل ما أشـرت إلـيه، وعلى الحقيقة فالصوفي لا إبهام لفضله، ولا سبابة للوسطى من سيرة مثله، قلـت: فلـم يطـوي الخادم للوارد إذا أتاه الطرف الأيسـر من مصلاه؟، قال: ليدوس المطـوي بيمناه، وينقل إلى جانبها يسراه، ثم ينقل اليمـنى نقلا، ويصف اليسرى معها في المـصلى، فقد كرموا في هذه الهيئة اليمين، وتميز بها عنـهم من يمين، واتقوا بلل الوضوء بالبطانة، تورية إلى أن الوجه أحق بالصيانة، وسـأدلك على قاعدة تحصل بها من أحوالهم كمـال الفائدة، كلما فارقوا فيه بقية الناس، من العوائد والسمت واللباس، فليمتازوا به مـن سواهم، فتبارك الله الذي خلقهم فسواهم، ثـم إن الشيخ سالت عبرته، وتوالت

---

(١) فيه جناس ظاهر وهو كثير في كلام المصنف.

حسرته، وغلبه الحال، فأنشد على الارتجال:

ذهبَ الصدقُ وإخلاصُ العملْ ... ما بقيْ إلا رياءٌ وكسلْ
غرَّكَ التقصيرُ مِنْ ثوبي فإنْ ... قُصِّرَ الثوبُ فقدْ طالَ الأملْ
إنْ تأملتَ فزيِّي منهمُ ... غيرَ أنَّ القلبَ مغناهُ طللْ
إنما الصوفيُّ صافي القلبِ مَنْ ... كلِّ غشٍّ فإذا قالَ فعلْ
رَفعَ الكلَّ عنِ الكلِّ وَمَنْ ... كَلَّ في الدنيا تحامى كُلَّ كُلْ[1]
ذَلَّ للهِ فعزَّتْ نفسُهُ ... كلُّ مَنْ عزَّ بغيرِ اللهِ ذَلْ
فَهْوَ إنْ يعلُ فباللهِ علا ... وَهْوَ إنْ ينزلْ فبالحقِّ نَزَلْ
كسرَ النفسَ فصمَّتْ[3] واتقى ... زخرفَ الدنيا وخيلاً وخَوَلْ
بَذَلَ الروحَ ولولا عزُّ ما ... رامَ ما هانَ عليه ما بذلْ
عرفَ المربوبَ بالربِّ فلم ... يخشَ إلا ربَّه عزَّ وجلْ
ليتني في جسم هذا شعرةٌ ... صَغُرت أو طعنةٌ فيما انتعلْ
بل مرامي لحظةٌ أو لفظةٌ ... مِنْ وليِّ اللهِ مِنْ قبلِ الأجلْ
هؤلاءِ القومُ يا قومُ مَضَوا ... ما تبقى منهمُ إلا الأقلْ
فإلى اللهِ تعالى أشتكي ... ما بقلبي مِنْ فتورٍ وخبلْ
لو تقنَّعتُ أتى رزقي على ... رغمِهِ لكنْ خُلقنا مِنْ عجلْ[2]
كم رياءٍ كم مراءٍ كم خطا ... كم عدوٌّ كم حسودٍ لا يملْ
ليس يخلو المرءُ عن ضدٍّ ولو ... حاولَ العزلةَ في رأسِ جبلْ
لا أرى الدنيا وإنْ طابتْ لمن ... ذاقَها إلا كسمٍّ في عَسَلْ
أين كسرى وهِرَقْلٌ أين مَنْ ... ملكَ الأرضَ وولَّى وعزلْ
أينَ مَنْ سادوا وشادوا وبَنَوا ... هَلَكَ الكلُّ وَلَمْ تغنِ القللْ
لو سألتَ الأرضَ عنهمْ أنشدَتْ ... أصبحَ الملعبُ قفراً والطللْ

---

(١) فيه جناس ظاهر وهو كثير في كلام المصنف.

(٢) فيه اقتباس واضح من القرآن الكريم وهو كثير في كلام المصنف.

(٣) في نسخة: فصحت.

قال الحاكي: فما زادني ما سمعت من فيه، إلا إعظامًا له وحبًّا فيه، فنادى متألمًا، وأنشد مترنمًا:

يا صاحِ حقَّ لكَ التخوفْ[٤] وقلةُ[١] السعي والتطوفْ[٢]
لا تقربَنْ بعدها رباطاً قَدْ خُرِّقتْ[٣] خرقةُ التصوفْ

قلت: هيهات هيهات، المحو عين الإثبات، وقد كانت الصوفية أحبّ الخلق إلى الرحمن، والأصل بقاء ما كان على ما كان، وللعارف هضم نفسه، مخافة طرده وعكسه، قال: تالله لقد صدقتك في متصوفة العصر، ونصحتك في جمع ألسنتهم ترمي بشرر كالقصر، فإن المتصوفة اليوم، أصحاب أكل وشرب ونوم، يروون الأقوال، ولا يتبعون الأفعال، وافقوهم ملبسًا، وخالفوهم أنفسًا، يدعون ما ليسوا من رجاله، ويخيرون الشيخ بين عرضه وماله، يحبون الجاه والشهرة، ويؤملون برد النعيم على فترة.

اعتزلِ الناسَ ومِلْ عنهمْ بنفسٍ صادقة
صارَ الرباطُ كاسمِه والخانقاهُ خانقَة[٥]
والناسُ قد تصنَّعوا وليسَ فيهمْ بارقَة
إلا قليلاً قالَ عن دنياهُ أنتِ طالقَة

قلت: إلى رؤية هذا القليل أميل، فبهم تبرد النار ويشفى الغليل، فليت طرفي قبل الموت المحتوم، اكتحل بنجومهم الزاهرة فنظر نظرة في النجوم، قال الشيخ: كم تدفعك فلا تندفع، وتقطعك فلا تنقطع، الآن أعجبني صدقك، ووجب علينا حقك، وأنشد:

---

(١) في نسخة: وفاتك.

(٢) في نسخة: التكلف.

(٣) في نسخة: خُرِّقتْ.

(٤) في نسخة: التخلف.

(٥) هو من بديع الجناس لديه.

هكـــذا كـــنْ محـــبةً واحـــتفالاً واعـــصِ فيـــنا الوشـــاةَ والعـــذّالا

ـــلكَ مـــنّا تكـــتُّمٌ واســـتتار[3] ولـــنا مـــنكَ أن تطـــيلَ الـــسؤالا

إنّ لله في الوجـــــودِ وجـــــوهاً تـــركَتْ حـــسنَها لـــهُ والجمـــالا

فاعلمـــوا أنَّ في الـــزوايا خـــبايا وافهمـــوا أنَّ في الـــسويدا رجـــالا

أقحمـــوا الـــنفسَ في مهالـــكِ زهـــدٍ يفترسْـــنَ[1] الأرْواحَ والأمـــوالا

قـــصدوا هـــدمَ ســـورِها فبَـــنَوْهُ وأتـــوا كـــي يقـــصِّروهُ فطـــالا

أنفـــسٌ أكـــرمُ الـــنُّفوسِ علـــى الـلـ ــــهِ وأقـــوى حَـــوْلاً[2] وأقوَمُ حالا

فهـــي تمـــشي مَـــشْيَ العروسِ اختيالا وتهـــادى علـــى الـــزمانِ دلالا

نحـــنُ قـــومٌ يعـــيشُ مَـــنْ مـــاتَ فينا مـــستهاماً ويـــبلغُ الآمـــالا

عـــشْ علـــى حبـــنا ومـــتْ في هوانا هكـــذا هكـــذا وإلاّ فـــلا لا

قـــال الحاكـــي: فأطـــربني هـــذا الكلم الطيب، وما ضمنه من شعر أبي الطيب، ثم صافحوني للوداع، بأيدي سفرة، كرام بررة، تلك عشرة كاملة فسلام على الله العشرة[4].

---

(١) في نسخة: يغترمن.

(٢) في نسخة: حالاً.

(٣) في نسخة: واستستار.

(٤) ذكر المصنف من الإطراء على الصوفية ما قد يُدْخِلُ على قليل العلم بهم حبًّا لا يستحقونه فيرفعهم به إلى مقام لا يبلغونه، والأمر على غير ما ذكر، ودون كل لبيب هذه الفقر: يؤخذ على الصوفية أمور كثيرة نلتقط منها:

١-إقامة المساجد على قبور الصالحين وتعظيمها رغم ورود النهي عن ذلك.

٢-بدعة الموالد التي يقيمونها لمشايخهم وآل البيت التي تضج بالمنكرات والشركيات.

٣-الغلو في النبي ﷺ والأولياء وأهل البيت وقد يصل الغلو إلى إسباغهم صفات الألوهية والربوبية.

٤-الشطح والرعونة مما يقع من بعضهم عند غلبة الوجد وهو ما لا يوجد مثله عند الصحابة -رضوان الله عليهم.

٥-قبولهم كل ما يرد على القلب مما يسمونه كشفًا أو مكاشفة ولو خالف الكتاب والسنة وكثيرًا ما يخالفهما.

المقامة الأنطاكية

حـــدث إنســـان، من معرة النعمان، قال: كثيرًا ما كنت أسمع بين البرية، الثناء علـــى نـــزه أنطاكية، وأنها قطـــع لمن لم يصلها، وخروج لمن لم يدخلها، ولفرط ثنائهم علـــيها، تجهـــزت للمسير إليها، فلما دخلتها، وشاهدتها وتأملتها، أكبرت طولها وطولها، وعجـــبت لحـــصانتها والعاصـــي دائـــر حولها، ودهشت لاستخراج الظاهر من باطنها، وانتعـــشت لاســـتدراج الكافر عن مواطنها، حتى قسى قلب القسيان على برج الحرس، ومــــا بكت عين بولص على مـــا اندرس، وأشهر في التواريخ حديثها، وبدل بالتوحيد

=٦-الجهـــل بالـــشريعة وازدراؤها إذ يفرقون بين شريعة وحقيقة ويسلمون للكشف الآتي عن طريق الرياضة والمجاهدة.

٧-وقوفهم أو كثير منهم عند الرسوم وسماهم ابن تيمية صوفية الرسم.

٨-شـــيوع البدع في محيطهم دون نكير من أحد بل إنهم يستحسنونها مع أن النبي ﷺ جعل كل بدعة ضلالة ولم يفرق بين مستحسنة ومستقبحة.

٩-شيوع الأحاديث الضعيفة والموضوعة بينهم حتى في استدلالهم على صحة طريقتهم وأصول مذهبهم.

١٠-روايتهم لما لا يصح من الكرامات وما يصادم الشرع منها.

١١-عادة السماع التي يجتمعون عليها ويجعلونها دينًا يتعبدون الله بها وقد يصاحب السماع شيء من المعـــازف التي نهى الشارع عنها وربما صاحبها الرقص والتصفيق إذا غلب الوجد، وقد ينتهي الأمر بالصراخ والصياح كالمرأة الثكلى فأين ذلك كله من حال النبي ﷺ وأصحابه.

١٢-ابـــتداعهم ما سموه بالطرق الصوفية التي تتباين فيما بينها بصورة كبيرة ويكون لشيخها الكلمة النافذة والطاعة المطلقة لا للكتاب والسنة.

١٣-القول بإسقاط التدبير "أي ترك الأخذ بالأسباب والسعي لاكتساب الرزق".

١٤-اتخاذهم في الذكر منحى مخالفًا لما كان عليه السلف.

١٥-مخاطبتهم الله تعالى بما لا يليق وكذلك النبي ﷺ من ألفاظ العشق والوجد والسكر ونحو ذلك مما لا يناسب الأدب مع الله جل جلاله ولا صح عن النبي ﷺ ولا أحد من أهل القرون الفاضلة، وغالى بعض الصوفية فقالوا: بإسقاط التكاليف وتفضيل الولي على النبي وبإمكان رؤية الله تعالى في الدنيا بالأبـــصار تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا. [انتهى ملخصًا من خلاصة الموقف السلفي من التصوف لأبي الفضل عبدالسلام بن محمد بن أحمد- ط دار الفتوح- الجيزة- (١-٣٧)].

تثيـــثها، وفتح باب جنانها، لمن أصبح من سكانها، فحمدت الله الذي جعلها دار إسلام، وشـــكرته على هذا الفتح الذي خص أحزاب المؤمنين بالأنعام، فانتهيت من بدايتها، إلى دار ولايتها، فوجدت والي المدينة، شابًّا ذا سكينة، فلما سلمت عليه، وأجلسني إليه، أخذ في مؤانـــستي، وأظهـــر الابـــتهاج بمجالستي، فغبطته بحسن زينته، وطيب مدينته، فتنفس تصعدا، وترنم منشدا:

كَــمْ مِــنْ صديقٍ صدوقِ الودِّ تحسبُهُ　　في راحـــةٍ ولديـــهِ الهـــمُّ والـــنَّكَدُ[1]

لا تغـــبطنَّ بـــني الدنـــيا بنعمـــتهم　　فـــراحةُ القلـــبِ لم يظفَـــر بهـــا أحدُ

قلـــت لله در فصاحتك، ما السبب في عدم راحتك؟ قال: لقد جمعت هذه المدينة بين عرب وروم، وأنا معهم في الحيّ القيوم، لا أطيق فيهم قرارًا، لو اطلعت عليهم لوليت مـــنهم فرارًا، ومن يطيق الجمع بين الضدين، أم من يقدر على موالاة ندين، وكيف يظفر ســـاكن أنطاكـــية بنـــيل إرب، وقد حنيت أضلع العجم على بغض العرب، كما أجدّ ويلعبون، وهم من بعد غلبهم سيغلبون.

مِـــنْ كـــلِّ فـــظٍّ أعجمِـــي　　غـــثِّ الكـــلامِ مـــذمَّمِ

إنْ تَبَّهَـــتْهُ مـــروءةٌ　　فـــتقولُ عجمـــتُهُ نَـــمِ

قلـــت: قصر عن خطاك خطاك، واشكر من أنطاك أنطاك، فسورها منيع، وعاصيها مطـــيع، وأطيارها تحن إلى نغماتها الجوارح، وأنهارها مطردة وعيونها سوارح، ونسيمها يطل رائحـــة المسك السحيق، وساكنها يزهى على الغصن الوريق، يصدأ بهوائها السلاح، وتجلى به القلوب والأرواح، برية بحرية، سهلية جبلية، منثورها منثورها.

مـــتكاملٌ فـــيها الـــسرورُ لمـــن بهـــا　　يـــوماً أقـــامَ كمـــا تكامـــلَ ســـورُها

وخلَـــتْ قلوبُ قصورِها فاستضحكتْ　　إذْ عـــاشَ شـــاكرُها وماتَ كفورُها[2]

مَـــنْ حَـــلَّ فـــيها نـــالَ وَصْلَ حبيبِها　　وشـــفى كلـــيمَ الـــروحِ مـــنهُ طورُها

---

(١) ويُروى: الكمد.

(٢) فيه طباق ظاهر وهو كثير في كلام المصنف.

ما تلكَ إلاّ جنّةُ الدنيا وها ... ولدانُها جُلِيَتْ عليكَ وحورُها

فمضيّةٌ وسنيّةٌ ونديّةٌ ... أرجاؤُها ورياضُها وقصورُها

لما بكى فقدَ الهمومِ سحابُها ... ضحكتْ وقدْ عاشَ السرورَ زهورُها

فالأرضُ منها سندسٌ وخلالَهُ ... سُلّتْ سيوفٌ والسيوفُ نُهورُها

هيَ دارُ مملكةِ الرضى فلأجلِ ذا ... قدْ أُسْبِلَتْ دونَ الهمومِ ستورُها

جُمعتْ فنونُ الطيبِ في أفنانها ... وعلا على المِسْكِ الذّكيِّ عبيرُها

تحكي دُماها غيدُها[2] البيضُ الألى ... بلحاظهن فتونُها وفتورُها

ما سلسلٌ عذبٌ سقاه وابلُ ... وهناً فويقَ حصى بروقِ[1] غديرها

فنفى[5] بتفريكٍ وصقلٍ مذهبٌ[6] ... عنه القذى ريحُ الصّبا ومرورُها

بألذّ طعماً منْ مَراشفهنَّ إذ ... تَبْسَمْنَ[3] عَن دُرٍّ يضيءُ بدورُها[4]

تلكَ الثغورُ[8] ودمعُ عاشقهنّ قد ... حاكَتْ عقودًا تحتويه نحورُها

كمْ كان فيها للفرنجِ كواعبٌ ... كانت إناثًا واللحاظُ ذكورُها

ومهفهفٍ يَسقي السلافَ كأنما ... منْ مقلتيه ووجنتيه يديرُها

هل نارُها في كاسِها أم كاسُها ... في نارِها وَعَلى المنازلِ نورُها

تصفيقُ عاصيها المطيعِ مرقّصٌ ... أغصانَها لمّا شَدَتْهُ طيورُها

فربوعُها محروسةٌ وسفوحُها ... مأنوسةٌ لا ينطوي منشورُها

فاعجبْ لأرضٍ كالسماءِ منيرةً ... أضحتْ تلوحُ[7] شموسُها وبدورُها

فتبَسَّمَتْ وتَنَسَّمَتْ أرجاؤُها ... أرجًا فما الغصنُ النضيرُ نظيرُها

---

(١) ويُروى: يضيء.

(٢) يروى: عندها.

(٣) يروى: يبْسمنَ.

(٤) يروى: يروقك نورها.

(٥) يروى: فصفا.

(٦) يروى مذ نفت.

(٧) تروى: تضيء.

(٨) يروى: فثغورهن.

فلما أتممت جلاء هذه العروس، ورقمها سامعوها على وجنات الطروس، قال حزني: لقد زدت وصفها، وشمخت على البلاد أنفها، وما أنطاكية لو كان عندك إنصاف، ولا طرف سكنته الأطراف، فلو أنك جمعت بين الأختين، وأرهقت العدة لنقص البيعتين، وأغلقت باب البحر، وجسرت على قطع الجسر، وسودت البيضاء، وأيبست الخضراء، لكان أهون عليّ من هذا النظم الأنيق، في استرقاق هذا البلد العتيق، وماذا تركت لدمشق من المنة والصفة، وقيل إنها في الأرض هي الجنة، لقد عرفت النكرة ونكرت المعرفة، ثم نظر إليّ خجلاً، وأنشد مرتجلاً:

مدحْتَ أنطاكيَّةً ... حتى توارى عقلُها
ولم يكنْ عندي كما ... ذَكَرْتَهُ محلُّها
لأنها داثرةٌ ... علا عليها ذلُّها
فكيفَ لا أبغضُها ... وكيف لا أملُّها
وعُجْمُها أكثرُها ... وعُرْبُها أقلُّها
لولا حبيبٌ ساكن ... فيها ولولا ظلُّها
لقلْتُ مِنْ مدنِ لظى ... لكنني أجلُّها
لأن في يس جا ... ء ذكرُها وفضلُها
لكنْ أقولُ قولةً ... ليس يُرَدُّ عدلُها
لو كانَ فيها راحةٌ ... ما فارقَتْها أهلُها

فلما تمم الوالي نظامه، ابتدرت ملامه، وقلت إذا رغبت عن أنطاكية وأهليها، فما وجه مقامك فيها، فقال: ألزمني أن أقيم، مرسوم كريم، ممن غمرني بالعطا، وإذا خولف سطا، فكيف الخلاص، ولات حين مناص[1]، من مدينة بيت الماء أرفع منها بكثير، ولعظم السمكة فيها قدر كبير.

فقلتُ وقد أنكرتُ منه مقاله ... وغرتُ لها ويلاه مِنْ سوءِ حالِها
ألا طالَ ما كانت أسرّةُ ملكِها ... مكللةً بالدرِّ قبلَ زَوالِها

---

(١) اقتباس من سورة (ص).

وكـــم خفقَـــتْ فيها البنودُ وكَمْ حَوَتْ ملــوكاً تـــرى الجـــوزاءَ تحـــتَ نعالِها

معظّمـــــــةٌ في الملّـــــتين بحســـــنها مكـــــــرَّمةٌ في الدولـــــتين بمالِهـــــا

ألمْ تحتـــــرمْ فـــــيها حبيـــــباً نـــــزيلَها ومـــا أنـــتَ لـــو أنصفتني من رِجالِها

وســـافرتُ إذْ نافرتُ في الحالِ[1] منشداً وعيـــنايَ كـــلٌّ أُســـعدت بـــسجالِها

قفـــا نـــبكِ مِنْ ذكرى حبيبٍ ومترلِ[2] لقـــد هـــزلَتْ حـــتى بـــدا من هزالِها

المقامة المنبجية

حكـــى إنسان، من معرة النعمان، قال: دخلت منبج في بعض الأسفار، فرأيت مصرًا كأمـــصار، ولكـــن قـــد صـــغر تصريف الدهر اسمها، وأبهم على المتكلمين حدها ورسمها، فمساجدها بالدثور ساجدة، ومشاهدها بحسرتها على من غاب عنها شاهدة، ورباطاتها محلولة القـــوى وللأنس فاقدة، ومدارسها دارسة لا واجدة، فازددت بحديثها القديم صبا، وغدا قلبي فـــيها ودمعـــي كلفـــا بها وصبا، وحسدت غرابها في النوح وسواد الثياب، وتلوت يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب[3]، وعجبت لسورها المديد، وقصرها المشيد، ونبهت على خبر ملكها حسان بعد إذ دثر، وقرأت البيتين عليه نقرًا في حجر:

لقـــد غفلَـــتْ صـــروفُ الدهـــر عني وبـــتُّ مـــنَ الحـــوادثِ في أمـــانِ

وكـــدتُ أنـــالُ في الـــشرفِ الثـــريا وهـــا أنـــا في التـــرابِ كمـــا تـــراني

ورأيـــت قبر البحـــتري بها وشهدت بهجة مشهد النور، ودعوت عند المستجاب وفي ســـفح المـــصلى خارج النور، وزريـــت بقصور مادحيها، وتمثلت بمادحي قصورها، وزرت قـــبور صالحيها، وتوسلت بصالحي قبورها[4]، وأمســـيت نزيلاً لتريلها الجليل، ولي الله الشيخ عقيل، الطيار في الهواء، الغواص في الماء، شـــيخ شيوخ الإسلام، وأول من دخل

---

(١) منها ذلك الوقت.

(٢) تضمين لشطر بيت امرئ القيس في معلقته.

(٣) اقتباس من سورة (المائدة).

(٤) التوســـل بالمقبورين بدعة مخالفة للعقيدة الصحيحة، وفي الجمل السابقة نوع من القلب وهو من فنون البديع.

ـخـــرقة العمرية إلى الشام، جامع الوحوش من البر والبحر أفواجًا، وجاعل النجارة بإذن الله ذهـــبًا وهاجا، المتصرف بعد وفاته، كتصرفه في حال حياته[1]، الذي أعدى عديًا في حلبات ـــرهان، وأرسل رسالة سره إلى رسلان، ومازال الزولى له مريدًا، ورزق ابن مرزوق القرشي ـ جدًّا سعيدًا، وسعدًا جديدًا، وبعد أن فعلت ما فعلت، تذكرت ما كنت قلت:

حـــالطْ أولي العلـــمِ تكـــنْ عالمـــاً ... فـــــربُّنا قَـــــدْ رفـــــعَ الوَحْـــــيَا

ـ قـــتدِ بالموتـــــى علـــــى أنَّـــــهُ ... لا بـــــدَّ للحــــيِّ مـــــن الأحْـــــيا

فأخلصت النية، وقصدت مدرسة النورية، فإذا مدرسها القاضي، وقد استقبل أمر ـــدرس بفعل ماضي، فاحتقرته لحداثة سنه، وعزمت على تخجيله بفن لعله غير فنه، قال متـــصدر قبل أوانه سفيه، ورب فقيه لا أدب فيه، فلما أتم درسه، بسط إليّ أنسه، وسألني عـــن حاجتي، فقلت في لجاجتي: نحن عشرة ذووا نسب، وأُلوا علم وأدب، وقد أنشد كل مـــنهم بـــيتي شـــعر، سامهما فضل سعر، وأقام وزنهما، وقال: إنهما وإنهما، وأنا رسول ـصحابي إليك، لتنصف بيننا وقد دللت عليك، قال: قل ما أردت أن تقول، وابدأ بنفسك ثم بمن تعول، ثم أصاخ إليّ، فأنشدته بيتيّ:

ـ ئـــرةٌ زارتْ بـــــلا مـــــوعدٍ ... أفـــــدي بمـــــا أملكُـــــهُ سَـــيْرَها

فقلـــتُ مـــا ذا وَقْـــتُهُ فارجعـــي ... وعـــــاوديني لـــــيلةً غَيْـــــرَها

فقـــال: هذا سوء الأدب بالأدب، والدليل على ضعف الطلب، أتزورك متفضلة، وترجع خجلة، سأنشدك بيتين لا مطعن عليهما، ولم أسبق إليهما:

جـــبرتِ يـــا عائـــدتي بالـــصلَهْ ... فتممـــي الإحـــسانَ تنفـــي الـــولَهْ

وهــــذه قــــد حُـــسبتْ زورةً ... لمْ أَنْـــتِ يـــا لعـــبةُ مـــستعجلهْ

ثم قال: هكذا بيان المعاني، فأنشدته قول الثاني:

يـــا مـــنْ أعـــارَ اللـــيثَ حـــسنَ اللقا ... وَكَـــمْ أعـــارَ الـــسُّحُبَ الهطْـــلا

بعـــضُكَ في الجـــودِ ككـــلِ الـــورى ... فاعجـــبْ لـــبعضٍ يعـــدلُ الكـــلا

---

(١) هذا من غلو الصوفية في الصالحين وافتتانهم بهم.

فقال: لقد أشبهك في بيتيك، لا بل أربى في سوء الأدب عليك، فمن أعار الليث لقاه، فبماذا يلقى عداه، ومن أعار السحب الهطل فقد خلت عن الهطل يداه، ولو أبدل أعار بعلّم، واحترز من عموم البيت الثاني كان أسلم، إذ يلزمه أن يكون بعض هذا الممدوح، مساويًا في الجود الورى حتى الكليم والروح، لقد أخطأ وأحال، ويا ليته قال:

علّمتَ ليثَ الشرى وثوباً والسحبَ علّمتهنَّ هطْلا
حاشاكَ ذمٌّ وكلُّ ضدٌّ فصحَّ قولي حاشا وكلاّ

ثم قال: قد أريتك الباعث، فأنشدته قول الثالث:

لو كنتَ محتاجاً إلى درهمٍ لكانَ بالمدَّاح لي أُسوَهْ
وكانَ مَنْ لا يعطني أهجهُ فالحمدُ لله على الثروهْ

فقال: هذا نظم على الفتوح، فهو كجسد بلا روح، وتقدير ضمير الشأن بعد قوله وكان يحيي به الميت، وإلا خرب البيت، وشاهد هذه النفيسة، إن من يدخل الكنيسة، فتنبه إليّ، وانظر كيف أخذت هذا المعنى بكلتا يدي، فقلت:

أنا لو كنتُ مُقِلاًّ ما اصطلى الناسُ بناري
خَلُصَ العالَمُ جمعاً مِنْ يميني ويساري[1]

ثم قال: قد جئتك ببدائع، فأنشدته قول الرابع:

له قباءٌ خلْتُ تطريزَهُ لحسنه تطريزَ خدِّيهِ
ملتفتٌ نحوي كظبي النقا لا ما لظبيٍ غنجُ عينيهِ

فقال: لا معنى بديع، ولا لفظ صنيع، قنع قائله بالوزن والقافية، وجمع بين ثقل لا وما النافية، فلو رآه سقراط أعرض عن حبه بغضًا ولم يعرج، وقال: إن لم يكن معلمًا فدحرج، فاسمع في المعنى تضميني الثمين، الذي أردفت جيش حسنه بكمين، فقلت:

طرزُ قباءِ محبّتي كخدِّهِ ورقمِهِ
ما أعوزَتْ منهُ الظبا إلا طرازَ كَمِّهِ

---

(١) يروى: بيساري.

ثم قال: هكذا النفائس، فأنشدته قول الخامس:

ـأبي مخيِّلَةٌ إذا رقصتْ   رَقَصَ الفؤادُ ونقَّطَ الدمعُ
رَفَعَتْ نقابَ الحسنِ ثم شَدَتْ   فافتنَّ فيها الطرفُ والسمعُ

فقال: لقد بالغ في تلبها ونقصها، بقوله رقص الفؤاد ونقط الدمع لرقصها، فهي إذ معزية لا مهنئة، ونائحة لا مغنية، وفي قوله رفعت نقاب الحسن كلام، وفي قوله افتن عسر والسلام، فدع فساد المخيلة، واسمع ما قلت في مخيلة:

جاءتْكَ في طيفِ خيالٍ حكَتْ   خيالَ طيفٍ هزَّ أعطافَهْ
مصريةٌ في نورِ شاميةٍ   يا حينَ ذي الشمعةِ طوَّافَهْ

ثم قال: كذا من وجهين تجلى العرائس، فأنشدته قول السادس:

بي أغيدٌ لو بَذَلْتُ نفسي   في قبلةٍ منهُ لمْ أنلْها
قلتُ لهُ بينَ عاشقيه   أتاجرٌ أنتَ قال بالْها

فقال: هذا رجل صرف أغيد ضرورة، وجعل الهاء الممدودة مقصورة، وكان يقال: الجمع بين ضرتين، ولا الجمع بين ضرورتين، وبالجملة فما وفق لفصيح إعراب، ولا جاء بمعنى ذي إغراب، فاسمع ما قلت في تاجر، فملأت عينه بالجواهر:

وتاجر شاهدت عشاقه   والحرب فيما بينهم ثائرْ
قال علامَ اقتتلوا هكذا   قلتُ على عينكَ يا تاجرْ

ثم قال: هذا البرق اللامع، فأنشدته قول السابع:

قيلَ لي ماذا يحاكي   قدُّ سعدى قلتُ صعدَهْ
قيل فالريقةُ منها   أيُّ شيءٍ قلت شهدَهْ

فقال: تعمق هذا القائل، وزعم لطف الشمائل، ووجه لقدّ سعدي رفعًا ونصبًا، وجاء في سعدي وصعده بتجنيس سميناه مليحًا غصبًا، وخفي عنه أنه لحن حقيقة، بتأخير أي شيء على الريقة، فالخبر إذا تضمن استفهام وجب تصديره، وسأنشد في المعنى ما يعذب استرقاقه ويملح تحريره، وهو:

قـــالْ حكـــتْ قامـــتُها صـــعدةً   فقلـــتُ لـــمْ تَجْـــرَحُ تعـــديلَها
قـــال فقـــل ريقـــتها شـــهدةٌ   قلـــت فكـــم تقـــصدُ تعـــسيلها

ثم قال: في تعسيلها ثلاث محاسن، فأنشدته قول الثامن:

أحـــسنُ مـــا كانـــتْ كـــئوسُ الطلا   ســـوادحًا[1] يـــبدو بهـــا الخـــافي
فالـــنقشُ نقـــصٌ ومـــن الـــرأيِ أن   ترتـــشفَ الـــصافي مـــنَ الـــصافي

فقـــال: أحـــسن هذا بعض الإحسان في شعره، حيث قال: يبدو بها الخافي تورية بـــسره وجهـــره، وجانس بين النقش والنقص ثم جاء أمرًا بدعًا، وأساء الأدب شرعًا، إذ تـــسهل في الأمـــر، وجعل من الرأي ارتشاف كأس الخمر، إلا أن يريد رأي السقاة، ولا يريد رأي الثقات، فيحسن إذا له الخلاص، وإلا فلات حين مناص، ثم قال: اسمع في المعنى أسد القولين، وانظر إلى بردتي كيف حوكت على نولين، وأنشد:

دعِ الكـــــأسَ مِـــــنْ نقـــــشِها   فـــــصاف بـــــصاف أحـــــبّْ
إذا ذهـــــــــبتْ بـــــــالطلا   فقـــــد طُلِـــــيتْ بالـــــذهبْ

ثم قال: بساط الأدب واسع، فأنشدته قول التاسع:

دَعْـــهُ ونـــتفَ العـــذارِ إذْ مـــا   يـــسَّرَ وصـــلي حـــتى تَعـــذَّرْ
بالنـــتفِ ثم النـــبات يبقـــى   عـــذاره الـــسكرَ المكـــرر

فقـــــال: قـــوله دعه ونتف العذار، يحتمل التوبة عنه والإصرار، وفي قوله: يسر وصـــلـــى حـــتى تعذر ثقل، لا يعرفه من أهل الذوق إلا الأقل، فإن قيل أحسن في تورية تعـــذر، ولطافـــة النبات وحلاوة المكرر، قلت: على وجه التشنيع، كما قال البديع، حتى وحـــتى، حـــتى تـــنقطع الحـــاء والتاء وأيضًا فحسن اللفظ مطلوب، ولله قولي على هذا الأسلوب:

---

(١) يروى: سوادجا.

معـــــذَّرٌ عــــشتُ بتقبــــيله فمــتُّ مــنْ عشقٍ[1] وَمَنْ عاشَ ماتْ
فثغـــرُهُ والــــشعرُ في خــــدِّه هــذا سُــنيناتٌ وهــذا نــباتْ

ثم قال: ما كل شاعر فقيه ولا كل فقيه شاعر، فأنشدته قول العاشر:

قــد بــدا وجــدي بــباد ورقيبـــي فــيه حاضـــرْ
نــا في بحـــرِ هـــواهُ واقـــعٌ والقلـــبُ طائـــرْ

فقال: شغله البادي والحاضر، والواقع والطائر، فوالى بين أربع دالات، حتى كأنه رهــن على هذه الثقالات، وكأنه ما وقف على ما فعله الوهراني[2] في مثله، ولا علم ما جرى على المتنبي من بيتي العظام والقلاقل من قبله، فلله اعتمادي، في وصف مليح بادي، فقد أفرغ الجبن، في قالب الحسن، فقلت:

جاءَنـــا ملتـــثمًا مكتــتمًا فدعـــوناهُ لأكـــلٍ وعَجْبـــنا
مــدَّ في الـــسفرةِ كفًّـــا تـــرفًا فحـــسبنا أنَّ في الـــسفرةِ جُبـــنا

قال الحاكي: فلما أتم القاضي قوله، أطلت شكره وشكرت طوله، وقلت: قد بان ـأن مقاطيعـــنا العشرة خاملة، وأن عشرتك تلك عشرة كاملة، ثم استغفرت ربي، ومن حتقاري له بقلبي، وعوذت بالله ذهنه، أن يرضى بمنبج وهي كليلة ودمنة، فقال: اسمع أيها لمتعصب، لكثير الفضيلة على هذا المنصب، وأنشد:

---

(١) يروى: عشقي.

(٢) هــو ركن الدين الوهراني محمد بن محرز أبو عبدالله المعروف بركن الدين الوهراني، وقيل جمال الدين أحد ظرفاء العالم وأدبائهم.

قدم من المغرب إلى مصر، وهو يدعي الإنشاء فرأى الفاضل والعماد وتلك الحلبة، فعلم أنه ليس من طبقتهم فسلك ذاك المنهج الحلو والأنموذج الظريف، وعمل المنام المشهور وله ديوان ترسل.

قــدم من دمشق وأقام بها مدة، وبها توفي سنة خمس وسبعين وخمس مائة [انظر: الوافي بالوفيات للصفدي- باب محمد، ووفيات الأعيان وأبناء أهل الزمان لابن خلكان].

وإذا رأتْ عيـناي عـالي رتـبةٍ بلـغ المعـاليَ وَهْـوَ غـيرُ مهـذبِ
قالـت لي الـنفسُ العروفُ[1] بفضلها مـا كـان أولاني بهـذا المنـصبِ
فأقـولُ يـا نفـسُ ارجعـي وتأدَّبي وثقـي فمـا الحـسدُ الذمـيمُ بمذهبي
هـي سُـنَّةُ الدنـيا فَكَـمْ مِنْ فاضلٍ في الخـاملين وكـم تُـرفّع مِـنْ غبي

وكفاني تأدبا، ما قلت في الصبا:

قـلْ لمـنْ لامَ لكـوني في مكـانٍ غـيرِ طائـلْ
هكـذا الفاضـلُ مثلـي عـندَ قـسمِ الـرزقِ فاضـلْ

قال الحاكي: فقلت أيها القاضي لقد أعجبتني برضاك وأدبك، فلأن يعاب الزمان فـيك خـير من أن يعاب بك، ثم سألت الصفح عما قدمت، وودعته للرحلة وعزمت، وآلـيت بـآي الكتاب، أن لا أزدري بعدها بشاب، فسبحان من يؤتي من يشاء الحكم صبيًّا، ويخص بعض البقاع بمسك ضائع وإن كان ذكيًّا.

المقامة المشهدية

حـدث إنسان، من معرة النعمان، قال: لما أنست النفس شهرة شهر نيسان، الذي هو لمنطق الطير فصل، ولعين كل حيوان إنسـان، وقد جللت البسطة من السندس بـسطا، وكللت الأغصان من زهـر الزهر سمـطا، ورضيت الرياض عن سحب أذيال الـسحاب علـيها، ونظـرت العيون بنظرها إليها، حنـت النفوس إلى معاودة العوائد، وحـثت علـى مشاهدة المشاهد[2]، وارتقبت فرح المفـرح ومألفها، ولوت عنقها عمن عـنفها، وطلبت مركزها من دائرة الديور، ورأت تقـاعدها عن مقاعدها بتلك القصور مـن القصـور[3]، فغلبت النفس اللوامة، ولبسـت للسفر لامة، وحصلت على المسرة

---

(١) يروى: الصروف، وهو خطأ.

(٢) يقصد بهذه المشاهد قبور الأولياء وأضرحتهم، وسيأتي ما يدل على إنكاره لذلك وتحريمه.

(٣) بـين القـصـور والقصور جناس تام، الأولى: بمعنى المباني العظيمة، والثانية: من قصر في الأمر قصورًا.

ورجعت، وشرعت في الرحلة وأسرعت، فبينا أنا أفلي الفلا، وإذا غبار قد علا، فأعجزني كونه، وأزعجني لونه، فرقبته على رأس جبل رقيته، وحسبته أمرًا خشيته، فانقشعت سحب حجبه، عن أمير كبير في طلبه، فحين دنا مني، سألني عني، وقال: من أين وردت؟ وأي مكان أردت؟، فأنبأته بصدقي عن قصدي، وأطعته فأطلعته على ما عندي، فقال: لقد بطل هذا أيها البطل، وظهر لأئمة الأمة فيه الخطأ والخطل، ولقد صدق خبر جهين، وصدقك دون مين، ولولاي لغاب خبرك وخيرك، وخاب سبرك وسيرك، أطلابًا للمحرم وربيعه صفر، وارتكابًا لمأثم حتى على سفر، فقلت: بأبي أنت وأمي، أوصل الخبر إلى فهمي، فقال: لقد أفتى المفتون، أن مشاهد المشاهد مفتون، وها أنا قد جردت من دار العدل المعمور، لأغيب حاضري المشاهد وأزري على زائر الديور.

وأصدُّهُمْ عنْ بدعةٍ عَظُمَتْ فخيفَ لها السطا
وأردُّهُم عنْ خطةٍ أُلِفَتْ فألقتْ في الخطا

فقلت أيها الأمير الجليل، هل أبدى لهذا التحريم دليل، فقال: لقد ذكر لذلك أدلة، تدع أعزة حاضريها أذلة، منها شدُّ رحالهم إلى غير المساجد الثلاثة، ومشاركتهم أهل الكتاب في الأعياد والخباثة، وتشبههم بالمجوس في إضرام النار، وإضاعة المال المنهي عنها في الأخبار، واختلاط النساء بالرجال، وركوب الأخطار والأوجال، ولهوهم عن العبادة والجماعات، وإقبالهم على اللعب والسماعات، ومحاكاتهم الجاهلية في أسواقها، وإحداث أحداث العشيرة في الشريعة ما ليس من قياسها ولا سياقها، وزيادة عيد ما وردت به الرسالة، وارتكابهم أمرّ أمر مبتدع وكل بدعة ضلالة، ويغني عن هذا كله خبر فرد "كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد"(١)، هذا مع ما أحاط به علم الناهي، من دلائل لا حصر لها ولا تناهي، مما يقصر عن بعضه أشباهي، فارجع أيها المسكين إلى بلدك، واحرص على تقويم أودك، واستغفر لذنبك، وتب إلى ربك، من هذه البدعة التي

---

(١) أخرجه البخاري في "الصلح"، باب: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود- (٢٦٩٧)، ومسلم في "الأقضية"، باب: نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور- (١٧١٨).

من استحلها من الأنام، خيف عليه الردة عن الإسلام[1]، واحمد الله على تمييز الحال، بين بيوت الهدى والضلال، فقد ارتاحت أرواح أهل روحين[2]، وترك أهل تيزين[3] التزيين، وتوفرت على الإنسان العين، وفطن أهل سرمين[4] لسر المين، وتاب أعيان عينتاب[5]، وما عزّ على ناسكي ساكني عزاز[6] هذا الصواب، وأصبح به أهل الباب أهل الباب، وضحكت له ثغور الثغور، ودارت الدوائر على الديور، وغير طور الطور، وكنس أثر كنيسة[7] أريحا، وخلصت الرزيئة من الرزيئة خلاصًا صحيحًا، وغاب السريا عن مشهد أوريا، وفاضت عيون الغيض سرورًا، وأصبح الأنصاري بالأنصاري منصورًا، والأمل من رافع الأكم، ودافع السقم، وغاية القسم، أن تبطل هذه المعرة عن المعرة، وأن يسري إليها العتق حتى تصير مثل البلاد حرة، لئلا يقول عنهم شماتهم، سواء محياهم ومماتهم، ولئلا يقرأ لهم ذو حلم، معرة بغير علم، فلو كشف الغطاء عاجلاً، لسعى فارسهم في إبطاله راجلاً، وهب أنه قطعت سوق السوق، وجدعت أنوف الفسوق، وأمر عيش الحلاويين، وهوى سماك السمّاكين، وذهبت شوا بائع الشوا، وأصبحت التجار، تجأر ولا تجار، وخسر طلاب الجلاب، وانقطع نشاب النشاب،

---

(١) انظر: كيف أطال في بيان دلائل تحريم السفر والارتحال لقصد تلك المشاهد لما يكون عندها من الشرك وقصد غير الله تعالى والتوجه إليه، ودعائه وطلب الحوائج منه، ولذا قال في هذه البدعة: "من استحلها من الأنام، خيف عليه الردة عن الإسلام".

(٢) بضم أوله وسكون ثانيه وكسر الحاء المهملة وياء مثناه من تحت وآخره نون: قرية من جبل لبنان قريبة من حلب [معجم البلدان- (٨٧/٣)].

(٣) بعد الزاي ياء ساكنة ونون: قرية كبيرة من نواحي حلب، كانت تعد من أعمال قنَّسْرين، ثم صارت في أيام الرشيد من العواصم مع منبج وغيرها [معجم البلدان- (٧٧/٢)].

(٤) بفتح أوله وسكون ثانيه وكسر ميمه ثم ياء مثناه من تحت ساكنة وآخره نون: بلدة مشهورة من أعمال حلب، وقد ذكر الميداني في كتاب الأمثال أن سرمين هي مدينة سدوم [معجم البلدان- (٢٤٣/٣)].

(٥) قلعة حصينة بين حلب وأنطاكية [معجم البلدان- (١٩٩/٤)].

(٦) بفتح أوله وتكرير الزاي وربما قيلت بالألف في أولها والعزاز أرض صلبه، وهي بليدة فيها قلعة [معجم البلدان- (١٣٢/٤)].

(٧) في الأصل: كنسية.

وخـــاب حـــزر الحروزية، وانقبضت بسطة البسيطة وسدت الطرق على الطرقية، وأقسم الأقـــسماوي، أن هـــذا أمـــر سماوي، وغابت أقمار المقامرين، وأخمل أصحاب الحديث حديث للمسامرين، وبطل التفاف التقاف، وعطل التقاف التقاف، نفرت ظباء الغنى ولا بـــدع أن تنفر، وألقى المشبب الشبابة وقال كم مثلها فارقتها وهي تصفر، وكورت شمس الـــشعراء وزمر الزمر، وكفت أحزاب النساء عن ممتحنة المجادلة إذ قضي الأمر، وزهدت نفوسهن في نقوشهن، وتعدين عن حدودهن، في تخمير تحمير خدودهن، وأنفن من تحسين الأنوف، وتركن القروط والشنوف، وما ألوين على لبس الملون، وخلين الخلاخل تخلية من هون، فلقد ذاق أبو مره، بذلك الجرعة المرة، وآلت عليهم الشريعة الشريفة ألية بره، أن لا تجعـــل لهم إلى مشاهدة المشاهد كره، وعزل عن المشهد سلطانه الزور، وأغمدت سيوف لعبه بمفرق جمعه المنذور.

أسمـــاء مملكـــة في غـــير موضـــعها | كالهـــرِّ يحكـــي انـــتفاخًا صولة الأسد

فقلت أنشدك الله أيها الأمير، وأقسم عليك بالعليم الخبير، من هو المنبه على هذا الأمر؟ والمطفئ لشرر هذا الجمر؟، فأبرّ قسمي في الحال، وأنشدني بارتجال:

ســـألتُ مـــنِ الناهـــيْ عن البدعِ التي	يظـــلُّ لهـــا[1] المنطـــيقُ وَهْوَ صموتُ
هـــوَ ابـــنُ الزَّمَلْكانِي[2] الهمامُ الذي له	تُقـــى وفـــنونٌ جمَّـــة وقـــنوتُ
إمـــامٌ مـــتى يذكـــرْهُ في العلـــمِ ذاكرٌ	تقـــرُّ لـــهُ في المعـــضلاتِ رتـــوتُ
أولـــو الفـــضل والآدابِ والعلمِ والحجا	لديْـــهِ إذا جـــدَّ الجـــدالِ سُـــكوتُ
ومـــا تـــنفعُ الآدابُ والعلـــمُ والحجـــا	وصـــاحبُها عـــندَ الكمـــالِ يمـــوتُ

فلمـــا علمـــت أن مـــولانا قاضـــي القضـــاة كمال الديـــن، شـــيخ الإسلام والمسلمين، لازال نداه مثل حرف النداء، كفيلاً بضم الأقربين والبعداء، من وصل به نال عـــرفًا، واكتسب تابعه على اللفظ والمحل عطفًا، حتى يكون علمه علمًا منصوبًا، وعواطفه للمعـــارف خبرًا مبتدأ به منسوبًا، ولا برح مرفوعًا بفعل الحسنى، وسيوف بحوثه ماضية

---

(١) في الأصل: بها.

(٢) في الأصل: الزملكي.

فهـي علـى الفـتح تبنى[1]، هو الذي بدع أهل هذه البدعة، وأطفأ شمعة السمعة، وأمر بالمعـروف المعروف، وقبح العكوف على هذا المألوف، وسد فرج الفرج، وداوى جرح الحرج، ونبه على لغط الغلط، وكسر سقط السقط، فحينئذ رجعت عن قصدي وأطرحت كلفتي، وأقسمت بفرحتي، قبل حلول حفرتي، لأتركن حرفتي، ومن للقاضي المسكين، من الذبح بغير سكين.

وأجـبت مَـنْ يلحى على تركِ القضا ... تلـفُ العـدوِّ علـى العـدوِّ رخيصُ
قَـدْ قـيل لي قـاضٍ فـأيُّ مـزيَّةٍ ... لاسـمٍ هـو المـستثقلُ المـنقوصُ

فلأعملن على المقام بين يدي هذا الإمام، الذي من فوت فوائده، فكأنما وتر ولده وعقَّ والده، ولأستشفعن به إليه، في الإقامة بين يديه، ثم فرغت لي ذهنًا، ونظمت قصيدة في هـذا المعنى، اغترفتها من بحره، وأعذتها بستره، من القدح في رمادها، والعدول بها عن مرادها، وهي:

طـولُ المقـامِ بـدارِ الحـرثِ برَّحَ بي ... فالحـزمُ رجعايَ عن قصدي وعن طلبي
أفنـيتُ عمـري بـلا علمٍ علمتُ ولا ... خـيرٍ عملـتُ ولا مـالٍ ولا أدبِ
إنَّ الـضياعَ ضـياعٌ للـزمانِ ومَـنْ ... يـلِ المناصـبَ لا يـنفكَ ذا نَـصَبِ
والعجـزُ أوجبَ لي سلبَ الخمول ولو ... شـلْتُ الحمـول مع الركبانِ لم أجبِ
رضـيتُ راحـةَ روحي فاحتُقِرْتُ ولو ... تعـبتُ نلـتُ رخـيمَ العيش في التعبِ
ومـذْ صحبْتُ سوى جنسي ضنيتُ به ... والـشَّمعُ لـولا جـوارُ النارِ لم يذبِ
أمـرِيَةٌ بعـدَ تجريبـي فلـستُ وإنْ ... رامـتْ مطامـعُ تجـري بي[2] بمنقلبِ
أمْ هـلْ أشـكُّ وقـدْ جـربتهم زمناً ... وعفْـتُ أكـرمَهم[3] رمـياً فلا وأبي

(١) هذا من بديع التورية.

(٢) في نسخة: "تجريبـي"، والمذكور هنا أولى لما فيه من جناس بين الاسم والفعل.

(٣) في نسخة: أكثرهم.

كمْ ذا[٣] أصاحبُ ذا جهلٍ أُساءُ به ... ترى[١] السلامةَ منهُ خيرَ مكتسَبِ

مَّمنْ أراهُ صديقاً في اليسارِ وَلَوْ ... مالَ الزمانُ تولى مسعدَ النوَبِ

فسمعُهُ عنْ مقالِ الصدقِ في صممٍ ... وقلبُهُ عن فعالِ الجدِّ في لعبِ

إنْ أبكِ يضحكْ وإنْ أعقلْ يجنَّ وإنْ ... أقرَّ يعبثْ وإنْ أحضرْ لهُ يغبِ

وليس يكشفُ عني ما أكابدُهُ ... وما أقاسيهِ منْ هَمٍّ ومنْ وصبِ

إلا إمامُ الهدى قاضي القضاة وَمَنْ ... أحيا العلومَ وأعلى رتبةَ الأدبِ

شيخُ الأنامِ وحيدُ العصرِ جامعُ أش ... تاتِ الفنونِ بلا مَيْنٍ ولا كذبِ

لو لم تكمَّلْ به العليا مراتبُها ... ما قيلَ عنهُ كمالُ الدينِ ذو الرتبِ

ابنِ الأفاضلِ والغرِّ الأماثلِ وال ... شهبِ الكواملِ[٢] ردءُ الناسِ في الشَغَبِ

زينُ المدارسِ جلابُ[٤] النفائسِ غَلْ ... لابُ المنافسِ معطي القاصدِ الجدبِ

محيي الثغور ندىً محني الكفور ردىً ... مولي الشكورِ هدىً كفَّاهُ كالسُّحُبِ

يا كاملَ الفضلِ جمَّ البذلِ وافرَه ... جوداً مديدَ القوافي غيرَ مقتضبِ

إني أحبُّ مقامي في حماكَ وَمَنْ ... يكنْ ببابكَ يا ذا الفضلِ لم يَخِبِ

فليتني مثلُ بعضِ الخاملينَ ولا ... تكونُ توليةُ الأحكامِ منْ سببي

فالحكمُ مَتْعَبَةٌ للقلبِ مَغْضَبَةٌ ... للربِّ مَجْلَبَةٌ للذنبِ فاجتنبِ

وإن تكنْ رتبتي في البرِّ عاليةٌ ... فالكونُ عندَكَ لي أعلى من الرتَبِ

فانظرْ إليَّ وجُدْ عطفاً عليَّ عسى ... رزقٌ يعينُ على سكنايَ في حلبِ

والبرُّ أوسعُ رزقاً غيرَ أنّيَ في ... قلبي منَ العلمِ والتحصيلِ والطلبِ

وفي المدارسِ لي حقٌّ فما بُنيَتْ ... إلا لمثليَ في حجرِ العلومِ رُبي

---

(١) في نسخة: يرى.

(٢) في نسخة: الثواقب.

(٣) في نسخة: لي.

(٤) في نسخة: حلاب.

أهـلُ الإفـادة[2] والفـتوى أنا ومعي ... خـطُّ الـشيوخِ بهـذا فامـتحنْ كتبي

و[3]إنَّ في عمـرٍ عـدلاً ومعـرفةً ... فكـيفَ يُـصْرَفُ عن هذا بلا سببِ[1]

قالـوا فلـمْ تطلبِ العزلَ الذي هربَتْ ... مـنهُ القـضاةُ قـديماً غايـةَ الهـربِ

فقلـتُ نحـنُ قـضاةَ الـبرِّ مهملـةٌ ... أقـدارُنا فَهْـيَ كالأوقاصِ في النصبِ

مَـنْ كـان مـنَّا جـريًّا أكرموه وول ... لـوه المناصـبَ بالخطْـباتِ والخطبِ

ومتقـي اللهِ مـنَّا مهمـلٌ حـرجٌ ... مـروَّعُ القلـبِ محمـولٌ على الكربِ

لا يعـرفونَ لـهُ قـدراً وعفـتُهُ ... يخـشَونَ إعـداءها للـناسِ كالجـربِ

إنْ دامَ هـذا وحاشـاهُ يـدومُ بـنا ... فارقْـتُ زيـي إلى مـا ليسَ يجملُ بي

وقلـتُ يـا فقـهُ فقتُ المثْلَ فيكَ فلمْ ... خصـصتني بمكـانٍ مـا ارتـضاهُ غبي

وكـيفَ يـا نحـوُ نحوَ الخفضِ تعطفني ... وَقَـدْ نـصبْتَ قـسيَّ الجزمِ في نصَبي

تـرى بقـولي زيـدٌ ضـاربٌ مـثلاً ... عمـراً أردتَ تجـازيني علـى كـذبي

ويـا أُصـولُ إلى كـم ذا أصولُ ومنْ ... غـيرِ الـدعاوى ومني الصدقُ في طلبي

ويـا بديـعَ المعـاني والبـيان خذي ... غـيري فقـدْ أخـذَتْني حـرفةُ الأدبِ

يـا سـيدي يا كمال الدينِ خذْ بيدي ... مـن القـضاءِ فمـا لي فـيه مِنْ أربِ

الـبرُّ يـصلحُ للـشيخِ الكـبيرِ ومـن ... رمـى سـهاماً إلى العلـيا فلم يُصبِ

أمـا الـذي عُـرِفَتْ بـالفهمِ فطرتُهُ ... فإنَّـهُ في مقـامِ الـبرِّ لم يطـبِ

لا زلـتَ عـوناً لأهـلِ العلمِ تكنفهم ... مـا لاحَ بـرقٌ وناحَ الورقُ في القضبِ

---

(١) هذا من بديع التورية حيث ذكر العدل والمعرفة والصرف وهي من مصطلحات النحو؛ لأن "عمر" يمنع من الصرف للعلمية والعدل، ولكنه لا يريد ذلك؛ إنما يريد ما عرف به عمر من العدل ومعرفة الله تعالى ونحو ذلك.

(٢) في نسخة: الإعادة.

(٣) في نسخة: "فـ".

وقال إجازة بقراءة الألفية لابن ريَّان

أمـــا بعد حمد الله الذي منح خلاصة النحو كلَّ مقرب، وفتح لمن برزت ضمائره في طلـــب العلـــم باب معرفة وهو باب صحيح مجرب، والصلاة على رسوله محمد الذي شـــهدت مسئلة تنازع الفعلين بفضله فإن كان الأنبياء عليهم السلام أسبق فنبينا صلى الله عليه أقرب، وعلى آله وصحبه الذين نزهوا عن الأفعال الناقصة والمقاربة فبنى بهم الإسلام علـــى الفتح، فلله هو من مبنيّ معرب، فقد قرأ عليّ القاضي شهاب الدين أحمد ابن ريان جعلـــه الله وقـــد فعل فقيه أهله، ولا صرفه عن علميته ووزن فعله، جميع كتاب الخلاصة الألفية، في علم العربية، للعلامة جمال الدين أبي عبدالله محمد بن مالك روى الله بسحائب الـــرحمة ثرى لحده، وصرفنا وإياه ببركة سميه عن سمي جده، وما اكتفى بذلك حتى شرح علـــيّ شرحها لابن المصنف من أوله وآخره، ووقف على معانيه ومغازيه وباطنه وظاهره، وأدأب نفـــسه في شرح هذا الشرح الطويل، وعول على إدراك أسراره أيّ تعويل، فنحا نحـــوه بفهـــم ثاقـــب دراك، وتصرف في تصريفه تصريف الملاك، وفاز بحمد الله بخلاصة الـــشرح وشـــرح الخلاصة، وظفر بهمته الشامخة وعزمته الباذخة بخلاصة الشرح وشرح الخلاصـــة، وصـــار أهلاً لإقراء هذا الكتاب وأصله، وأعرب عن ذهن وقاد يشهد بفطنة فطـــرته وفضله، وأخبرته أن شيخنا قاضي القضاة شرف الدين بن البارزي الحموي حبر الأمـــة وعـــالم عالمهـــا، أجازني بالخلاصة عن ناظمها، وأخبرني على صدق لهجته وعلو مقداره، أن هذه الخلاصة صنفت له وفي داره، فهو إذن أحق العالم برفع رايتها، ومن أولى الناس بروايتها.

وله إجازة بعرض الكافية في النحو

أمـــا بعـــد حمد الله المقدمة رحمته، الكافية نعمـــته حمدًا يبلغ به المقرب خلاصة التسهيل، ويمسي به مفصل الجمل وهو بإيضاح العمـــدة كفيل، والصلاة على نبيه محمد الـــذي ألف التقوى، ولام أهل العدوى، ودال على كل كاف من أهل العـــناد، وذال إذ قـــصر ثـــيابه فطمس عين أهل الشرك وفاء بعين المراد، وباء من إسرائه الشريف بما صاد الأضـــداد، وشين حاسده بما بان لكل راء في يس وص، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أفـــضل من جاهد وصبر ما نصب بأن الاسم ورفع الخبر، فإن فلانًا عـــرض عليّ المقدمة

الكافـــية والله يؤتـــيه فيما حفظ فهمًا يعجب الناظر ويسر الصاحب، وعملاً يقول عنده المصنف أفدي هذا العارض بالحاجب.

وله من إجازة ببهجة الحاوي من تصنيفه

أمـــا بعد حمد الله مثيب من اغترب ليتفقه، والصلاة على محمد الذي لم يزل خيرًا من خير على أيِّ صفة كان من أصل الخلقة، وعلى آله وصحبه الذين علموا وعملوا بقوله تعالى: ﴿**فَلَـــوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ**﴾[1]، فقد قرأ عليّ فلان ذو الذهن الوقاد، والفكر المنقاد، جمل الله بـــبقائه الملة، وكثر في الناس أمثاله ففي الأذكياء قلة، جميع كتابي المنظوم في الفتاوي، الموسوم بـــبهجة الحـــاوي، حفظًـــا من لبه، وطردًا أمن به عكسًا عن ظهر قلبه، قراءة زاد بها البهجة ابـــتهاجًا، وألـــبس عروســـها المجلوة بحسن أدائه تاجًا، وضوع منظومه برائحة المنثور وصير لتحـــصيلها بقلب طيب، فصدق قول أبي الطيب، أن العظيم على العظيم صبور، وكان حفظه لها في مدة ليست مديدة، وأشهر كما يقال غير عديدة.

فـــــيا لَـــــهُ مِـــــنْ نَحـــــيفٍ   قـــــدْ صـــــارَ ضـــــخمَ المعـــــالي
والـــــسهمُ أبعـــــدُ مرمـــــى   مـــــنَ الـــــرماحِ الطـــــوالِ

وبعـــد أن أداهـــا حفظًا، بحثها عليّ لفظًا لفظًا، فزاد بعرضها طولاً، وتلوت عند بحـــثها ﴿**وَلَلآخِـــرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأولَى**﴾[2]، فإنه وقف على أسرارها ورموزها، وتنبه لـــدقائقها وكنوزها، على وجه جزمت معه بذكائه وفضله، وعلمت أنه صار أهلاً لأقرأه هذا الكتاب وأصله، والله المسئول أن يطيل عمر هذا الشاب الذكي ويبلغه ما كان طالبًا، ويرفع قدر هذا الشمس حتى يكون:

كالـــشمس في أفـــق الـــسماء ونورها   يغـــشى الـــبلاد مـــشارقًا ومغاربًـــا

فكأن الجد في التحصيل قال له عليك أثني، قائلاً قلت أوليائي فهب لي من لدنك وليًّا يرثني.

---

(١) التوبة: ١٢٢.

(٢) الضحى: ٤.

وله من إجازة بعرض حنفيّ

كتاب البداية

أما بعد حمد الله على حسن البداية، والصلاة على نبيه محمد الموصوف في الكتب بما فيه الكفاية، وعلى آله وصحبه سفن النجاة ونجوم الهداية، فقد عرض عليّ محمد بن الحسن الحنفي من كتاب البداية مواضع وافرة، أوائله وأوساطه وأواخره، فجرى فيه بلسان رطب فصيح، جرى من جمع بين طرفيه بالياء والنون وهذا جمع السلامة وبالفاء والواو وهذا جمع التصحيح، فهو نجيب من نجيب، لا بل عجيب من عجيب، لا بل علم من علم، ومن يشابه أبه فما ظلم، والله تعالى يرزقه العلم والعمل بما في الكتاب، وغير بدع لمحمد بن الحسن أن يعد من الأصحاب.

وله من إجازة بعرض كتاب التنبيه

أما بعد حمد الله الذي زاد أهل العلم علاء، والصلاة على نبيه محمد أطيب العالمين ثناء، وعلى آله وصحبه الذين ملأت الدنيا محاسنهم ضياء، صلاة دائمة يكملون منها شرفًا ويزيدون بها بهاء، فقد قرأ عليّ علاء الدين أدام الله علو قدره، ومتعه بنور شمسه وبدره، جميع كتاب التنبيه للشيخ العلامة ولي الله أبي إسحاق الشيرازي سقى الله ثراه عهاد الرحمة، ونفعنا به وبسائر علماء الأمة، في مجالس آخرها كذا قراءة متقنة فصيحة، محكمة صحيحة، دلت منه على همة شامخة، وعزمة باذخة، مضى في حفظه طردًا فأمن من العكس بذلك الطرد، وسرده بتقدير فلله من قدر في السرد، وجمع بين طرفيه جمع من هو بالتحصيل ملي، وصقل فقرأت كلمة فلا سيف إلا ذو الفقار وفاق به أمثاله فلا فتى إلا علي، وجرى فيه كسوابق الخيل، فلئن كان العارض عليًّا فالمعروض في السرعة كجلمود صخر حطه السيل، وقد أجزت له أن يرويه عني وجميع ما لي من منقول ومعقول بشرطه، عند أهل ضبطه، والأمل ممن جعله من حفاظه، أن يرزقه بحث ما تحت ألفاظه، حتى يقول عنه كشف المعاني وحلها، قضية ولا أبا الحسن[1] لها، ليعد بمعرفة كتابه هذا من القوم، ويشتهر في تحقيقه فمن أحب التنبيه أبغض النوم.

---

(١) في نسخة: حسن.

ومن تهنئة بقدوم من الحجاز

يـا عالمـاً عـاملاً قـدْ جـلَّ تشبيهاً عـنِ الـبدورِ وفي العلـياءِ يحكـيها

وفاضـلاً فاضـلاً تحـوي بدايـتُهُ مِـنَ الـنهايةِ تهذيـباً وتنبـيها

لا مـا حججـتَ بـلِ الآدابُ أجمعُها ومـا قـدِمْتَ بـلِ الدنيا وما[1] فيها

قـد طافـت كعبة الجود، بكعبة الوجود، وسعى ذو الصفاء والمروة، بين الصفا والمروة، وكان وادي محسر مفتوح السين لرؤياه، فتأرج بالركنين من قلبه ورياه، وأصبح أعداؤه محصرين، وأمسى من المحلقين، وحساده من المقصرين.

ومن رسالة

قـد قـيدنا بالإحسان، وبلّ أجنحتنا بنداه فعجزنا عن الطيران، حتى قال أبناؤه كناية عنا، ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا.

وكتب على قطعة من شعر بدر الدين حسن بن حبيب بعد أن كتب عليها الفاضل جمال الدين بن نباتة

تأملـت هذه النبذة الـتي رق من قائلها الطبـاع، فافتـخرت بنظرها الأبصار علـى الأسمـاع، فـوجدتها مشتملة على مباني القوافي الفوائق، والمعاني الرواقي الروائق، فقبسها بدري وكوكبها دري، هاجت لي ذكرى حبيب، فهي زبدة من حلب لابل قطعة مـن طيب، أعذب من الوصال، وألذّ من الماء الزلال، وألطف من الرياض عند الصباح، وأرق مـن رحـيق الطل في ثغور الأقاح، فيالها من مقطعات نيل، أضرمت في روح كل كليم نار خليل، قدر ناظمها في السرد، وقال ناظرها بالجوهر الفرد، ونابت مناب سيوف الهـند، وأغنت عن التشبيب بسعاد وهند، ما أطول صفات شعرها وإن كان قصيرًا، فلو ألقـيت علـى وجه أبي العلاء لأتى بصيرًا، ومن سلك من الجماعة هذا الطريق وهو نقيّ خـدّ، فما الظن به إذا تحلى لسانه وعارضه برسم وحدّ، وكيف به إذا تعلق بأفنان مواد هـذا الفـن وامـتاز، ونـزل بـدر خـده في دارة دار الطراز، هنالك يبين للناظرين

---

(١) في نسخة: بما.

أن الوليد كان عابثًا، وأن ابن حبيب لأبويه في الأدب والنسب أصبح وارثًا.

أقسمتُ إنْ جدَّ وطالَ المدى أروى[1] الورى مِنْ بحرِهِ الزاخرِ
فقلْ لمنْ بالسبقِ تفضيلُهُ كمْ تركَ الأولُ للآخرِ

وما لي لا أصف هذه النبذة فأغلو في وصفها، وقد شهدت الألفاظ النباتية بحلاوتها ولطفها، قرن الله قوله وفعله بالتوفيق، وصان شأنه عمن شأنه فشين الحسن لا يليق.

وله من توقيع بعدالة

الحمد لله الذي زاد رتبة العدالة شرفًا وجاهًا، ورفع منصبها عن سائر المناصب وأعلاها على أعلاها[2]، وجعلها همة من شرفت نفسه وزكت وقد أفلح من زكاها، واختار لها من عباده أقوم قوم ملأوا بالثناء على سيرتهم مسامع وأفواهًا، وتمسكوا للديانة من أسباب تقواها بأقواها، ونزهوا نفوسهم عن نقائص كالليل إذ يغشاها، فظفرت مطالبها بعد المطال بها فإذا هي كالنهار إذا جلاها، أحمده على نعم أولاها ووالاها، وأشكره على منن لو عدها العاد ما أحصاها، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يحبها ويرضاها، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله خير البرية وأتقاها، وأنزه الخليقة عرضًا وأنقاها، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة يسعد ببركتها من صلاها، وتظفر منها النفوس في الدارين بمناها، وبعد؛

فإن أولى ما انتهضت إليه الهمم العلية، وعكفت على تحصيله النفوس الزكية، وانشرحت بمطلبه صدور الصدور، وصلحت بسببه الطروس[3] للسطور، ما كان في الدارين نافعًا، ولمكارم الأخلاق جامعًا، وبذروة العز منوطًا، وفي سائر المناصب الدينية مشروطًا، وهو منصب العدالة التي هي محافظة دينية في السر والنجوى، يجتنب صاحبها

---

(١) في نسخة: رَّوى.

(٢) فيه جناس تام بين الفعل والاسم.

(٣) الطروس: جمع طرس وهي الصحيفة، وبين الطروس والسطور جناس.

البدع فتحمله على ملازمة المروءة والتقوى، ولما كان الصدر الفلاني ممن حسنت سيرته، وأمنت سريرته، وتناسبت أحواله، واعترفت بحسن طريقته أمثاله، وكانت العدالة من مراتب أبيه، ولا شك أن الإرشاد إلى منهاج الوالد من التنبيه، استخار الله تعالى مولانا قاضي القضاة ونوه بتبجيله، وأشهد على نفسه الكريمة بتعديله، جعله الله ممن صدع بالحق، وجلا أمره في عين المعترف وفي قفا المنكر دق، وعصمه من فرقة في قلوب الحكام من تدليسهم دود، وهم على ما يفعلون شهود.

ومن إجازة لضياء الدين سليمان العجمي بنظم الحاوي

أما بعد حمد الله الذي جعل ضياء العلم ناسخًا لظلام الجهالة، والصلاة على نبيه محمد مخمد نار الضلالة، وعلى آله الذين أصبحوا في جهاد العدو آله، وعلى صحبه المسترسلين إرسالاً إلى تصديق الرسالة، فقد أجزت الفقيه الفاضل ضياء الدين سليمان الفارسي، طال بقاؤه، وطاب لقاؤه، أن يروي عني منظومتي الموسومة ببهجة الحاوي في الفقه وجميع ما لي من معقول[1] ومنقول بشرطه مع علمي بأن عجمته تمنع صرفه عن فهم ما يروم، وفارسيته يتناول رجالها العلم ولو كان العلم في النجوم، وذلك بعد أن سمع جميع البهجة عليّ، وتلقف من غررها عني ولديّ، مع فوائد يبخل بها لفساد الزمان، وجدته لها كفؤًا ففهمناها سليمان[2]، والله تعالى يسعفه بإتمام العلم، ويشفعه بالأناة والحلم، ويبلغه قصده بكرمه وفضله، ويمن على أهله ببقائه فهو ضياء أهله.

وكتب على فتوى في الفتوَّة

أما بعد حمد الله الذي من اتبع ما أنزله قُبل، ومن خالف كتابه وسنة نبيه خُذل، والصلاة على رسوله محمد الذي شريعته هي الفتوَّة حقًّا، وطريقته هي المروءة صدقًا، وعلى آله أهل الرأفة والإشفاق، وصحبه المأخوذ عنهم مكارم الأخلاق، فقد غاظني حتى هاضني، وأحنقني حتى خنقني، ما أحدثه أهل الجهل والابتداع، وسكت عنه

(١) في الأصل: مقول، وهو خطأ.

(٢) تضمين لقوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾[الأنبياء: ٧٩].

العلمـــاء حتى شاع في الرعاع وذاع، وهي البدعة التي يجب إعفاء رسمها، والنكرة المعروفة بالفـــتوة وهي ضد اسمها، وكيف لا وقد عكف عليها تُباع[1] الضلالة، ودعا إليه الجهل وأهل البطالة، يجمعون لها الجموع الأنباط، ويحضرها المرد وأهل اللواط، فمنهم من يتصابى على سنِّه، ومنهم من يمشي على بطنه، ومنهم قوم إذا الشر أبدى ناجذيه طاروا إليه، وإن تنحنح ذو سطوة أجابوه بسكين وقرأوا التكاثر عليه، إن أضمرت كلمة الحق ظهروا، وإن بـــني علم الإيمان على الفتح اشتروا، ما أحقهم بنفي الجنس، وما أولاهم بالكسر وجعلهم كأمس.

جنائـــــــــزٌ مجمـــــــــوعةٌ بغْهُـــــمْ كبــــيعِ المفلـــــسِ
لا قــــــــبضَ في صـــــــرفهمُ مـــــا هــــمْ خــــيارُ المجلـــسِ

كـــبيرهم العاصي يزيد تيهًا على الفرات وهو عند الشريعة صغير، ويتصدر فيهم بغـــير علم ولا هدى ولا كتاب منير، يلبسهم لباس شر ولباس التقوى ذلك خير، ويشهد الـــنحاة أن قـــوله عليه من اللوم سرواله موضوع لكن لزم هذا اللابس والملبس لا غير، خـــصوصًا إذا كـــان هـــذا اللابـــس نقيّ الخد، فتلك راية فرح الجماعة والطريق إلى ما يـــوجب الحدّ، ويسقيهم ماء له بالملح مزاج، بئـــس الشراب ولو كان عذبًا فراتًا فكيف وهـــو ملح أجاج، فيشقيهم بما يسقيهم، ويطغيهم بما يعطـــيهم، فيضلون بالبدعة جمعًا، وهـــم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، ويمد لهم خوانًا، يجمع فســـاقًا وخوّانًا[2]، جمع ثمنه من الشـــشم والأنـــزروت، والقرعة والقمار ورمل التخوت، والزبل والكـــنس والحجامة، والدبـــغ والحوك والنجامة، ومن الزفورية والطرقية، وسائر الحرف الدنية، بعدًا من بدعة ســـفلى، وطريقة مثلى، ما سمعنا بمثلها في أمة، ولا ساعد عليها أحد من الأئمة، وما كفى مـــا أتـــوه مـــن الضلال الجلي، حتى أضافوه جهلاً إلـــى الإمام علي، أقسم بالله أغلظ

---

(١) كذا في الأصل: تُبَّاع، جمع تابع.

(٢) بـــين الخِوان بكـــسر الخاء، والخُوَّان بضـــمها جناس، والخوان بالكسر: المائدة، والخُوان: جمع خائن.

يمــين، أن مــستحلها يكذب ويمين[1]، الشيطان بغروره دلاه، فاشترط شروطًا ليست في كــتاب الله، فوقوف كبيرهم لعلة لا لله، ودعوته إلى الباطل في الجملة حيًا كميت، كاذبًا على أهل البيت.

لــيس الفــتى كــلُّ الفــتى عــندنا   إلا الــذي يَنهــى عــنِ الفحــشِ
يــأتي إلى الإســلامِ مِــنْ بابِــهِ   ويتــبعُ الحــقَّ بــلا غــشٍّ

ليس الفتى من ضرب بالسكين والسيف، الفتى من أطعم المسكين والضيف، ليس الفــتى مــن أقام الشنائع وشهر على الأمة السلاح، الفتى من دقق الدرائع وسهر في جمع الكلمة والإصلاح، ليس الفتى من قال بالشاهد، الفتى من يحاسب نفسه ويجاهد، فإن قال أحــدهم أنــا أقضي دين المدين، وأجبر المكسور بتسكين روعة المسكين، وأحمل الثقل، وأطلــق المعتقل، قلنا قصدت به حظ نفسك، وخصصت به أبناء جنسك، ولو سلم هذا فقد أهملت واجبًا لمندوب، وأنت بكذبك على عليّ بن أبي طالب مطلوب.

كــذبتَ علــى آلِ الــنبيِّ بجــرأة   ورحــتَ لأفعــالِ الحــرامِ مــوجِّها
وجــئْتَ بمعــروفٍ تــضمَّنَ منكــراً   كمطعمــةِ الأيــتامِ مِــنْ كــدِّ فَرْجِها

فــإن احتج للفتوة بأخذها عن الخليفة، قلنا إن صح فبدعة وإن أحدثت كتقبيل العتــبة الشريفة، وإنما يصح الاقتداء من الخلفاء بالراشدين، الذين أخذ عنهم العلماء أئمة الــدين، فلا تحرم نفسك الجنة، بمخالفة الكتاب والسنة، وتب إلى ربك من هذه الجهالة، فــإن كــل محدثــة بدعة وكل بدعة ضلالة، وما كان الإسلام ناقصًا حتى تكون هذه له تــتمة[2]، والله تعالى قد أكمل لنا ديننا وأتم علينا النعمة، والراضي بهذه البدعة كفاعلها، أعاننا الله على إزالة أزلها، وإبطال باطلها، فإنها طريقة مذمومة، وفعلة محرمة مسمومة، كم أفــتى بتحــريمها عالم وكم ولي، ولو صحت عن أمير المؤمنين لكانت في القوة كجلمود صخر حطه السيل من علٍ، ولولا خوف التطويل لذكرت ما عليها من دليل،سماها بعض شياطين الإنس فتوة، قصر الله عمره فلا حول وأضعفها فلا قوة.

---

(١) يمين: فعل من مان يمين أي يكذب، والمين هو الكذب.

(٢) هذا كله ما يدل على حسن اعتقاده وسنيته كما نبهنا في المقدمة.

وكتب جوابًا إلى

الشيخ بدر الدين محمد بن مكي المعري بطرابلس

يقـــــــبِّلُ الأرضَ ويُنهـــــــــي إلى علــــومكُم بعـــــدَ الثـــناءِ المــــبينْ

ورودَ مرســـــــومٍ لكــــــمْ ظــــنَّهُ كـــــتابَهُ أُوتـــــيَهُ بالـــــيمينْ

فقـــبله المملوك احتفالاً، ونهض له إجلالاً، وشكر مهديه، وتمعنّ[1] معانيه، فكان وصـــوله أعـــذب من الوصال، ومشموله أطيب من الشمال، شفى بقدومه من كان على شفا، ونفى سهرًا كان للنوم حاجبًا وعلى الناظر مشرفًا، فجعل المملوك يستضيء بأنواره، ويطلـــع على أسراره، ويبتهج بالرقيم[2] الصادر عن كهفه، وتتأكد عبوديته المصونة عن الـــبدل لبيان عطفه، فيجد نظمًا ونثرًا، لا بل تأهيلاً وجبرًا، فالأرواح تقل لهذا الجبر عن مقابلــــه، والأشباح تكل لهذا الخط واللفظ عن مماثله، ثم إن المملوك امتثل المرسوم المشرف لقدره، وجهز صحبة قاصد مولانا شيئًا من نظمه ونثره، ولولا مرسومه الشريف لما جهره أصـــلاً إذ لم يـــر ذلك لحضرته العالية أهلاً، والمملوك يسأل بسط عذره لديه، ففي المثل المـــشهور السخيّ بما قدر عليه، وفي فتوة مولانا ما قابله لا بجده بل بصفحه، وتطول على تقصيره بفضله فهو رماد لا فائدة في قدحه، وأما نظم الحاوي المطلوب فالمملوك مهتم في نـــسخه لمولانا وبرسمه، ومقابلته إن شاء الله تعالى وتشريفه باسمه، تجهيزه إليه، ليحصل له البركة بوقوع نظره عليه، والله تعالى يكمل بحياته الفتوح، حتى يحيى بزمان محمدك الخضر كل خليل كليم الروح، والسلام.

وله من تعزية بامرأة

أعظـــم الله أجر سيدي وأجزل له المثوبة، وجعلها آخر كل مصيبة، ومتع بحياته المسلمين، وجمل ببقائه العالمين.

---

(١) في الأصل: تمعي.

(٢) الرقيم: اللوح يتخذ للكتابة يرقم فيه أي يكتب.

وماضـــية إلى الـــرحمنِ أضـــحتْ أجـــلّ نـــساءِ أهـــلِ العـــصرِ صَـــيْبا

مـــــــباركةٌ ممـــــــــنَّعةٌ رزانٌ تـــردُّ عـــن النِّـــسا ذمًّـــا وريْـــبا

قـــرينةُ زاهـــدٍ لـــولاهُ كانـــتْ تـــشيبُ رءوسُ أهـــلِ العـــصرِ شَـــيْبًا

تحِـــنُّ علـــى الفقـــيرِ حـــنينَ أمٍّ وتـــرحمُهُ فُـــوَيتَ[1] المـــوتِ وَيْـــبًا

تـــزيدُ علـــى الـــرجالِ نهـــىً وعقـــلاً ومـــا التأنـــيثُ لاســـمِ الـــشمسِ عَيْبًا

فـــصبراً ســـيِّدي فالـــصبرُ خـــيرٌ فلـــيسَ بـــنافعٍ مَـــنْ شـــقَّ جَيْـــبًا

والمملـــوك ينهـــي أنه خجلان من قصوره، مستحي لعدم حضوره، ولكن عذره ظاهر، ومحبته يشهد بها الخاطر.

يـــا عُـــدَّتي يـــا عُـــدتي يـــا قُـــدوتي يـــا جابـــري

إنْ لمْ أجـــــــــئْ معـــــــــزِّياً كـــنْ في انقطاعـــي عـــاذري

كـــمْ حاضـــرٍ كغائـــبٍ وغائـــــــبٍ كحاضـــــــرِ

وله من إجازة لابن شجرة

أمـــا بعد حمد الله الذي خص هذه الأمة بعلم الإعراب، والصلاة على نبيه محمد الـــذي جـــر ذيـــل الفتوة ونصب علم الصواب، وعلى آله الذين هم آلة تعريف الشريعة والآداب، وعلـــى صحبه الذين رفعوا كلمة الحق وخفضوا للمؤمن الجناب، فقد قرأ عليّ الفقيه الجليل، النبيه النبيل، فلان بارك الله فيه، وأقر به عين أبيه، جميع كتاب الجمل للإمام عبدالقاهـــر الجرجاني والخلاصة الألفية لابن مالك قدس الله روحيهما، ونور ضريحيهما، ســـردهما من صدره فقدر في السرد، وصقل جوهرهما من حفظه فلولا تعددهما لقلت هما الجوهـــر الفرد، وجرى فيهما طردًا فأمن به عكسًا، وضمن الحرص له تمييزًا فطاب محمد نفسًا، فلقد أجمل في عرض الجمل، فقلت: لقد ردت هذا العرض طولاً، وأحسن خلاصة الخلاصـــة فتلوت ﴿وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأولَى﴾، رزقه الله من العلوم أوفى حظ وأوفر مشاركة وجعله فرعًا باسقًا فهو من شجرة مباركة.

---

(١) في نسخة: قُريب.

وله من إجازة

عــــرض علــــي كتاب الوافية، في نظم الكافية، لابن الحاجب عرضًا زاد في طوله وطــوله، وشهد له به في سدد السؤدد كأصوله، فلو أن صاحبها مشارف وعاملها مباشر لتعجب ابن الحاجب من عرض ابن الناظر عامله الله بلطفه وفضله، وجمل به المناصب كما جملــها بأهلــه، ونقـــط جبين العليا بشكله، وزان الوجود بوجود مثله، وقرن حركاته وســـكناته بالـــيمن والأمان، ولا صرفه عن الفضل فهو إبراهيم ولا أظمأ فرعه من العلم فأصله ريان.

وله من رسالة

يقبل مواطئ القدم التي تتشرف بها مفارق الطرق، وتحسد حصباءها نجوم الأفق، ويصف أشواقًا لا تحلى باسم ولا صفة، وموالاة يمتنع صرفها لاجتماع العدل والمعرفة[1]، وينهى أنه مازال يحج من أقلامه إلى كعبة مدحكم على كل ضامر، ويلازم باب رجائكم، فواعجبًا لعمر وهو ببابكم غير معدول عن عامر.

وله رسالة السيف والقلم

لمـــا كان السيف والقلم عدتي العمل والقول، وعمدتي الدول فإن عدمتهما دولة فلا حول، وركني إسناد الملك المعربين عن المخفوض المرفوع، ومقدمتي نتيجة العذل الذال الصادر عنهما المحمول والموضوع، فكرت أيهما أعظم فخرًا، وأعلى قدرًا، فجلست لهما مجلـــس الحكم والفتوى، ومثلتهما في الفكر حاضرين للدعوى، وسويت بين الخصمين في الإكرام، واستنطقت لسان حالهما للكلام.

فقال القلم: بســـم الله مجراها ومرســـاها، والنهار إذا جلاها، والليل إذا يغشاها، أمـــا بعـــد حمد الله باري القلم، ومشرفه بالقســـم، وجعله أول ما خلق، وجمل الورق، بغـــصنه كما جمل الغصن بالورق، والصلاة على نبيه محمـــد القائل جفت الأقلام، وعلى آلـــه وصحبه أعلم المعارف وأعرف الأعلام، فإن القلم قصب الســـباق، فالكاتب بسبعة

---

(١) هذه تورية؛ لأن مما يمنع صرفه كعمر يكون للعدل والمعرفة، فهو معرفة معدول عن عامر.

أقــلام مــن طبــقات الكتاب في الســبع الطباق، جرى بالقضـــاء والقدر، وناب عن اللسان فيما نهى وأمر، طالما أربى على البيض والسمر، في ضرابها وطعانها، وقاتل في البعد والــصوارم في القـــرب ملء أجفانها، وماذا يشبه القلم في طاعة ناسه، ومشيه لهم على أم رأسه.

قال السيف: بســـم الله الخافــض الرافع، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع، أمــا بعـــد حمـــد الله الذي أنزل آية السيف، فعظم بها حرمة الجرح وأمن خيفة الحيف، والــصلاة على نبيه محمـــد الذي نفد بالسيف سطور الطروس، وأخدمه الأقلام ماشـــية على الرؤوس، وعلى آله وصـــحبه الذين أرهفت سيوفهم، وبنيت بها على كسر الأعداء حـــروفهم، فإن السيف عظيم الدولة، شـــديد الصولة، محا أسطار البلاغة، وأساغ ممنوع الإساغة، من اعتمد على غيره في قـــهر الأعداء تعب، وكيف لا وفي حده الحد بين الجد واللعـــب، فإن كان القلم شاهدًا فالســـيف قاض، وإن اقتربت مجادلته بأمر مستقبل قطعه الـــسيف بفعل ماض، به ظهر الدين، وهو العدة لقمـــع المعتدين[1]، حملته دون القلم يد نبيـــنا، فشرف بذلك في الأمم شرفًا بينًا، الجنة تحت ظلاله، ولاســـيما حين يسل فترى ودق الـــدم يخـــرج من خلاله، زينت بزينة الكواكب سماء غمده، وصدق القائل السيف أصـــدق أنـــباء من ضده، لا يعبث به الحامل، ولا يتناوله كالقلم بأطراف الأنامل، ما هو كالقلم المشبه بقوم عروا عن لبوسهم، ثم نكسوا كما قال الله تعالى على رؤوسهم، فكأن الـــسيف خلـــق من ماء دافق، أو كوكب راشق، مقدرًا في السرد، فهو الجوهر الفرد، لا يشرى كالقلم بثمن بخس، ولا يبلى كما يبلى القلم بسواد وطمس، كم لقائمه المنتظر من أثـــر، في عين أو عين في أثر، فهو في حراب القوم قوام الحرب، ولهذا جاء مطبوع الشكل داخل الضرب.

قال القلم: أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين، يفاخر وهو القائم عن الـــشمال الجـــالس علـــى اليمين ، أنا المخصوص بالريّ وأنت المخصوص بالصدى ، أنا

---

(١) في نسخة: المعتمدين.

آلــة الحــياة وأنت آلة الردى، ما لنت إلا بعد دخول السعير، وما حددت إلا عن ذنب كبير، أنت تنفع في العمر ساعة، وأنا أفني العمر في الطاعة، أنت للرهب وأنا للرغب، وإذا كــان بصرك حديدًا فبصري ما ذهب، أين تقليدك من اجتهادي، وأين نجاسة دمك من تطهير مدادي.

قــال السيف: أأنف في الماء، واست في السماء، أمثلك يعير مثلي بالدماء، فيطالما أمرت بعض فراخي وهي السكين، فأصبحت من النفاثات في عقدك يا مسكين، فأخلت مــن الحــياة جثمانك، وشقت أنفك وقطعت لسانك، ويك إن كنت للديوان فحاسب مهموم، أو للإنشاء فخادم لمخدوم، أو للبليغ فساحر مذموم، أو للفقيه فناقص في المعلوم، أو للــشاعر فسائل محروم، أو للشاهد فخائف مسموم، أو للمعلم فللحي القيوم، وأما أنا فلي الوجه الأزهر، والحلية والجوهر، والهيبة إذا أشهر، والصعود على المنبر، شكلي الحسن علــي، ولم لا حملك الحطب بدلي، ثم إني مملوك كمالك، فإنك كناسك، أسلك الطرائق، وأقطع العلائق.

قال القلم: أما أنا فابن ماء السماء، وأليف الغدير وحليف الهواء، وأما أنت فابن الــنار والدخان، وباتر الأعمار وخوان الإخوان، تفصل مالا يفصل، وتقطع ما أمر الله به أن يوصل، لا جرم شمر السيف وصقل قفاه، وسقي ماء حميمًا فقطع معاه، يا غراب البين، ويــا عــدة الحــين، ويا معتل العين[١]، ويا ذا الوجهين، كم أفنيت وأعدمت، وأرملت وأيتمت.

قــال الــسيف: يــا ابن الطين، ألست صامدًا وأنت بطين، كم جريت بعكس وتــصرفت في مكــس، وزورت وحــرفت، ونكرت وعرفت، وسطرت هجوًا وشتمًا، وخلدت عارًا وذمًّا، أبشر بفرط روعتك، وشدة خيفتك، إذ قست بياض صحيفتي بسواد صــحيفتك، فــألن خطابك فأنت قصير المدة، وأحسن جوابك فعندي حدة، وأقلل من غلظــتك وجــبهك، واشــتغل عن دم في وجهي بمدة في وجهك، وإلا فادني ضربة منِّي

---

(١) فيه تورية؛ لأن كلمة "سيف" معتلة العين بالياء، والمراد هو المعنى الآخر.

تـــروم أرومـــتك، فتستأصل أصلك وتجتث جرثومتك، فسقيا لمن غاب بك عن غابك، ورعيًا لمن أهاب بك لسلخ إهابك.

فلمـــا رأى القلم السيف قد احتد، ألان له من خطابه ما اشتد، وقال أما الأدب فـــيؤخذ عـــني، وأما اللطف فيكتسب مني، فإنت لنت لنت، وإن أحسنت أحسنت، نحن أهـــل الـــسمع والطاعة، ولهذا تجمع في الدولة الواحدة منا جماعة، وأما أنتم فأهل الحدة والخلاف، ولهذا لم يجمعوا بين سيفين في غلاف.

قـــال الـــسيف: أمكـــرا ودعوى عفة، لأمر ما جذع قصير أنفه، لو كنت كما زعمت ذا أدب، لما قابلت رأس الكاتب بعقدة الذنب، إنا ذو الصيت والصوت، وغراراي لـــسانا مشرفي يرتجل غرائب الموت، إنا من مارج من نار، والقلم من صلصال كالفخار، وإذا زعم القلم أنه مثلي، أمرت من يدق رأسه بنعلي.

قال القلم: صه فصاحب السيف بلا سعادة كالأعزل.

قال السيف: مه فقلم البليغ بغير حظ مغزل.

قال القلم: أنا أزكى وأطهر.

قال السيف: أنا أبهى وأبهر.

فتلا ذو القلم لقلمه إنا أعطيناك الكوثر، فتلا صاحب السيف لسيفه فصل لربك وانحر، فتلا ذو القلم لقلمه إن شانئك هو الأبتر، قال: أما وكتابي المسطور، وبيتي المعمور، والـــتوراة والإنجـــيل، والقـــرآن ذي التبجيل، إن لم تكف عن غربك، وتبعد مني قربك، لأكتبنك من الصم البكم، وأسطرن عليك بعلمي سجلاً بهذا الحكم.

قـــال السيف: أما ومتني المتين، وفتحي المبين، ولساني الرطبين، ووجهي الصلبين، إن لم تغـــب عن بياضي بسوادك، لأسخمن وجهك بمدادك، ولقد كسبت من الأسد في الغابة، توقيح العين والصلابة، مع أني ما ألوتك نصحًا، أفنضرب عنكم الذكر صفحًا.

قـــال القلم: سلم إليّ مع من سلم، إن كنت أعلى فأنا أعلم، وإن كنت أحلى فأنا أحلـــم، وإن كنت أقوى فأنا أقوم، أو كنت ألوى فأنا ألوم، أو كنت أطرى فأنا أطرب، أو كنت أغلى فأنا أغلب، أو كنت أعتى فأنا أعتب، أو كنت أقضى فأنا أقضب.

قال السيف: كيف لا أفضلك والمقر الفلاني شاد أزري؟

قال القلم: كيف لا أفضلك وهو عز نصره وليّ أمري.

قال الحكم بين السيف والقلم: فلما رأيت الحجتين ناهضتين، والبينتين بينتين متعارضتين، وعلمت أن لكل واحد منهما نسبة صحيحة إلى هذا المقر الكريم، ورواية مسندة عن حديثه القديم، لطفت الوسيلة، ودققت الحيلة، حتى رددت القلم إلى كنه، وأغمدت السيف فنام ملء جفنه، وأخرت بينهما الترجيح، وسكت عما هو عندي صحيح، إلى أن يحكم المقر بينهما بعلمه، ويسكن سورة غضبهما الوافر ولجاجهما المديد بسيط حلمه، ويعاملهما بما وقر في صدره من الوقار وسكن في قلبه من السكينة، وإذا كان في هذه المدينة مالكنا فلا يفتى ومالك في المدينة.

وله خطبة نكاح

الحمد لله الذي أطلع في منازل الشهاب شمسًا نورية الضياء، وأيد جمال بمائه بشرف كماله فأصبح عالي السناء، وقرن بركته إن شاء الله تعالى باليمن والأمان، حتى في الخالصة عقد هذا العقد بأفصح لسان، لقد صمت عن نار الشقاوة فادخل جنة السعادة من باب الريان، نحمده على نعمه العظيمة التي أسبغها وأولاها، ونشكره على مننه الجسيمة التي بلغها وولاها، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة هي أحق من همزة الاستفهام، بصدر الكلام، وأولى من الألف واللام، بإعلام التعريف وتعريف الأعلام، ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله القائل لا رهبانية في الإسلام، الباذل نصيحته في تبيين الحلال والحرام، صلى الله عليه وعلى آله الكرام، وصحبه مصابيح الظلام، وأزواجه اللائي لسن كأحد من نساء الأنام، ما طلعت شمس وهطل غمام، وبعد؛ فإن أولى ما بادر إليه ذوو العقول، وحث عليه المنقول من الصحيح والصحيح من المنقول، ما كان لبقاء الذكر سببًا، ولتكثير الأمة مطلبًا، وهو سنة النكاح التي عظم الله بها المنة لما عظم بها النعمة، فقال جل من قائل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[الروم: ٢١] وخصوصًا مثل هذا العقد الذي اكتمل بسعد مبين، واشتمل على كرام كاتبين ، وأهدى خاص

التـــرك إلى خاص العرب، ونما سروره حتى أطرب الحي وأحيى الطرب، وحسن أن ينشد بألسن فصاحة وأفصح لسان.

يـــا حـــبذا جـــبل الـــريان مـــن جبل	وحـــبذا ســـاكن الـــريان مـــن كان

عـــرفنا الله بركة هذا القران[1]، ولا أظمأ فروع أهله من السعادة فأصلهم ريان. فلقـــد أشـــرف وأشـــرق نور هذا العقد الكريم، وتواتر بمسنده ذكر الحديث عن القديم. وحسن أن يتلى بلسان التبرك أنه من سليمان وأنه بسم الله الرحمن الرحيم.

وكتب إجازة لصلاح الدين الصفدي [وقد سأله في ذلك][2]

أمـــا بعد حمد الله جابر الكسير، والصلاة على نبيه محمد البشير النذير، وعلى آله الذين أعربت أفعالهم فسكن حب أسمائهم في مستكن الضمير، وعلى صحبه الذين وجب رفعهـــم على الابتداء وسلم جمعهم من التكسير، فإنني ألقي إليّ كتاب كريم، يشتمل بعد بـــسم الله الـــرحمن الرحيم، على نظم بهي فائق، ونثر شهي رائق، غرس لي أصوله بفضله خليل جليل، فامتد عليّ من فروعه ظل ظليل، قرأته فانتصبت له قائمًا على الحال، وتميزت بـــه على غيري فطبت نفسًا بعد الاعتلال، وابتهلت بالدعاء لمهديه مخلصًا، ولكن أسأت الأدب إذ وازنت جواهر نظمه بالحصى، حيث قلت:

ســـلامٌ علـــى نفـــسكَ الـــزاكيةْ	وشـــــكرًا لهمـــــتكَ العالـــــيةْ
أَزَهـــــراً أمِ الزهـــــرَ أهديـــــتها	لعـــــبدٍ مدامعُـــــهُ جاريَـــــةْ
بـــلْ الأمـــنَ أرســـلته محـــسناً	أمـــنْتُ بـــهِ كـــيدَ أعدائـــيَةْ
كـــتابٌ يفـــوحُ شـــذا نـــشرِهِ	فلـــي مـــنْهُ رائحـــةٌ جائـــيَةْ
وســـعدُ أعاديـــه عـــنْ مركـــزِ ال	ســـعادةِ تلجـــي[3] إلى زاويَـــةْ

---

(١) في بعض النسخ: "القرآن" بألف المد، وهو خطأ؛ لأن الحديث هنا عن النكاح وهو القِران.

(٢) ما بين المعكوفتين زيادة من بعض النسخ.

(٣) في نسخة: يلجى.

ـ حمـــل[2] الجـــديُ في نطحـــه	ففـــأس[1] إلى رأســـه دانـــيَهْ
ـ قـــابلَني حـــينَ قبَّلْـــتُهُ	مـــنَ الطـــيبِ مـــا أرخـــصَ الغالـــيَهْ
ـكَبـــني في جنـــي غرسِـــه	ولا ســـيَّما بـــيتُ مـــا النافـــيَهْ
ـــرِّبُ إيـــضاحه عمـــدةٌ	معانـــيه شـــافيةٌ كافـــيَهْ
ـــرِدُدُ عـــيني بـــه لا سُـــدى	ولكـــنَّها تطلـــبُ العافـــيَهْ
ـبيـــه أفديـــه مـــنْ ســـيِّد	أياديـــه رائقـــةٌ راقـــيَهْ
عـــنٌ الخلـــيلَ بَـــداني بـــه	لـــيجعلَها كَلْمـــةً باقـــيَهْ
ـــيا جابـــراً دُمْ معـــاذاً وهـــا	أنـــا عُمَـــرٌ وَهْـــيَ لي ســـارِيَهْ
ـ فلامـــكَ الـــرفعُ تُـــبنى[3] بهـــا	علـــى الفـــتحِ أفعالُـــكَ الماضـــيَهْ
ـــنْ لَمْ يكـــنْ قـــدْ سَـــبا نـــورُها	كَمـــا حمـــلَ الحاســـدُ الغاشـــيَهْ
ـــنْ أهلـــكَ الـــناسَ جهـــلٌ بهـــمْ	فأنـــتَ مـــنَ الفـــرقة الناجـــيَهْ
ـكـــمْ بـــابِ قـــصرِ تـــبوأته	فأفهامُـــنا مـــنهُ كالجابـــيَهْ
ـــيَ بـــكَ عـــن دهـــرِهِ ســـاخطٌ	فـــلا زلـــتَ في عيـــشة راضـــيَهْ
ـ ـي غـــي خجـــلٍ مـــنكَ إذْ	أجبـــتُكَ في الـــوزنِ والقافـــيَهْ
عنـــواً وصـــفحاً ولا تنـــتقدْ	ويـــا بحـــرُ مالـــكَ والـــساقيَهْ
بيـــنكَ أنَّـــكَ عـــينُ الـــزمانِ	فلـــيتَ علـــى عيـــنه الواقـــيَهْ

ولمـــا انتهـــيت إلى اســـتجازتك التي انتظمت في سلوك الحسن بحسن السلوك، ستعظمت فلولا حسن الظن لأوهمت تهكم المالك بالممـــلوك، أحجمت عن إجازة من ـر في العقل والنقل لمعرفة القديم والحديـــث، وتبحر في أغراب الإعراب حتى كأن النحاة ـــد نحوًا بمسألة سيرك السير الحثيث، وقلت ماذا أصف، وبأي عبارة أنتصف، في إجازة ـــن إذا كـــتب طـــرز باللـــيل رداء نهاره، وإذا نثر فالأنجم الزهر بعض نثاره، وإذا نظم

---

[1] في الديوان: ففاس، وكذلك في بعض النسخ.

[2] في نسخة: عمل.

[3] في نسخة: يبنى.

لم يقـــنع من الدر إلا بكباره، و لم يرض من المعاني إلا بدقيق من بين حجريه الثمينين بل أحجاره، إن أعرب فويه على سيبويه، وإن نحا فهو الخليل غير مكذوب عليه، يأتي بما يفتر عـــنه المـــبرد، ويشق له الكسائي كساءه ويجرد، ويقول الزجاجيّ أيها الشاب قد أخملت جواهـــرك قوارير صرحي الممرد، وينادي ابن أبي الحديد، يا ويلتى حتى الحديد سطا عليه المـــبرد، ويـــستخدم ملك النحاة في جنده، ويرفرف عليه ابن عصفور بجناحيه ويحلف أنه الخلـــيفة من بعده، بتعمق يرهف حروف الحروف، وينصف حتى لا يعدو ثعلب ولا أكبر منه على ابن خروف، ويصدق حتى لا يقال ضرب زيد عمرًا، ويعدل حتى لا يشتم خالد بكـــرًا، مـــع بساتين فنون أخر، تهزأ بنسمات السحر، عذبات أفنانها، وبقول حاسدها آه فتـــشبه ألفهـــا قدود نخلها وهاؤه ثمر رمانها، ثم فكرت في أن كتاب مولانا أمنني النوب، وخـــصني بالنوبة الخليلية من بين النوب، وكفاني مواثبة العكس والطرد، وأولاني مناسبة الغرس للورد، فترددت هل أفعل أو لا، ثم ظهر لي أن امتثال المرسوم أولى، وجسرني على ذلك مرسوم شيخ الأدب ورحلته، وركنه المعظم وقبلته، القاضي الفاضل جمال الدين بن نـــباتة، فسح الله مدته وأبقى حياته، الذي إن نثر جعل اللجين إبريزًا يحسن السبك، وإن نظـــم قـــال نظمه لقرينيه الحسن والقبول قفا نضحك من قفا نبك، لا جرم أنا من بحره نغتـــرف، وبالـــتقاط جواهرد التي ألقاها على مفارق طرق البلاغة نعترف، فأطعت إذن أمـــرك، طالـــبًا صفحك وسترك، وقلت لعمري لقد بدأتني أعزك الله بما كنت به أحرى، وكلفتني شططًا فقلت ستجدني إن شاء الله صابرًا ولا أعصي لك أمرًا[١]، وها قد أجزتك مـــتطفلاً عليك، وإن كنت بك متوسلاً إليك، إن تروي عني ما تجوز لي روايته وإسماعه، ليصل بك فما اتصل بك أمن انقطاعه، من منقول ومعقول، وفروع وأصول، ونثر ونظم، وأدب وعلم، وشرح وتأليف، وبسط وتصنيف، وضبطه المشروط، بشرطه المضبوط، فأما مصنفاتي الشاهدة عليّ بقصور الباع، ومؤلفاتي المشيرة إليّ بقلة الإطلاع.

فمنها: في الفقه البهجة الوردية في نظم الحاوي وفوائد فقهية منظومة.

---

(١) هذا تضمين للآية من سورة الكهف.

ومنها: في النحو شرح الخلاصة الألفية في علم العربية لابن مالك.

ومنها: في الفرائض الوسائل المهذبة في المسائل الملقبة.

ومنها: في الشعريات والأدبيات أبكار الأفكار.

ومنها: في غير ذلك تتمة المختصر في أخبار البشر اختصار تاريخ صاحب حُماه مع التتمات في أثنائه والتذييل عليه إلى يومنا هذا.

ومنها: أرجوزة في علم الأحجار والجواهر.

ومنها: ضوء درة الأحلام في تعبير المنام.

ومنها: رسالة منطق الطير نثرًا ونظمًا فيها أدب صوفي وما لا يحضرني الآن ذكره، وكان الأولى بي ستره، أجز لك أيدك الله أن تروي عني الجميع بأفضالك، ورواية ما أدونه وأجمعه بعد ذلك، حسبما اقترحه خاطرك العزيز، واستوجبت به مدحي فأنا المادح وأن تجيز.

وله تعزية بوفاة شرف الدين البارزي[1]

وينهي أنه بلغه انهداد الطود الشامخ، وزوال الجبلّ الراسخ، الذي بكته السماء والأرض، وقابلت فيه المكروه بالندب وذلك فرض، فشرقت أجفان المملوك بالدموع، كما شرقت صدر القناة من الدم وأحرق قلبه بين الضلوع، فراق ومن فارقت غير مذمم، وساواه في حزنه الصادر والوارد، واجتمع الناس لمأتم المأتم[2] واحد، فالعلوم تبكيه، والمحاسن تعزي فيه، والأقلام تمشي على الرؤوس لفقده، والمصنفات تلبس حداد سداد من بعده، ولما صلى عليه يوم الجمعة صلاة الغائب بحلب، ارتفع الضجيج، واشتد

---

(١) هو هبة الله بن عبدالرحيم بن إبراهيم أبو القاسم، شرف الدين ابن البارزي الجهني الحموي: قاض، حافظ للحديث، من أكابر الفقهاء الشافعية، من أهل حماة، ولي قضاءها مدة طويلة بلا أجر، وعين مرات لقضاء مصر فاستعفى، وذهب بصره في كبره، ولما مات أغلقت حماة لمشهده، له بضعة وتسعون كتابًا، توفي سنة ٧٣٨هـ[انظر: الأعلام للزركلي- (٧٣/٨)، ونكت الهميان في نكت العميان للصفدي- (٦٨٩)، والدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة لابن حجر العسقلاني- (٤٠١/٤)].

(٢) في الأصل: لمأتم.

النشيج وغلب، فلا خاص إلا حزن قلبه، ولا عام إلا طار لبه، فإنه مصاب زلزل الأرض، وهدم الكرم المحض، وسلب الأبدان قواها، ومنع عيون الأعيان كراها، ولكن عزى الناس لفقده، كون مولانا الخليفة من بعده، فإنك خلف عظيم، لسلف كريم، وأنت أولى من قابل هذا القادح القادم بالرضى، وسلم إلى الله فيما قضى.

سلِّمْ إلى اللهِ فكلُّ الذي ... ساءَكَ أو سرَّكَ مِنْ عندِهِ

إنَّ الذي الوحشةُ في دارِهِ ... تؤنسُهُ الرحمةُ في لحدِهِ

فإن الله تعالى يحيي ما كانت الحياة أصلح، ويميت إذا كان الموت أروح، وقد نظم المملوك مرثية أعجزه عن تحريرها اضطرام صدره، وحمله على تسطيرها انتهاب صبره، وهي:

برغمي أنَّ بيتكمُ يضامُ ... ويبعدُ عنكمُ القاضي الإمامُ

سراجٌ في العلومِ أضاءَ دهراً ... على الدنيا لغيبتِهِ ظلامُ

تعطَّلتِ المكارمُ والمعالي ... وماتَ العلمُ وارتفعَ الطغامُ

عجبتُ لفكرتي سمحَتْ بنظمٍ ... أيُسعدني على شيخي نظامُ

وأرثيه رثاءً مستقيماً ... ويمكنني القوافي والكلامُ

ولَوْ أنصفتُهُ لقضيْتُ نحبي ... ففي عنقي لَهُ نعمٌ جسامُ

حشا أذني بِدُرٍّ ساقَطَتْهُ ... عيوني يومَ حُمَّ لَهُ الحمامُ

لقد لَؤُمَ الحمامُ فإن رضينا ... بما يجني فنحنُ إذنْ لئامُ

أيا عامَنا لا كنتَ عاماً ... فمثلُكَ ما مضى في الدهر عامُ

أتفجعُنا بكتانيِّ مصرٍ ... كأن به لساكنها اعتصامُ

وتفتكُ بابن حلَّةَ[1] في دمشقٍ ... ويعلوها لمصرعِهِ القتامُ

وكانَ ابنُ المرحَّلِ حينَ يبكي ... لخوفِ اللهِ يبتسمُ الشآمُ

وحَبرُ حماةَ تجعلُهُ ختاماً ... أذابَ قلوبَنا هذا الختامُ

وكان خليفةً في كلِّ علمٍ ... وعينًا للخليفة لا تنامُ

---

(١) في نسخة جملة.

ـا قام ناعيه استطارَتْ ... عقولُ الناسِ واضطربَ الأنامُ

ـو يبقى سَلَوْنا مَنْ سواهُ ... فإنَّ بموته ماتَ الكرامُ

ـوَ بعدهمْ وأقرُّ عيناً ... حلالُ اللهوِ بعدهمُ حرامُ

ـيا قاضي القضاة[1] دعاءَ صبٍّ ... برغمي أن يغيّركَ الرغامُ

ـا شرفَ الفتاويْ والدعاوى ... على الدنيا لغيبَتِكَ السلامُ

ـا بنَ البارزيِّ إذا برزنا ... بثوبِ الحزنِ فيك فلا نُلامُ

ـقى قبراً حلَلْتَ به غمامٌ ... منَ الأجفانِ إنْ بخلَ الغمامُ

ـ مَنْ ترحلُ الطلابُ يوماً ... وهل يُرجى لذي نقصٍ تمامُ

ـمَنْ للمشكلاتِ وللفتاوى[2] ... وفصلُ الأمرِ إنْ عَظُمَ الخصامُ

ـلا يا بابَهُ لا زلتَ باباً ... لنشرِ العلمِ يغشاكَ الزحامُ

ـإن ابنَ ابنًا لشيخِ[3] العصرِ باقٍ[4] ... يقلُّ به على الدهرِ الملامُ

ـمَ الدينِ مثلُكَ مَنْ تسلَّى ... إذا قُدحت منَ النوبِ العظامُ

ـفي بقياكَ عنْ ماضٍ عزاءٌ ... قيامُكَ بعدَهُ نِعْمَ القيامُ

ـ ولَّى لبيتكمُ إمامٌ ... عديمُ المثلِ يخلفُه إمامُ

ـفي خيرِ الأنامِ لكمْ عزاءٌ ... وليس لساكنِ الدنيا دوامُ

ـا تلميذُ بيتكمُ قديماً ... بكمْ فخري إذا افتخرَ الأنامُ

ـكمْ مني الدعاءُ بكلِّ أرضٍ ... ونشرُ الذكرِ ما ناحَ الحمامُ

ـوإنْ كنتمْ بخيرٍ كنتُ فيه ... ويرضيني رضاكمْ والسلام

---

(١) في نسخة: القضا.

(٢) في نسخة: والفتاوى.

(٣) وفي نسخة ابنَ ابنِ شيخ.

(٤) ويروى هذا الشطر: فإن ابنًا لشيخ العصر باقٍ.

وله خطبة نكاح بعض بني النصيبيّ على بنت عمه

الحمـــد لله الـــذي أطلع في منازل الشرف شمسًا مصونة البهاء والضياء، وأبدع لـــشرف تاجـــه الـــبديع درة مكنونة في بحر الحبا والحياء، ومنحه عقد عقد زان به جيد الوجود، وجمع الشمس والقمر في سعود الطالع وطالع السعود، نحمده على تأكيد عطف القربى بالمصاهرة، ونشكره على هذه الحركة الجامعة إن شاء الله تعالى خير الدنيا والآخرة. ونـــشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تجمع الشمل وتشمل الجمع، وتهدي أجمـــل منظر وأحسن حديث إلى البصر والسمع، ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله المرسل بالشريعة المطهرة والسنة الطولى، التي من استمسك بها ظفر بسعادة الآخرة والأولى، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه المحسنين، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وبعد؛

فـــإن أولى ما بادر إليه أولوا الأحلام، وتنافس فيه كرام الأبناء وأبناء الكرام، ما كان لتكثير الأمة متضمنًا، ولفضـــيلة العاجل والآجل نافعًا نفعًا بينًا، وهـــي سنة النكاح الـــتي عظمت بها المنة، وأثني عليها لســـان الكتاب وأشارت إليه يد السنة، وخصـــوصًا بـــنات العم التي أرشـــدت قصة البتول عليها السلام إليها، وحســـن أن يتلى لها بطريق الأولى، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾؛ فإن بنات العم أجـــدى بالـــصحبة وأجدر، وأوفى بالمودة وأوفر، وأصبى إلى العهد وأصبر، ولاسيما من حـــازت كرم الأوائل والأواخر، وجمعت عناصر الكرم وكرم العناصر، وأصبحت سليلة الأعـــيان والأكابـــر، ومن إذا قال بعلها كان جدي قالت وجدي، وإن ذكر مبتدأ صالحًا قالـــت والخبر عندي، وإن عدت آباؤه الأعيـــان فهم آباؤها، وإذا طاب ثناؤه بســـلف فهـــو ثناؤها، ومن إذا حسن بالطرد والعكس الابتهاج، جاءت لأهلها تحت أهلة التاج، فللـــه هذا العقد الذي عدد قربى القرابتين، فلئـــن شابهت العقود بهجة الورد فإن هذا هو النـــصيبـــي مـــن الجهتين، فلا غرو أن تقول له العوالي الغوالي أرخص طيبك أيها العقد طيبـــي، وتـــناديه بالمعالي لقد ســـررتني وكيف لا وأنت من الجهتين نصيبـــي، ولقد أشـــرف نور هذا القران السعيد وأشرق، وأعرب لســـان حال قلمه فكـــان أفصح من

ـان المقال وأنطق، وسطر كاتب التوفيق لما خار الله ووفق، بسم الله الرحمن الرحيم هذا ـ أصدق.

وله رسالة إلى بعض بني ريان

وينهـى وصـول الحلوين من لفظه وبره، والصفوين من حسن افتقاده ومقابلة جـبره، صحبة المجموع الذي حق له الرد إذ كل معيب مردود، ورق له العبد لمفارقة حرم مـولانا الذي أصبح الذم مقصورًا عن ظله الممدود، فقبله المملوك لقرب عهده من يد كم ـسها من أياد، ومن نظر وجه الحياء فيه عاكف والنور منه باد، وماذا يقول المملوك في تفـضل الـذي يغوث ولا يعوق نائله، والإحسان الذي وصل الغمام المسيل فقطع المحل على السابلة، وماذا يصف في جمال سليمان زمانه، وكمال ابنه الذي ضمن له الدهر سعدًا فوفى بضمانه، حتى كأنه وابنه ألما بدار الكرم والكرامة، فوجدا فيها جدارًا يريد أن ينقض فأقامـه، وكأن مناديًا نادى في الأعيان، من صام عن الدنايا دخل الجنة من باب الريان، والله تعـالى يكافئ إحسانهم ويديم ظلهم الظليل، ولا يخلي الوجود من كمال إبراهيم فهو نعم الخليل.

إني كمـا عهـدتمُ عهـداً ووداً وطلـبْ[1]
يـا مَـنْ هـمُ[3] في جلّـقٍ[4] عـيني علـيكمْ[2] في حلـبْ

فإنه ما فارق حلب إلا لبخته الذي أضحى ضعيفًا هابطًا، وحظه الذي إذا كتب الحظـوظ بالظاء القائم كان يكتب ساقطًا، والمملوك منتظر الجواب الكريم، فمن حرم من كهفكم القرب لا يحرم من كتبكم الرقيم.

---

(١) ويروى هذا الشطر: أرجو بكم نيل الإرب.

(٢) في نسخة: أمكن منكم.

(٣) في نسخة: فأنتم في.

(٤) جلق: أي دمشق.

وله من جواب

وردَ الكتابُ بلِ العتابُ بل الندى بل غايةُ الآمالِ والآرابِ
يُنْبي على[1] الودِّ الصدوقِ ويطلع ال كلفَ المشوقَ على لطيفِ عتابِ
يا مَنْ توهَّمَ أنني ناسٍ لَهُ هيهاتَ أنسى سيِّدَ الأصحابِ
لا والذي أعطاكَ كلَّ فضيلة وحَبَاكَ بالإحسان والآدابِ
إني لَمُشتاقٌ إليكَ وعاتبٌ دهري لبعدكَ فَهْوَ سَوْطُ عذابِ
فاصفحْ إذا قصرْتُ واسلمْ لي ودُمْ يا أوحدَ الفضلاءِ والكتَّابِ

وينهي ورود المثال الشريف، بل الفضل المنيف، الذي رفع به إبراهيم من بيت المملوك القواعد، وعظم المطلوب فيه ولكن ما قل المساعد، فتناوله بيد الاحتفال، وشبه شكله المطبوع بالمعشوق ونقطه بالخال، فتمثل لبي، بقول المتنبي، عواذل ذات الخال في حواسد، ولما وقفت على حسن خطه ولفظه، عوذته من العين بكلاءة الله وحفظه. وأيقنت أن الدهر للناس ناقد، فتضاعف به ذنبي، وهملت به سرورًا عيني، فهي سبوح لها منها عليها شواهد، ولكن راع المملوك في كتابه، ما ضمنه مولانا من عتابه، وأن فؤاد رعته لك حامد، وليس جبرك وإحسانك بدعًا، فتبارك من ألحق في المروءة بأصل منكم فرعًا، تشابه مولود كريم ووالد، وسبحان من خص هذا البيت بالإحسان إلى أهل هذه الدار، وأقدرهم على أبكار أفكار تتحسر عليهن الأغيار، وهن لديكم ملقيات كواسد، وجل من عم خلقه بنورك الذي تألق فأقرت، بهذا وما فيها لمجدك جاحد، وما يقدر المملوك يصف شوقه المستولي على لبه، الساكن بسويداء قلبه، كما سكنت تحت الرماد الأساود، والله المسئول أن يديم جمال سليمان الزمان فضلاً ولطفًا، ويبقى بها شرف بهائه وكمال إبراهيم الذي وفى، فإني محب لهم في قربه متباعد، ولا برح جناهم القبل، وطود عز ننشده، يا حبذا جبل الريان من جبل، فكلهم مبارك ما تحت اللثامين عابد، والسلام.

---

(١) في رواية: عن.

المقامة المعروفة بصفو الرحيق في وصف الحريق

حـــدث غـــيث بـــن سحاب عن ندى بن بحر، قال: بينما أنا ذات ليلة من سنة ...بعـــين، وقد أويت من دمشق إلى ربوة ذات قرار ومعين[1]، وإذا بضجيج أهلها قد ملأ ...آفاق، والنيران في أسافلها وأعاليها قد بلغت التخوم والطباق، فبادرت إلى الجامع الأمويّ ...أمـــنه ويمنه، فوجدت العالم كأنهم قطعة لحم في صحنه، وقد أرسل علي أحاسن دمشق ...شـــواظ مـــن نار ونحاس، وقربت النار من جامعها الخضر حتى كاد يحصل منه الياس[2]، ...بادرت النار لأخذ الثار[3] مسرعة في كلبها، وجاءت حمالة الحطب فتبت يدا أبي لهبها.

حمـــراءُ ســـاطعةُ الـــذوائبِ في الدجى ترمـــي بكـــلِّ شـــرارةٍ كطـــرافِ

فكم أحزاب زمر جاثية لغاشية ذلك الدخان، وكم صاحب دار إذا زلزلت عبس ...وتولى وقال وقد أتى الحريق على باك هيئة لم تكن فهل أتى على الإنسان.

فقـــيل تخلـــص نفـــس المـــرء ســـالمة وقـــيل تـــشرك نفـــس المرء في العطب

ولمـــا اســـتولى الحـــريق من الدور على المجالس السامية، وترقى في الأسواق إلى ...حنابات العالية، وصعد من المنارة الشرقية إلى المقر الأشرف، ووصل منها إلى المقام الكريم ...فنكر منه ما تعرف.

ســـمَتْ نحـــوَهُ الأبـــصارُ حتى كأنَّهُ[4] بـــناريْهِ مـــن هِـــنَّا وثَمَّ صـــوالي

وكـــيف لا وهـــي المـــنارة لهذا المعبد العظيم، والمقاسمة له في نحو الحسن فمنها ...الإعراب في النداء ومنه البناء في الترخيم، فتبادر إليها فتية قالوا: النار ولا العار، رزقهم الله ...الجـــنة فمـــا أصبرهم على النار ، هذا وقد ذوي باللهب بنفسج الظلماء ، وشب نيلوفر

---

(١) فيه تضمين للآية الكريمة في سورة المؤمنون: ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾.

(٢) أسقط همزة اليأس لمشاكلة الخضر لأجل التورية.

(٣) أسقط همزة الثأر لأجل السجع.

(٤) في نسخة: كأنها.

الـــنار وقـــوى على الماء، فارتاع النائب بدمشق لهذه النائبة، ورأى قلوب الناس كأموالهم ذائـــبة، وتطـــير بذلك من تكدر دولته فكان كما تطير، وتصور هنالك من تغير صولته فـــسبحان من لا يتغير، وصادم النار فغلبها وكيف لا وتنكر هو البحر، وقابل كبد جمرها بالقطر وعنق لظاها بالنحر، وكاثرها بالماء حتى بلغ من وجهين القلل، وسد بهما ليلة دائر أمه جلل هذا الأمر الجلل، وأحكم بالماء والهدم إخمادها، واستأصل شأفتها بالردم وأبادها، وأصـــبح أهـــل دمشق حيارى، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، لا يكادون من الوجل يستثبتون اسمها، ولا يعرفون شكل حانوت ولا دار ولا رسمها.

فحـــقَّ لمثلـــي أن يقـــولَ لمـــثلها   فديـــناكَ مـــنْ ربـــعٍ وإن زدتـــنا كربَا

وكـــيفَ عـــرفنا رســـمَ مَنْ لم يدعْ لنا   فـــؤاداً لعـــرفانِ الرســـومِ ولا لُـــبّا

كـــأنَّ نجـــومَ اللـــيلِ خافـــتْ مغـــارَهُ   فمـــدَّتْ علـــيها مِـــنْ عجاجتهِ حجبا

فلو رأيت درج الساعات خالية من دقائق الأرصاد، ودكان الشهود تتلو إن ربك لبالمرصاد، والدهشة مدهوشًا عنها واللبادين كالعهن المنفوش فلا إليها ولا منها.

ذَكَـــرَتْ جواهـــرَها بحـــرِّ   الـــنارِ بَـــرْدَ مغاصِـــها

أصـــحابُها كحمـــائمٍ   ناحَـــتْ علـــى أقفاصِـــها

والوراقين وقد انتظمت أوراقها في أغصان اللهب، وتطايرت الصحف كأنها فضة قد مسها ذهب، قال وما نفض الناس غبار هذا الفادح، حتى وقع بالمدرسة الأمينية حريق قادح، عيل عليه الصبر، وتمنوا قبله القبر.

مـــا كـــانَ أقـــربَ وقـــتاً كانَ بينهما   كأنـــه الـــوقتُ بـــينَ الورْدِ والصدر(١)

وقلـــت لمن يبي وقد عدمت الاصطبار، وكنت أسمع أن دمشق جنة فإذا هي نار.

فأحفظَـــهُ هـــذا الكـــلامُ وغاظَـــهُ   وأنـــشدني في صـــدِّهِ وازورارِهِ

دمـــشقُ كمـــا كـــنتَ تَـــسَمَّعُ جـــنَّةٌ   ألمْ تَـــرَها محفـــوفةً بالمكـــارِهِ

---

(١) في نسخة: الغَرَب.

فـــيا لسوق الكفت ما كفت النار عنا لسانًا، ولا ثنت عنه سوابقها عنانًا، ونعوذ بـــالله من نار علك عليهم اللجم، وسبكت مهجته حتى أفصح التأسف له الألسن العجم، ووثـــبت إلـــيه من بعيد، وقالت آتوني زبر الحديد، ويا لسوق الخيم كيف خيمت عليه، وتخلد لها والنار بين جنبيه، إنها عليه مؤصدة، في عمد ممددة، فلولا اللطف ما مد له طنب، ولا ســـلم لعروضه وتد ولا سبب، ولكن تداركه من الماء والتراب برد وسلام، وشكت خـــيامه الظمأ فقيل لها سقيت الغيث أيتها الخيام، ويا لسوق القسي كيف تبرأ منه قوس سحاب، وسويت من قسيه كل نون تسبح في ماء الذهب فآلت إلى الذهاب، ورمى بها مـــن النيران، وقالت له النار قد دخلت في باب أن من الأنين وستدخل في باب كان، فقد قست على قسيك ناري، وطلبتها بأوتاري، وجعلت كل نون ألفًا، وقرأت لها في ملحمة بـــن عقـــب من مصارع القرون ما كفى، هذا وقد أضاء الليل بالنار حتى صدق القائل، وقال الدجى يا صبح لونك حائل، فبينا الحنايا في المرقب من اللهب، وقلوب أصحابها في معرة وأعينهم في حلب، وإذا بالنائب قد أقبل، وصبره مقلص ودمعه مسبل، وقال واأسفا لمدينة عمرها، ووالهفا لأوقات ثمرها، كيف تصل النار إلى محاسنها، وتتمكن من أماكنها، فقـــال لـــه لسان القدر الصانع، هذه أول عقوبتك بإخراج الكلاب والضفادع، فالعجب لخبث سجية، وللكلاب كما قيل خطية، وقيل:

تنكَّـــرَ تنكـــزٌ بدمـــشقَ تـــيهاً ... فقاســـوا مـــنهُ أنـــواعَ العـــذابِ

وقالـــوا للـــضفادع ألـــفُ بـــشرى ... بميتـــتهِ فقلـــتُ وللكـــلابِ

ثم إن الـــنائب بادر بأصحـــابه إلى إطفائهـــا ولكن كيف، وأحكم نسخها ولا عجـــب للنسخ بآية السيف، وجاءت[1] مماليكه الحســـان خلالها، وأصداغهم كالعقارب وشـــعورهم كالأفاعـــي، وتمـــت لهم الكرامة الأحمدية باقتحامها فســـلام الله على ابن الرفاعـــي، فأشفق الناس مـــن مس سقر[2]، وارحموا عزيز قوم ذل[3] وغنيّ قوم افتقـــر،

---

(١) في نسخة: وجاست.

(٢) تضمين للآية الكريمة من سورة القمر ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾.

(٣) تضمين لحديث ضعيف: "ارحموا عزيز قوم ذل".

واختلجت الظنون في سبب هذا الأمر، وأعملت الفكر في مسعر هذا الجمر، بغيظ اهتم منه الصبح فتنفس الصعدا، وحنق انفلق له الفجر زفيرًا وكمدًا.

وله من رسالة

أرسلتها إليك، وجعلت طولها عرضًا بين يديك، والله تعالى يبقي حياتك التي فيها لأهل العلم النصيب الأوفى والحظ الأوفر، ويديم أياديك التي إذا دامت فما نقص الفضل ولا مات يحيى ولا نضب جعفر، وغير بدع أن يعضد أمين هذه الأمة عمره، والمرجو أن يجتني المملوك من غصن القلم بهذه الورقة ثمره.

لي إلى جاهك ميل ... وعن المال نفار
فقبول الجاه فخر ... وقبول المال عار

وله

سلامٌ كنشرِ الروضِ باكَرَهُ الحَيا ... وألطفُ مِنْ مرِّ النسيمِ وأطيبُ
على أريحيٍّ مذْ[2] سمعتُ بذكرِه ... أُغالبُ فيهِ الشوقَ والشوقُ أغلَبُ[1]
ألا مبلغاً قاضي القضاة تحيةً ... يُخصُّ بها فَهْوَ المحبُّ المحبَّبُ
عظيمُ الندى كهفُ الردى غائظُ العدى ... إمامُ الهدى نائي المدى متقرّبُ
فيا منصبَ الحكمِ العزيزَ ابتهلْ عسى ... تنالُ الذي ترجوهُ منهُ وتطلبُ
عسى عطفةٌ منهُ عليكَ وعودةٌ ... فقدْ طالَ من قاضي القضاةِ التغضُّبُ
بسيطُ الندى حاوي النهايةِ شاملٌ ... بإيضاحِهِ معنى البيانِ مقرَّبُ
وإنَّ[3] لهُ في تركِهِ الحكمَ راحةً ... ولكنْ قلوبُ الناسِ واللهِ تَتْعَبُ
فمن ذا سواهُ في الورى لا تلمُّهُ ... على شَعَثٍ أيُّ الرجالِ المهذَّبُ

---

(١) فيه تضمين لمطلع قصيدة مشهورة للمتنبي.

(٢) في نسخة: قد بدلاً من مذ.

(٣) في نسخة: وأن.

وينهي وصول ابن الأخ الحسين مغمورًا بإحسانه المعهود، مبرورًا من لطفه وعطفه بشاهد ومشهود، مقصورًا بثنائه المعرب على مبنيّ ظله الممدود، مسرورًا بتعريف رسمه الذي علمه كما قيل غير محدود، خطيبًا بمحاسنه التي هي كلمة إجماع، مشوقًا إلى ذاته التي تروق الأبـــصار وصفاته التي تطرب الأسماع، ولكنه مع ذلك ضعيف الحركة صحيح المودة، مثن علـــى ما أسدى إليه من الرخاء في تلك الشدة، ثم إنه بلغ المملوك التحية التي عجز عن رد أحـــسن مـــنها أو مثلها، وفهمه لطائف وألطافًا كان المملوك يتيمًا من قبلها، فواعجبًا لأمه كـــيف مـــا حملـــته فانتبذت به مكانًا شرقيًا، وكيف سمته الحسين وقد أصبح بانتسابه إلى جـــنابكم عليًا، والمملوك يقسم على مولانا بالذي وهبه هذه المكارم، فأحيى به الأكارم، أن يكف من غلواء هذا النهج الحسن الذي انتهى إليه الحسين، وأن يرفق من مجاراة البرامكة إلى الإحـــسان حذرًا من إصابة العين، فلقد ذكر للملوك مفصل جمل من إحسانكم صدق فيها وزكـــى، وأنـــشد هو وأمه بلسان السرور قفا نضحك والمملوك ينشد لخجله قفا نبك، فلا والله ما في زماننا من يجاريكم، ولا في بحار الندى من يباريكم، ويا خجل المملوك مما حكاه الحسين من الإحسان إليه، وما يضيع أجر المحسنين وإن حصل التقصير في المكافأة عليه، فالله المسئول أن يعطف قلب مولانا لمعاودة منصبه الشريف، ويحلي الشهباء منه بعد مرارة التنكير بآلـــة التعريف، ويعزها بالأحكام التي ما أهملت في بلد إلا خيف عليه أن ينكب، ولا عطل منها قطر إلا قطرت فيها الدموع بل سكبت وحق لها أن تسكب، ولعمري أن يومًا يرضى فـــيه خاطـــره الشريف، ويرقي إلى الفضل الأرتقيّ والشريف[1]، ذلك يوم مجموع له الناس علـــى السرور بنبل الطلب، وجاعل قلوب الأعداء في المعرة وأعينهم في حلب، ومهما نسي المملـــوك فـــلا ينسى ابن الأخ ما شمله من صدقات المقر الأشرف، الأعرق الأعرف، المولى حقًـــا، المتصدق صدقًا، حسام الدين، قامع الماردين بماردين، الذي زين الله بزينة الكواكب سمـــاء مجـــده، وشد به عضد أخيه حين ورث المكارم من أبيه وجده، وسله في نصرة الحق فكان حسامًا للدين مسلولاً، وحسن سيرته الحميدة فحكم العدل بصحتها مسئولاً.

---

(١) في نسخة: التشريف.

إني إلى[1] طلعتــــــه شـــــيِّقُ والـلفــــظُ عــــنْ أوصــــافه ضـــيِّقُ
فَهْــوَ مِــنَ البــيتِ الــرفيعِ الــذي مــا قــيلَ عــنْ إحــسانه صـــدِّقوا
هــــذا حـــسامٌ بــــيدِ اللهِ قـــدْ تـــاهَ علـــى الغـــربِ بـــه المـــشرقُ
قلـــوبُ كـــلِّ الـــناسِ في أســـرهم قـــيَّدَها جـــودُهُم المطلَـــقُ
فـــإن أتـــى الدهـــر بفـــتىً يَقُـــلْ جـــدهمُ العـــالي أنـــا أرتـــقُ

فعلـى المولى دام ظله، وعلى مولانا دام فضله، تحية أبد الدهر، وإلى لقائهما لهفة غـدوها شهر ورواحها شهر، وعلى من تحوط عنايته من أهل العلم والدين، والمحبين فيه والمتوددين، سلام يرخص الغالية، ونفحة هي بالود حاضرة وبالثناء بادية.

وله من إجازة

أمـا بعـد حمد الله الذي زاد أهل العلم شرفًا ورقيًّا، وجعلهم خلف السلف فحبذا سلفًا وخلفًا تقيًّا، والصلاة على نبيه محمد الذي جعل في حربه وسلمه الموت والحياة، وسجل لعترته المنيفة كتاب الطهارة وأنبع من أصابعه الشريفة باب المياه، وعلى آله الذين فتح لهم باب الولاء لإحياء الموات، وأغلق عنهم باب الرد بالعيب لما زكا معدنهم وطاب نباتهم فهذه زكاة المعدن والنبات، وعلى صحبه المعدودين من خيار المجلس، المقصودين للاستسقاء وصرف القبض عن المفلس، وعلى تابعيهم الذين عقلوا الوصايا فأدوا فرائض العبادات، وحسنت منهم السير فتره تعديلهم عن الجرح في الشهادات، صلاة تعقب الجنايات بالمسابقة إلى جنة وحرير، وتوجب القضاء بالعتق والعفو عن القصاص وحسن التدبير، فقد قرأ عليّ تقيّ الدين أبو بكر أمده الله بالرفعة والرقي، ونفع به الناس فما أحوجهم إلى التقي، من كتابي البهجة مواضع متفرقة، بتدبر حسن وعبارة مطلقة، وتفهم للدقائق، ووقوف على الأسرار والحقائق، وبحث عن غوامض ومهمات، وتنبه لفوائد وتتمات، آذن ذلك منه بذهن وقاد، وفكر صحيح منقاد، زاد البهجة بهجة، وكم أبدى من نبت فكر تعتضد من الأم بإملاء الحجة ، والله

---

(١) في نسخة: طرفي إلى.

يضاعف علو قدره، ويجمل نظراءه ببقائه فقد سبقهم أبو بكر بشيء وقر في صدره[1].

وله من رسالة

لله ذلـك الـوحل، بعد ذلك المحل، وكثرة البر، بعد أن مس الضر، فقد عمت الأمطـار الأقطـار، حـتى أصبح هرى الحكار، على شفا جرف هار، ورمت المخازن مقاليدها لديكم، وقال لكم خزنتها سلامٍ عليكم.

وله

وقفت على هذه المدحة الشاهدة لقائلها بفضل ولسن، فتقبلها ربها بقبول حسن.

وله من إجازة

أما بعد حمد الله الذي زاد الأذكياء المحصلين تاجًا، والصلاة على نبيه محمد الذي دخـل الناس بدعوته الشريفة في دين الله أفواجًا، وعلى آله وصحبه أفضل من أقام في الله حربًا وأثار عجاجًا، فقد عرض عليّ الولد تاج الدين صدقة من الكتاب الفلاني دل ذلك علـى حفظهـا كلها، وأنه سيتعلق من أسباب التحصيل بأجلها، فقال لأقرانه كونوا من ذكائه على ثقة، وإذا تناجيتم في نجابة فقدموا بين يدي نجواكم صدقة.

وله

أمـا بعد حمد الله مجيب السائل ومجيزه، والصلاة على نبيه محمد المؤيد من الكلم بأحسنه ومن الذكر بعزيزه، وعلى آله وصحبه المخصوصين من الفضل ببسيطه ومن النطق بوجيـزه، فقـد أشهدني الشيخ تاج الدين محمد لواضع خطه أعلاه، أدام الله علاه، على نفسه قدس الله سرها، وأطاب في طي الخلوات والجلوات نشرها، بجميع ما وضع به خطه أعـلاه مـن قراءة ابنه عليه القرآن العظيم جمعًا سلم من التكسير، وعلى قراءة الشاطبية والـرائية علـيه بحـثًا كفـل بالتيـسير، ومن إجازته له أن يقرئ مـن شاء كما قرئ

---

(١) واضح أن الإجازة بكتاب "بهجة الحاوي" وهو كتاب فقهي فلذا اشتملت على التورية بكثير من مسائل الفقه وأبوابه وكتبه.

عليه، فشهدت عليه طال بقاؤه وطاب لقاؤه بما نسب إليه، على أنه من اختبر ولده المذكور وحسن ذهنه، ظهر له من أهليته ما يستغنى به عن شهادة الأب لابنه، فإنه شاب يتوسم منه الصلاة والصلاح، ويرجى لحسن سمته النجاة والنجاح، ولعمري أن القراءة بالروايات تتوقف على حسن فهم وجودة طبع، فلولا أن هذا الشاب أسد لما قدر على السبع[1]، جعله الله لعين أبيه قرة، ومتعه بحياته فما أحق هذا التاج بهذه الدرة.

وله من رسالة وقد خلص له شخص ديوانه وبعثه إليه من دمشق بعد أن جلَّده وأرسل له رسالة بذلك

وينهى ورود الكتابين اللذين سرا القلب والطرف، ووافيًا من تلقائه بأريج الشذا وذكي العرف، فأما كتاب مولانا فلان ذنب الأيام بوروده يغتفر، وأما كتاب المملوك فإنه كان يعيذه بالله من وعثاء السفر، والآن علم أن حظ مولانا وافر، فإنه خلص من جلد مقشعر عذب بين الضرس والحافر، وأقبل في حلة مفوفة، وبدل من نكرة بمعرفة، وأحمد غب الفرقة، وكان قلبه حران فكسب من دمشق الرقة، وشكر عاقبة الصبر، وقابل مولانا به نسخته فحصل له بالمقابلة الجبر، وارتفع به عن الشيخ بهاء الدين الملام، وما هذه أول بركتكم يا آل فلان والسلام.

سألتُ كتابي إذْ أتى بعدَ برهة ... فقالَ الفلانيُّونَ زادوا تودُّدي

رأَوْني مأخوذاً غريباً فأقبلوا ... يقولون لا تَهلِكْ أسىً وتجلَّدِ

وبالجملة فأكثر الله أنواع خيرك، وإن كنت قد قبلت من تفضلك ما لا أطيق قبوله من غيرك، ووجمت خجلاً، ثم قلت مرتجلاً:

وافى كتابُ العبدِ ضمنَ كتابِكمْ ... فالقلبُ بينَ مسرتينِ يُوزَّعُ

فغدوْتُ أَحْسدُ منْ كتابيَ أحرفًا ... ظلَّتْ بحسنِكَ برهةً تتمَتَّعُ

قد كنتُ أخشى أنْ يُرَدَّ بعيبِهِ ... شرْعاً فعادَ بحلَّةٍ تتلمَّعُ

حمراءَ منْ حللِ الصِّبا فضفاضةً ... ذهبيَّةً أوصافُها تتنوَّع

---

(١) فيه تورية بالسبع مشاكلة للأسد، وهو يريد القراءات السبع.

نَـــوْ لَمْ تحلـــدْهُ وحقّـــكَ لم يطـــقْ ... عـــنكَ اصـــطباراً فالـــتجلُّدُ يـــنفَعُ
أنـــتَ الـــذي أكـــبرتني عَـــنْ خلعـــة ... أدبـــاً فَـــرُحْتَ علـــى كـــتابي تخلـــعُ
حجَّـــتْ إلـــيكَ بـــناتُ أفكاري وَقَدْ ... رجعـــتْ بفـــضلِكَ كالحمـــائمِ تسجَعُ
فاســـحبْ ذيـــولَ ســـعادةٍ إنعامُهـــا ... لا ينقـــضي وســـحابُها لا يقلـــعُ

وله من إجازة لابن العطار بعرض التنبيه

أمـــا بعـــد حمـــد الله بمحامده كلها، والصلاة على نبيه محمد أشرف البرية رتبة وأجلها، وعلى آله وصحبه أحق الناس بكلمة التقوى وأهلها، فقد عرض عليّ ابن العطار أنبـــته الله نباتًا حسنًا، وبلغه من فهم العلم المنى، عرضًا زاد هذا الطفل طولاً، وكفل له أن حـــرص باليد الطولى، دل به على حفظ الكتاب كله، فأكبرت لصغر سنه مثل ذلك من مـــثله، قـــائلاً إنك من أطفال أرجو أن تكون لهم في العلوم رسوخًا، ثم لتبلغوا أشدكم ثم لـــتكونوا شيوخًا[1]، سر الله بك أباك في السر والجهر، فهو سبحانه إذا شاء خرق العادة فيصلح بابن العطار ما أفسد الدهر.

وله من إجازة للكمال

أمـــا بعد حمد الله الذي زاد نجباء الأبناء وأبناء النجباء كمالاً، والصلاة على نبيه محمد الذي شرف بكونه منهم فزادوا به تمييزًا وحسنوا به حالاً، وعلى آله وصحبه الذين صفاتهم مؤكدات بالعطوف فلهذا سموا بدالاً[2].

منها: ولما عرض علي التحـــفة زاد بها طولاً، ولما عـــرض درة القارئ كاد يجعل الـــدرة لتاج نباهته إكليلاً، ولما جاءت العقيلة الثالثة تقضـــي بالحق تلوت وللآخرة خير لـــك من الأولى، قرأ الكتب الثلاثة قراءة لم أسمع بها أو بمثلها، فدل بذلك على حفظه لها كلها.

---

(١) فيه تضمين للآية الكريمة ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى...﴾[الحج: ٥].
(٢) في نسخة: أبدالاً.

وله إلى صاحب له بحماة

يهنئه بقدوم أخيه ناظر جيش حلب

وينهـــي أنـــه سطرها على سرور حقق الأمل، وأوجب شكر النعم بالقول وأنه الـــواجب بالقول والعمل، فإن حلب الآن حظيت بالزبدة، وبرئ الدهر إليها من العهدة، وأخـــذ في حـــديث الفرج بعد الشدة، وكانت في حرب الزمان فخلعت جوشنها على البـــشير، وقالـــت لحمـــاة قد اجتمع العاشق والمعشوق فاخلعي مسرودتك فإن طرف أم الحـــسن قرير، وقدم في يوم نثرت السماء عليه ثلجها كالدراهم سرورًا، وأضاءت الآفاق به بياضًا ونورًا، فهنأت به نفسي وأخاه وأباه، وقلت في قدومه في يوم ثلج وإن لم أنشده إياه:

يـــا قادمـــاً والـــثلجُ قـــدْ عَـــمَّ الفضا ... قـــدْ نـــوَّرَ الظلمـــاءَ مقـــدمُكَ المُضي

ســـافرتَ في يـــومٍ عـــبوسٍ أســـودٍ ... وقَـــدِمْتَ في يـــومٍ ضـــحوكٍ أبـــيضِ

فكأنَّمـــا الـــشهباءُ قـــدْ حلفَـــتْ بأنْ ... تلقـــاكَ في ثـــوبٍ يـــروقُ مُفَـــضَّضِ

فاســـلمْ ودمْ في نعمـــةٍ تأيـــيدها ... لا ينقـــضي وبـــناؤُها لم يـــنقضِ

وله من إجازة اليمني

أما بعد حمد الله الذي زاد العلم بهجة، وأعقب كل أزمة في طلب الفضائل فرجة، والصلاة على نبيه محمد الذي جعله لعقد الكون واسطة وللوجود مهجة، وأيده بالمعجزات حـــتى حـــج القوم وأقام الحجة، وعلى آله وصحبه سفن النجاة ونجوم الهدى إذا أخطرت اللجة، وعلى من تبعه بإحسان وسلك نهجه، فقد قرأ عليّ الفقيه الفاضل محمد بن عمر بن علـــيّ اليمني شكر الله مسعاه، وصحبه بالسلام[1] في رجعاه، جميع كتابي المنظوم الموسوم ببهجة الحاوي في الفقه قراءة تصحيح وإتقان، واستكشاف وإحسان، فدل بذلك على همة شامخة، وعزمة باذخة، فإنه وفد إليّ من بلاد اليمن فحق وجوبه ووجب حقه، وقدم على نضو أسفار فصدق علمه وعلم صدقه.

---

(١) في نسخة: بالسلامة.

ومـــنها: والله تعالى يبلغه الأماني، وينفعه بحدائق ذات بهجة، وإن كانت كالثريا شامية إذا ما استقلت وهو إذا استقل يماني.

ومن تعزية بالملك الناصر

كتـــبت عن قلب يتقلب، ونار تشب وتتغلب، ودموع تباري السيل، وهلوع يجاري خـــيل، وما ظنك بكسوف شمس النهار، والفلك الأعلى إذا انهار، فتم الحزن في هذا الفادح تنادح قاصر، وكيف لا وقد فقد الملك قوته وناصره فما له من قوة ولا ناصر.

ومن إجازة للقاضي نور الدين الفيومي

أمـــا بعـــد حمد الله مانح أسباب الفضائل، وملهم الأواخر إحياء ذكر الأوائل، والـــصلاة علـــى نبـــيه محمد أفضل الخلق، وعلى آله وصحبه ذي الشرف الوقف والجود نطلـــق، فقـــد استجازني من حقي الاســـتجازة منه، والتمس الأخذ عني من الأولى بي لأخـــذ عـــنه، وهـــو مولانا بحر الفوائد، وكنز الزوائد، ســـحب العلوم، وقطب المنثور والمنظوم، أقضى القضاة أبو المحاسن يوسف الفيومي الخزرجي الشـــافعي أحسن الله إليه، وأدام نعمه عليه، كم أبدع في هذا المعنى نثرًا يخجل المنثور، وشعرًا يفوق الشعرى العبور، فذهـــبه مصري، وكوكبه دري، أدبًا ينقص عنده أبو تمام، ويغيب بحضوره بدر التمام، لا يقاس به امرؤ القيس، ولا ينصـــب عنده لمشاكلته اسم إن ولا خبر ليس، فبدرت مدحه ومـــدحت بـــدره، وشـــكرت مهديه وأهديت شكره، وتلوت وقد أنشأني هذا الإنشاء، ﴿**ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ**﴾، ولكنه كلفني ما لا يطاق، وقلدني مننًا تثقل الأعناق، أتجيـــز ســـاقية بحرًا، أم يهدى أحد إلى بابل سحرًا، أم يباري شاميًّا مصريًّا، أم يســـاجل معدم مليًّا، ولله قولي:

وكـــانَ بمـــصرَ السحرُ قدْماً فأصبحتْ ... وأســـحارها أشـــعارُها تترقـــرقُ

ويعجـــبني مـــنها تملُّـــقُ أهلِهـــا ... وقـــد زادَ حتّـــى ماؤُهـــا يـــتملَّقُ

ثم لله قولي:

ديـــارُ مـــصرَ هـــي الدنـــيا وساكنُها ... هـــمُ الأنـــامُ فقابلْهـــا بتقبـــيلِ

يـــا مَـــنْ يباهـــي بـــبغدادَ ودجلـتِها ... مـــصرُ مقدمـــةٌ والـــشرحُ للنـــيلِ

غـــير أني على كل حال، رأيت من حسن الأدب الامتثال، نعم أجزته دام سعده، وأذنـــت له كبت[1] ضده، أن يروي عني منظومتي الموسومة بالبهجة في الفقه والشرحين اللـــذين وضـــعتهما على الألفيتين في العربية ورسالتي الموسومة بمنطق الطير ومقدمتي في العـــربية، الموســـومة بالتحفة الوردية وشرحها وأرجوزتي في الفرائض الموسومة بالوسائل المهذبـــة، في المـــسائل الملقبة، وجميع مالي روايته وإسماعه من منقول ومعقول[2]، وفروع وأصول، ونشر ونظم، وأدب وعلم، بشرطه لدى أهل ضبطه، حسبما تضمنه أمره الذي ضـــارع السيف الماضي حاله وتمييزه، واستحق به حسن مدحه ومدح حسنه فأنا مادحه وأنا مجيزه، متطفلاً عليه فيه، منشدًا تلو ذلك على البديه:

مـــولايَ يـــا ذا المنظـــرِ الزاهـــرِ والمـــــنطقِ المنـــــتظمِ الباهـــــرِ
يـــا حاكمـــاً شـــاهدُهُ عامـــلٌ علـــى العُلـــى نفـــديكَ بالناظـــرِ
أبـــدعت نثـــراً قلـــتُ لَمـــا بـــدا كـــــم تـــــركَ الأولُ للآخـــــرِ
وقلـــتَ شـــعراً محكمـــاً مـــثلُهُ في الدهـــر لم يخطـــرْ علـــى خاطِـــرِ
فـــيا ســـريعَ الـــنظمِ لا زلـــتَ في خـــيرِ مديـــدٍ كامـــلٍ وافـــرِ
جَمَّلْـــتَ مـــصراً أنـــتَ مِـــنْ أهلِـــه وسُـــدْتَ في الـــبادي وفي الحاضـــرِ
فأنـــتَ نـــورُ الـــدينِ عـــدلاً[4] ومَنْ يُـــسْمى[3] بـــه غـــيرُكَ كالجائـــرِ
وإنمـــــا كلفـــــتني خطـــــةً تُوهـــي قـــوى المـــستأسدِ الخـــادرِ
قلـــتَ أجـــزني وأنـــا قطـــرةٌ واحـــدةٌ مـــن بحـــرِكَ الزاخـــرِ
يوســـفُ أعـــرِضْ مـــا الـــذي تبتغي مِـــنْ عمـــرَ المعـــدولِ مِـــنْ عامِـــرِ
أمـــرتني مـــا أنـــتَ أولى بـــه فـــشرِّف المأمـــورُ بالآمـــرِ

---

(١) في نسخة: كبت.

(٢) في الأصل: مقول، وهو خطأ.

(٣) في نسخة: سُمي.

(٤) في نسخة: حقًا بدلاً من عدلاً.

فـــإن أُخالـــفْ لم يلـــقَ بي وإنْ أطعـــتُ أخـــشى هـــزأةَ الناظـــرِ

وطـــاعتي أمـــرَكَ ألفيْـــتُها أولى وإن شـــقَّتْ علـــى خاطـــري

أجـــزتُ مـــولايَ كمـــا جـــوّزوا صـــرفَ ســـوى المـــصروفِ للـــشاعرِ

ضـــرورةً إذ لـــست أهـــلاً لمـــا ظنـــنتَ يـــا طائـــلُ بالقاصـــرِ

إجـــازةً لـــو أنـــني منـــصف ســـألتُها مـــن فـــضلكَ[1] الغامـــرِ

مـــثْلُكَ لا يُجهـــلُ مقـــدارُهُ ولا ســـجايا بيـــتكِ الطاهـــرِ

حكمـــتَ في الـــشهباءِ فـــرعاً عن الـــ شـــرعِ وعـــن طَـــشْتمرَ الناصـــري

فمـــا رأيـــنا مـــنكَ إلاّ الـــذي يَـــسرُّ في الـــباطنِ والظاهـــرِ

حكْـــمٌ عفـــيفٌ نَـــزِهٌ محـــسنٌ بَـــرٌّ مقـــيلٌ عثـــرةَ العاثـــرِ

مـــسدَّد الأحكـــامِ حـــتى غـــدا حكمُـــكَ مـــثلَ المـــثلِ الـــسائر

فـــاللهُ لا يجعلُـــهُ آخـــرَ الـــ عهـــدِ لـــنا مـــن وجهـــكَ الناضـــرِ

ودمـــتَ في عـــزٍّ وفي رفعـــةٍ يـــا قـــدوةَ الـــناظمِ والناثـــرِ

وله تهنئة بالملك المنصور أبي بكر وتعزية بأبيه الناصر

مـــا أســـاءَ الدهـــرُ حـــتى أحْـــسَنا رقَّ فاســـتدركَ حـــزناً بهَـــنَا

بيـــنما البأســـاءُ عمَّـــتْ مـــن هـــنا فـــإذا الـــنعماءُ عمـــت مـــنْ هـــنا

فـــبحقّ أن يـــسمَّى محـــزناً وبـــصدق أنْ يُـــسمَّى مُحـــسنا

فلـــئن أوحـــشنا بـــدرُ الـــسما فلقـــد أنـــسنا شمـــسَ الـــسنا

علمـــاً أبدلَـــهُ مِـــنْ علـــمٍ ظاهـــر الإعـــراب مـــرفوعِ البـــنا

فجـــزى اللهُ بخـــيرٍ مَـــنْ نـــأى ووقـــى مِـــنْ كـــلِّ خـــيرٍ مَـــنْ دَنـــا

أجـــل والله لقد أساء الدهر وأحسن، وأهزل وأسمن، وأحزن وسر، وعق وبر، إذ أصبح الملك وباعه يفقد الملك الناصر قاصر، وقد ضعفت أركانه ومات سلطانه فما له من قـــوة ولا ناصر، لكنه أصبح ولله الحمد وقد ملأ القصور بالمنصور سرورًا، وأطاعه الدهر وأهله فلا يسر في القتل إنه كان منصورًا.

---

(١) في نسخة: لفظك.

وله من إجازة

بعد[1] حمد الله الذي وهب شهاب الدين أحمد المناقب، والصلاة على نبيه محمد أول طارق لباب الجنة وما أدراكَ ما الطارق النجم الثاقب، فقد قرأ إلى آخره رزقني الله وإياه في الدارين مقعدًا يسر القلب والطرف، وألهم عمر وأحمد العدل ووزن الفعل لئلا يستحقا عن بابه الصرف.

وله من إجازة

عرض عليّ فلان المقصورة الدريدية من حفظه، وأداها بفصيح لفظه، عرضًا أصبحت به المقصورة ممدودة الظل، وأصبحت من النقص في حرم ومن الثناء في حل، وكيف لا وهو من الأولى أجروا ينابيع الندى، وردت فصاحتهم من زعم أن امرء القيس جرى إلى مدى، فلو حضرت عرضه إياها وقد شفى من كان على شفا، قلت سنا أومض أو برق خفا، أو جواد شكرت عزمته، أو سيف استعلت به همته، فلو فاخر بها السبع الطوال لصدها، واستأنف السبع وسبعًا بعدها، وأن بياض حفظه تجلى في سواد سطورها فجلاها من الحسن في وشاح، فكان كالليل البهيم حل في أرجائه ضوء صباح، فازدهيت بحيره ومقابلته وحق لها أن تزدهي، وقطع سردها بحد لسانه فانتهت عن الممانعة وكل شيء بلغ الحد انتهى.

وله في الزلزلة الحادثة في منتصف شعبان سنة ٧٤٤ وقد عاودت بعد سنة كاملة

نعوذ بالله من شر ما يلج في الأرض وما يخرج منها، ونستعينه في طلب الإقامة بها وحسن الرحلة عنها، ثم نستعيذ بالله ونستعين، من سم هذه السنة فهي أم أربعة وأربعين[2]، ذات زلزال بث في بلاد الشام رجله وخيله، وجزم برفع الأرض لما جر ذيله، لا عاد من زلزال، زاغ به العقل وزال، قنت الناس لأجله في الصلوات، وسكنوا من خوفه الصحارى والفلوات.

---

(١) في نسخة: أما بعد.

(٢) فيه تورية حيث إن المعنى القريب "العقرب" والمراد السنة.

ـ الدهــــرُ خــــانَ امــــرأً بهــــونٍ أذاه يهــــنْ
ـكــم زخــرفٍ قــد ســبا إذا زُلــــزت لم يكــنْ

جــاوز ســتين يومًا، ووعظ بقوم قومًا، فإن قيل كيف صبر الجدار على إمساك شهرين متتابعين وما اجتث من أصله، قلت هي كفارة عليه فإنه في نهار رمضان وقع على ـعه.

ـعــوذُ بالــرحمنِ مِــنْ مــثلها زلــزلةٌ أســهرتِ الأعيــنا
قــدْ واثــبتْ بــالهجمِ مَــنْ لا عصى وعاقــبتْ بالــرجمِ مَــنْ لا زنى
حكــمُ عزيــزٍ قــادرٍ قاهــرٍ في كــلِّ حــالٍ لمْ يــزلْ محــسنا

عايــنا لها أهوالاً تقشعر منها الحجارة وتتفرق، وأن منها لما يشقق، وأن منها لما يهبط من خشــية الله ويفرق، فكــم دخل الفاعل والصــانع دارًا صخرها يابس وذهبها غــض، فــوجدا فيها جدارًا يريد أن ينقض، وكم سماء قائمة ســقط فلن يبرح الأرض، وبــناء قــصر في الطول إلى يوم العرض، وكم ليلة سهرناها سهر ليالي الهجر، ودعونا الله تعالى أنها سلام هي حتى مطلع الفــجر، فنسأل الله أجرًا بلا بلاء ونعوذ بالله من بلاء بلا ـجــر، وما حال من منى بالعكــس والطرد، وامتد في كانون عن الكنّ فقصره البرد، أنا ـــبذنا بالعراء الخوف زلزال طما، لا ما علينا منه في الصحرا سوى مطر السما، والحكيم يقــول هــذا بخار ريح احتبس، والمنجم يقول هو من حركة كوكب اقتبس، وأما الفقيه فينشد فيه:

ـإني بفعــــل الله أولُ مــــؤمنٍ وبمــا قــضاه الــنجمُ أولُ كافــرِ
كــذبَ[1] الحكــيمُ فمــا لَــهُ منْ قوةٍ وذوو الــنجومِ فمــا لهــم مــن ناصر

فالعلمــاء أحدق وأحذق، والشريعة الشريفة أقصد وأصدق، ولو رأيت حلب، وقــد أشرفت على سوء المنقلب، ووضح لجامعها فرؤى في أماكن، وتعلمت منارته باب الإمالــة وتحريك الساكن، فلولا بركة النداء فيها لرخمت، ولكن الله سلم جمعها فسلمت،

---

(١) في نسخة: كبت.

انتفع بأسها[1] بشرف التذكير، وسلم جمعها الصحيح من التكسير، غير أن الدموع جرت على عقبة بني المنذر كماء السماء، وبرزت المضمرات من الخدور لحركات البناء، وتعانقت حيطانها تعانق وداع، وفكت الرقاب واختلعت الأضلاع، وما أدراك ما العقبة، فك رقبة، وما يدعى بعاجز، من ضمن قول الراجز:

زلزلةٌ قدْ وقعتْ في العقبهْ ترضى من اللحمِ بعظمِ الرقبهْ[2]

فخرج النائب بحلب لهذه النائبة، ماشيًا متضرعًا من نتيجة هذه الكلية السالبة، وهو يأسى ويأسف، وعلى رأسه المصحف.

أقسمتُ لو شاهدتَهُ يختالُ تحتَ المصحفِ
لحسبتَ[3] صورةَ يوسفٍ تمشي بسورةِ يوسفِ

ولو رأيت القلاع والحصون، وقد أزالت الزلازل منها كل مصون.

طارتْ لقلعِ القلاعِ زلزلةٌ ما خشيتْ رامياً ولا صائدْ
إذا درى الحصنُ مَنْ رماهُ بها خرَّ لهُ في أساسهِ ساجدْ
إنْ هربوا أُدركوا وإن وقفوا خشوا ذهابَ الطريفِ والتالدْ
فالأمرُ للهِ رُبَّ مجتهدٍ ما خابَ إلاّ لأنّهُ جاهدْ

رمت الناس بعلة السدر والدوار، وجاورت دورًا مرفوعة فخفضتها على الجوار، ولو رأيت منبج منبت كل سريّ، ومهب النسيم السحريّ، وهي من شدة الطمس، كأن لم تغن بالأمس، قد كسف الردم بها كل بدر وشمس.

---

(١) في نسخة: أسقطت الهمزة.

(٢) ضمن بيت الراجز:

أُمُّ الحُلَيسِ لَعَجُوزٌ شَهْرَبَهْ تَرضَى مِنَ اللَحْمِ بَعَظْمِ الرَقَبَهْ.

وأراد الراجز قلة أكلها، وأراد المصنف هنا أنها مهلكة حيث تأخذ بالرّقاب، ومن ثم فقد جمع إلى التضمين تلك الكناية البديعة

(٣) في نسخة: لرأيت.

وليس وفاهم بالردم نَقْصاً لقدرهمُ ففي الشهداء صاروا
وما في سطوةِ الخلاّقِ عيبٌ ولا في ذلّةِ المخلوقِ عارُ

فوا أسفاه على منبج من مدينة جليلة، أصبحت دمنة[1] وكانت الألسن عن وصفها كليلة[1]، غشيها فتر وظلمة، وركبتها ريح سوداء مدلهمة.

هلكوا همُ وديارُهم في لحظةٍ فكأنهم كانوا على ميعادِ
نبشوا[2] وأوجُهُهم تضيءُ من الثرى مثلَ السيوفِ منَ الأغمادِ

وقد حكى أن منارتها صارت تقذف نحو السماء حجارتها.

سكرتْ بخمرِ زلازلٍ رقصتْ لها رقصَ القلوصِ براكبٍ مستعجلِ
سقياً لسقياها فدمعي قاطرٌ لمصابِ منزلِها وأهلِ المنزلِ

ولما سمعوا مهول ذلك الصوت، خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، فما حمتهم هيبة هيبت ولا أقطار القاطر، ولا منعتهم قناطر الملوك إذ صرعتهم ملوك القناطر.

كمْ حائطٍ فوقَ الكواعبِ طائحٍ ماذا أقولُ لهُ ولكنْ حائطُ

فلا جرم عظم وهني لها ولا وهن عظمي، وختمت ذلك ببيتين من نظمي:

منبجٌ أهلها حَكَوا دودَ قزٍّ عندهم تُجعلُ البيوتُ القبورا
ربِّ نعِّمهمُ فقدْ ألفوا منْ شجرِ التوتِ جنَّةً وحريرا

وله من رسالة إلى صاحب له تولى نظر المال بحماة

يقبِّلُ الأرضَ مشوقاً قائلاً ومستكنُّ الحبِّ منْهُ ظاهرُ
يا جيرةً حمى حماةَ استوطنوا طرفي إليكم حيثُ كنتمْ ناظرُ
أعجَزُ عنْ وصفِ ضميري لكُم إذْ لمْ يُجَزْ أنَّ توصفَ الضمائرُ

وينهي أنه كان يقول لقلعة حماة هنيئًا مريئًا، قد جعل ربك تحتك سريًا، والآن هنيئًا للسريّ الفاخر، بمجاورة بحرك الزاخر ، ولعمري لقد حق لابن مقاتل توشيع

---

(١) فيه مشاكلة وتورية بكليلة ودمنة وليس هو المراد.

(٢) في نسخة: يبسوا.

التوشيح، وأن يقتدي بالملائكة حتى يسمع له زجل بالتسبيح، ولما عزز أمنك بثالث وهما من هما، أنشدت مضمنًا عني وعنهما:

قَدْ حمى[٢] المولى حماةَ بفضله ... فدمشقُ تحسدُها على تمكينها
بسمَتْ فأعجبني تبسُّم ثغرِها ... فلثمتُ فاها آخذاً بقرونِها[١]

فحميت حماة من إعانة الصب وإصابة العين، وتم سرور أم الحسن بالحسين.

وله من إجازة

فقد قرأ عليّ فلان ذو الذهن الوقاد، والفكر المنقاد، الهاجر في تحصيل العلم لأوطانه النازح في طلب الحديث عن أهله وإخوانه، جميع كتابي المنظوم في الفتاوى، الموسوم ببهجة الحاوي، وجميع أرجوزتي الموسومة بالبهجة الوردية، في علم العربية، وبحث عليّ من الكتابين مواضع كثيرة، وتنبه لمعان عزيزة غزيرة، فبلغ [من][٣] ريا البهجة وشذا شرحها سؤلاً، وزاد البهجة بهجة فتلوت وللآخرة خير لك من الأولى، وما أحق من وقف لتحصيل العلم وهو نضو سفر، أن يكتب من النفر العاملين بقوله سبحانه فلولا نفر، مع ما سمع مني من منثور طيب الشذا، ومنظوم يعدله المنصف من جنس بئس إلى فصل حبذا.

منها: مبشرًا له بارتفاعه على قرنائه، متفرسًا فيه التقدم على نظرائه، وكيف لا وقد رحل في طلب العلوم إلى الآفاق، وانتهى إلى علامة الزمان على الإطلاق، وانتظم في سلك العصابة التقوية، وكتب من أنصار الكتيبة الأنصارية، التي أصبحت للعلوم بحرًا خضمًا، وللطالبين والراغبين مشرعة عظمى، متع الله المسلمين ببقاء أبي بقائهما، وخرق العادة في حياة رافع لوائهما، ولا غرو أن تتضاعف لمن قارن السحاب والبدر الأنواء

---

(١) ضمن بيته شطر البيت المشهور:

فَلَثَمتُ فاها آخِذاً بِقُرونِها ... شُربَ النَزيفِ بِبَردِ ماءَ الحَشرَجِ

وقبله:

قالَت وَعَيشِ أَخي وَذِمَةِ والدي ... لِأُنَبِّهَنَّ الحَيَّ إِن لَم تَخرُجِ

(٢) في نسخة: جمل، وما أثبتناه أولى وفيه جناس بديع بين حمى وحماة.

(٣) ما بين المعكوفتين زيادة من بعض النسخ.

والأنـــوار، وأن يـــرفع جار المرفوع فقد خفض جار المخفوض وإن كان كبير أناس على الجوار.

وله من مكاتبة عنه وعن أخيه يوسف

وإذا عـــنى مـــولانا الصاحب بالأخ رفقًا وإحسانًا، تلونا هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمـــير أهلـــنا ونحفظ أخانا، فالله يعلينا بعلوك، ويبلغنا مرجونا ببلوغ مرجوك، حتى تقول أولادك عنا، ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا[1] منا، ونقر بك عينًا، ونقرأ أنا يوسف وهذا أخي قد منّ الله علينا.

وكتب إليه قاضي شهاب الدين بن فضل الله كتابًا من الشتويات

وله قصيدة مطلعها

هـــلا أعـــارت دمـــشقًا أختها حلب عيـــنًا فتـــرحم أو قلـــبًا فيكتـــئب

فأجابه

وافى الكـــتابُ الـــذي تعـــنو لهُ الكتبُ مـــن الـــشهابِ الذي تسمو بهِ الشهبُ

مـــنْ عندِ أسجع مَنْ يُسمى وأسمح مَنْ أعطـــى وأبلـــغ مَـــنْ أمْلُوا وَمَنْ كتبوا

فلـــو فرشـــتُ ســـروراً وجـــنيَّ لـــه لم أقـــضِ مِـــنْ حقّهِ بعضَ الذي يجبُ

ألفاظُـــــهُ الغـــــرُّ فاروقـــــيةٌ دررٌ يُنفـــى بهـــا السمُّ أو يُشفى بها الكَلَبُ

فوائـــقٌ مـــن قـــوافٍ حيـــثما ذُكرت يطـــربْ بهـــا الحـــيُّ أو يحيا بها الطربُ

يـــا باعثَ الثلجِ والسحبِ التي عُهدت مِـــنْ ثغـــرِهِ ونـــدى كفـــيْهِ يُحـــتلَبُ

بيضُ الثلوجِ اكتستْ من وصفِكُمْ ذهباً كأنهـــا فـــضةٌ قَـــدْ مـــسَّها ذهـــبُ

مِـــنْ ســـعدِ جلّـــقَ أن النائـــباتِ بهـــا بـــيضٌ وفي غيرهـــا مـــا ابيضَّتِ النُّوَبُ

لا مـــا لحمـــرةِ ســـيلٍ في طـــرابُلُسٍ هـــذا البـــياضُ وهـــذا المنظرُ العجبُ

لـــو ادعـــى أنـــهُ يحكـــيهِ قلـــتُ لـــهُ لقـــدْ حكـــيتَ ولكـــنْ فاتَكَ الشنبُ

---

(١) في بعض النسخ: أخينا، والمذكور أولى للتضمين بآية يوسف.

زرقُ الأعادي وبيضُ السحبِ واجدةٌ[3] … علـى دمـشق فلا كانوا ولا السحبُ

ناهيكَ مِنْ دِيَمٍ في طيِّها زَغَبٌ[4] … وزمجراتِ رعودٍ ضمَّها رَهَبُ

قَدْ ثُجَّتِ الماءُ ثجًّا فَهْوَ منسكب … ورُجَّتِ الأرضُ رجًّا فَهْيَ تَضطربُ

الفرقُ بين دمشقَ والجنانِ لنا … أَنْ لا لُغوبَ بجنات ولا نَصَبُ

يا برقُ قلْ لي ويا سطرَ السحابِ ترى … السيف أصدقُ أنباءً أمِ الكتبُ[1]

فالسحبُ والبرقُ يتلوها كغاشيةٍ … مِنَ الدخانِ على آثارها لهبُ

أو كالعشارِ التي غنَّتْ رواعدُها … مثلَ الحداةِ التي أصواتُها[2] ذهبُ

مولايَ إنَّا لفرطِ الحبِّ فيكَ إذا … أمر عَناكَ كأنَّا فيكَ نصطحبُ

فكلُّ ما في دمشقَ حلَّ مِنْ جللٍ … فشطرُ ذلكَ قاستْ أختَها حلبُ

إنَّ المصائبَ بالأقدارِ كائنةٌ … لكنْ على حسبِ الأقدارِ تُحتسبُ

عجبتُ مني ومنْ غيري تشوقنا[7] … إلى ازديادِ حياةٍ كلُّها تعبُ

وإنْ دُهمنا بسيلٍ أو بنوعِ أذى … كالثلجِ والنارِ[5] حِرْنا ما هو السببُ

أقسمتُ باللهِ لولا حلْمُ خالقنا … لكانَ مِنْ عشْرِ ما نأتي بهِ العطَبُ[6]

ودهرُنا أيُّ دهرٍ في تقلُّبه … قَدْ هانَ فيه التقى والعلمُ والأدبُ

لي أُسوةٌ بانحطاطِ الشمسِ عَنْ زحلٍ … فإنْ علاني مَنْ دوني فلا عجبُ

وإنْ يكنْ كسدَ الورديُّ في حلب … فالمندلُ الرطبُ في أوطانه حَطَبُ

ما شبْتُ وحدِي عذارُ الماءِ شابَ إلى … أنْ صارَ ثلجاً كذا الأحوالُ تنقلبُ

---

(١) تضمين لمطلع القصيدة المشهورة لأبي تمام.

(٢) في نسخة: أسواطها.

(٣) في نسخة: واحدة، وهذا خطأ.

(٤) في نسخة: رغب.

(٥) في نسخة: كالنار والثلج قلنا.

(٦) أي لولا رحمة الله لأهلكنا ببعض ذنوبنا، والعطب هو الهلاك.

(٧) في نسخة: تشوفنا.

يـــا واصــــفَ السيلِ وصفاً هالَ سامعَهُ ... فالقلـــبُ والخـــوفُ مِنْ أوصافه يجبُ[1]

كــــم شـــادَ منكمْ قوى الدنيا أخٌ فأخٌ ... وســـادَ فــيكم إلى العلـــيا أبٌ فَــأبُ

فيعــــبرونَ مـــدى الكــتَّاب إنْ كتـــبوا ... وينـــشرون فـــتىً[2] الخطَّابِ أنْ خطبوا

إنْ ســـوبقوا سَــبَقوا أو حَدَّثوا صدقوا ... أو سُـــولموا رفقـــوا أو حوربـــوا غلبوا

كـــتابةُ الـــسرِّ بـــل ســـرُّ الكتابةِ مِنْ ... فـــنونكمْ وعلـــومٌ راضَـــها الطلَـــبُ

لكـــمْ يـــراعٌ بفـــضلِ اللهِ ما افتخرتْ ... إلا أقـــرَّ لهـــا الخطِّـــيُّ والقـــضُبُ

في الـــذوقِ تحلو وفي الأسماعِ تعذب إذْ ... في الـــسبْقِ تمْلُـــحُ حسناً هكذا القصبُ

مظلـــومةُ القـــدِّ في تـــشبيهها[4] غصنًا ... مظلـــومةُ الـــريقِ إذ[3] قلنا هي الضَرَبُ

يقبل الأرض التي تقبيلها شرف، ويدعو بدوام أيام مولانا دعاء من اعترف بفضله ومـــن بحر فضائله اغترف، وينهى ورود المثال الشريف الذي يحكي رداء نهار طرز بليل، وتبسم عن معان مبتكرة في وصف ثلج وبرد وسيل، أعرب فيه فأغرب، وأرقص سامعيه وأطـــرب، ثلج أصبحت به جبال دمشق مغلفة والخواطر معلثة، والأغصان المتناة مقشعرة مـــن باردته ليكون الثلج بالمثلثة، توارت الشمس من وقاحته بفاختي قمصها، وودت من برده لو جرت النار إلى قرصها، وقالت له الأرض كشف عن حمرة وجنتي وخضرة عذار مرجـــي، قال كأنك لائطة، قالت وإلا عذارك الثلجي، ابتسم لبكاء أهلها عن شنب ثغر للـــرفش لا للرشـــف، وستر رقعة الأرض في دستة القائم حتى النفس ولو أنها الفيل تموت بالمقاطعة شوقًا إلى الكشف.

أثلـــوجُ ضـــاعفَتِ الهمـــومَ وطالمـــا ... كلفـــتِني مـــا ضـــرني تكلـــيفُهُ

إبـــلُ الـــسحائبِ هِـــيَّجٌ في جـــوِّها ... وغمامُهـــا[5] كالقـــوسِ[6] طـــارَ نديفُهُ

---

(١) في نسخة: سحب.

(٢) في نسخة: وينشدون قنى.

(٣) في نسخة: إن.

(٤) في نسخة: تشبيهه.

(٥) في نسخة: لغامها.

(٦) في نسخة: كالبرس.

قـل تجلـد الأرض علـى جليده ظهرًا وبطنًا، فقال لها أتبردين وقد طرح قوس السحاب على جبتك قطنًا.

ذرَّ كافـورَ ثلجِـه الجـوُّ في الأر ضِ فأضـحى مـزاجُها كافـورا
وتـلاه ويْـلاه حـبُّ غمـامٍ فحسـبناهُ لؤلـؤاً منـثورا

كم زمجرت الرعود على الناس كأنها تطلبهم بثأر قتيل وما قتلوه، وقعقعت عليهم لجُ[1] صواهلها حتى تلوا أتى أمر الله فلا تستعجلوه.

إنَّ السحائبَ قَـدْ طَغَـيْنَ بجلّـقٍ وبشـنَ ثلجـاً لا سـلمْنَ سـحائبا
وبـسمْنَ عـنْ بـردِ خـشيتُ أذيتُهُ مِـنْ حـرِّ أنفاسـي فكـنتُ الذائـبا
لـو أن بـستاناً بجلّـقَ ناطـقٌ حـساً لكـانَ يقـولُ قـولاً صـائبا
أظمـتنيَ الدنـيا فلمـا جئـتُها مستـسقياً مطـرَتْ علـيَّ مـصائبا
سـحبٌ بـوارقُ أو ثلـوجٌ خلـتُها زنجـاً تبـسَّم أو قـذالاً شـائبا

أيقـنوا بـالهلاك من غلبة الماء للماء غلبة، فتاب إلى الله الفاعل والمفعول معه لما استوى الماء والخشبة، وقامت في تذكر الصيف سوق سوقهم، ورجت الأرض بقوم فخر عليهم السقف من فوقهم، وتضور الجامع الأمويّ من ترصيص الثلج على ترصيصه، وزاد علـيه حتى كاد يقصـص عظام فصوصه، فأصبحت العروس تتجلى بشربوش من فضة، وبـل جناح النسـر بالندى فعجز عن الطيران والنهضة، ونادى جيرون الجيرة من غائلة ثلوج تلوح، فقيل لا تخـش من باب تزيد السـيل فإن باب الزيادة مفتوح، وجمد الريق في اللهـوات لثلج وبرد تسطح وتسنم، وسجد الكافر للشمس من شدة برده واشتاق إلى جهنم.

سـحائبُ البَـرَدِ المـرْفَضِّ صـائلةٌ علـى جـنانِ دمـشقَ صـولةَ الأسد
كَـمْ كسَّرتْ أصلَ تفاحٍ وكم حَطَمَتْ ورداً وعـضت علـى العنَّاب بالبرد[2]

---

(١) في نسخة: لجم.

(٢) في نسخة: بالزرد، والمذكور أولى رعاية لتضمين البيت المشهور.

هـــذا ولـــولا تسعر بأس مولانا لما ذاب، وحاشا مولانا واسطة عقدها من أذى وعذاب، وما قدر بياض الثلج عند بياض حسبك ووجهك وثغرك، وما حال جبال البرد وأنهار جبال السيل عند جبال حملك وزاخر بحرك، فالله يمتع الفضائل من مولانا بكل معنى غـــير معاد ولا مسروق، وينفعنا ببركة جده عمر وقد فعل وما أحق من سم بالذنوب أن ينتفع بالفاروق.

رسالة النبا عن الوبا

الله لي عدة، عند كل شدة، حسبي الله وحده، أليس الله بكافٍ عبده، اللهم صلِّ علـــى سيدنا محمد وسلم، ونجنا بجاهه من طعنات الطاعون وسلم، طاعون روع وأمات، وابـــتدأ خبره من الظلمات، يا له من زائر، من خمس عشرة سنة دائر، ما صين عنه الصين ولا منع منه حصن حصين، سل هنديًا في الهند، واستند على السند، وقبض بكفيه وشبك علـــى بـــلاد أزبـــك، وكم قصم من ظهر، فيما وراء النهر، ثم ارتفع ونجم، وهجم على العجـــم، وأوسع الخطى، إلى أرض الخطا، وقرم القرم، ورمى الروم بجمر مضطرم، وجر الجرائر إلى قبرص والجزائر، ثم قهر خلقًا بالقاهرة، وتنبهت عينه لمصر فإذا هم بالساهرة[1]، وســـكن حركة الإسكندرية، فعمل شغل القز الحريرية، وأخذ من دار الطراز طراز الدار، وصنع بصناعها ما جرت به الأقدار.

اســـــــكندريةُ ذا الــــــــوبا ... سَــــبُعٌ يمـــــدُّ إلـــيكِ ضـــبعَهْ

صـــــبراً لقـــــسمتِه الـــــتي ... تـــركتْ مـــنَ الـــسبعينَ ســـبعَهْ

ثم تـــيمم الصعيد الطيب، وأبرق على برقة منه صيب، ثم غزا غزة، وهز عسقلان هـــزة، وعـــكَّ إلى عكـــا، واستشهد بالقدس وزكى، فلحق من الهاربين الأقصى بقلب الـــصخرة، ولـــولا فـــتح باب الرحمة لقامت القايمة في كره، كما طوى المراحل، ونزل بالـــساحل، فـــصاد صيدا، وبغت بيروت كيدًا، ثم سدد الرشق، إلى دمشق، فتربع وتميد، وفـــتك كـــل يـــوم بألـــف أو أزيد، فأقلّ الكثرة ، وقتل خلقًا ببترة ، فالله تعالى يجري

---

(١) فيه تضمين لآية سورة النازعات.

دمشق على سنتها، ويطفي لفحات ناره عن نفحات جنتها.

أصلحَ اللهُ دمشقًا وحماها عَنْ مسبَّهْ
نفسُها خسَّتْ إلى أنْ تقتلَ الناسَ بحبَّهْ

ثم مز المزة، وبرز إلى برزة، وركب تركيب مزج بعلبك، وأنشد في قارة قفا نبك، وغسل الغسولة، وبلغ من كسوف شمس شمسين سوله، وطرح على الجبة برشه، وأزبد على الزبداني نعشه، ورمى حمص بجلل، وصرفها مع علمه أن فيها ثلاث علل، ثم طلق اللكنة في حماة، فبردت أطراف عاصيها من حماه.

يا أيها الطاعونُ إنَّ حماةَ مِنْ خيرِ البلادِ ومِنْ أعزِّ حصونِها
لا كنتَ حينَ شَمَمْتَها فسمَمْتَها ولثمْتَ فاها آخذاً بقرونِها

ثم دخل معرة النعمان، فقال لها أنت مني في أمان، حماة تكفي في تعذيبك، فلا حاجة لي بك.

رأى المعرةَ عيناً زانَها[1] حَوَرٌ لكنَّ حاجبَها بالجوْرِ مقرونُ
ماذا الذي يصنعُ الطاعونُ في بلدٍ في كلِّ يومٍ لهُ بالظلمِ طاعونُ

ثم سرى إلى سرمين والفوعة، وشنع على السنة والشيعة، وسنّ للسنة أسنته شرعًا، وشيع في بلاد الشيعة مصرعًا، ثم أنطى أنطاك بعض نصيب، ورحل عنها حياء من نسيانه ذكرى حبيب، ثم قال لشيرز والحارم لا تخافا مني، فأنتما من قبل ومن بعد في غنى عني، فالأمكنة الردية تصح في الأزمنة الوبية، وأخذ من أهل الباب، أهل الألباب، وباشر تل باشر، وذلل ذلول وقصد الوهاد والتلاع، وقع خلقًا من القلاع، ثم طلب حلب، ولكنه ما غلب، فهو ولله الحمد أخف وطأة، ولم أقل كزرع أخرج شطأه.

إنَّ الوبا قدْ غلبا وقدْ بدا في حلبا
قالوا لهُ على الورى كافٌ ورا قلت وبا

(١) في نسخة: زانما، وهو خطأ.

ومـــن الأقدار، أنه يتتبع الدار، فمتى بصق واحد منهم دمًا، تحقق كلهم عدمًا، ثم يسكن الباقين الأجداث، بعد ليلتين أو ثلاث.

ســـــألتُ بــــــارئَ النــــــسمْ في دفـــــعِ طاعـــــونٍ صَـــــدَمْ
فَمَــــــنْ أحـــــــسَّ بلـــــــعَ دمٍ فقـــــدْ أحـــــــسَّ بالعـــــــدمْ

اللهم إنه فاعل بأمرك فارفع عنا الفاعل، وحاصل من عند من شئت فاصرف عنا الحاصل، فمن لدفع هذا الهول، غيرك يا ذا الحول.

اللهُ أكــــبرُ مِـــنْ وبـــاءٍ قـــدْ ســـبا ويـــصولُ في العقـــلاءِ كالمجـــنونِ
ســـنَّتْ أســـنتُهُ لكـــلِّ مدينـــةٍ فعجـــبتُ للمكـــروهِ في المـــسنونِ

كـــم دخل إلى مكان، فحلف لا يخرج إلا بالسكان، ففتش عليهم بسراج، وهذا الذي جلب لأهل حلب الانزعاج، استرسل ثعبانه وانساب، وسمى طاعون الأنساب، وهو ســـادس طاعون وقع في الإسلام، وعندي أنه الموت الذي أنذر به نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام.

حلـــــــبٌ واللهُ يكفـــــــي شـــــــرَّها أرضُ مـــــــشقهْ
أصـــــبحتْ حـــــيَّةَ ســـــوءٍ تقـــــتلُ الـــــناسَ ببـــــزقَهْ

فلـــو رأيت الأعيان بحلـــب وهم يطالعون من كتب الطب الغوامض، ويكثرون في علاجه من أكل النواشف والحوامض، قد تنغـــص عيشهم الهني، بملاطخة مسلم الطينة الطـــين الأرمـــني، وقد لاطف كل منهم مزاجه وعـــدل، وبخروا بيوتهم بالعنبر والكافور والـــسعد والصندل، وتختموا بالياقوت، وجعلوا البصـــل والخل والصحنا من جملة الأدم والقـــوت، وأقلوا من الأمراق والفاكهة، وقربوا إليـــهم الأترج وما شابهه، ولو شاهدت كثـــرة الـــنعوش وحملة الموتى، وسمعت بكل قطر من حلـــب نحيبًا وصوتًا، لوليت منهم فـــرارًا، ولأبـــيت فيهم قرارًا، فلقد كثرت فيها أرزاق الجنائزية فلا رزقوا، وعاشوا بهذا الموســـم وعرفوا من الحمل فلا عاشوا ولا عرقوا، فهم يلهون ويلعبون، ويتقاعدون على الزبون.

اســـــــــودَّتِ الـــــــــشهباءُ في عـــينيَّ مِـــنْ رمــــمٍ وغـــــشِ
كـــادت[1] بـــنو نعـــشٍ بهـــا أنْ يلحقـــوا ببـــنـاتِ نعــــشِ

فنـــستغفر الله مـــن هـــوى النفوس فهذا بعض عقابه، ونعوذ برضاه من سخطه وبمعافاته من عذابه.

قالـــوا فـــسادُ الهـــواءِ يُـــردي فقلـــتُ يـــردي هـــوى الفـــسادِ
كـــم ســـيئاتٍ وكـــم خطايـــا نـــادى علـــيكم بهـــا المـــنادي

ومما أغضب الإسلام، وأوجب الآلام، أن أهل سيس الملاعين، مسرورون لبلائنا بالطـــواعين، حتى كأنهم منه في أمان، أو عليه أن لا يقربهم ضمان، أو كأنهم إذا ظفروا، ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا.

ســكانٌ ســيسَ يــسرُّهمْ مــا ساءَنا وكـــذا العـــوائدُ مِـــنْ عـــدوٍّ الـــدينِ
اللهُ يـــــنقلُهُ إلـــــيهمْ عـــــاجلاً ليمـــزِّقَ الطاغـــونَ[2] بالطاعـــونِ

هـــذا وهو للمسلمين شهادة وأجر، وعلى الكافرين رجز وزجر، إذا صبر المسلم على مصيبته فالصبر عبادة، وقد ثبت عن نبينا صلى الله عليه وسلم أن المطعون شهيد فهذا الثبوت حكم بالشهادة، وهذه الخفية، تعجب الحنفية، فإن قال قائل هو يعدي ويبيد، قل بـــل الله يبدئ ويعيد، فإن جادل الكاذب في دعوى العدوى وتأول، قلت قد قال الصادق علـــيه السلام فمن أعدى الأول، ولو سلمنا فتكه بأهل الدار، فهو بإرادة الفاعل المختار، كان وكان.

أعـــوذ بالله ربي، من شر طاعون النسب، باروده المستعلي، قد طار في الأقطار، فـــتاش دهاشاته، ساعي لصارخ مارثا، ولا فدى بذخيرة، دولابه الطيار، يدخل إلى الدار ويخلـــف، ما يخرج إلا بأهلها، معي كتاب القاضي، بكل من في الدار، ومن فوائده تقصير الآمال، وتحسين الأعمال، واليقظة من العقلة، والتزود للرحلة.

---

(١) في نسخة: كادوا.

(٢) هكذا في الديوان بالرفع.

فهـــذا يوصِّــي بـــأولاده	وهـــذا يـــودِّعُ جيرانَـــهُ
وهـــذا يهيِّـــئُ أشـــغالَهُ	وهـــذا يُجهِّـــزُ أكفانَـــهُ
وهـــذا يـــصالحُ أعـــداءَهُ	وهـــذا يلاطـــف إخـــوانَهُ
وهـــذا يوسِّـــعُ إنفاقَـــهُ	وهـــذا يخالِـــلُ مَـــنْ خانَـــهُ
وهـــذا يحـــبِّسُ أملاكَـــهُ	وهـــذا يحـــرِّرُ غِلْمانَـــهُ
وهـــذا يُغيِّـــرُ أخلاقَـــهُ	وهـــذا يعيِّـــر ميـــزانَهُ
ألا إنَّ هـــذا الـــوبا قَـــدْ سَـــبا	وَقَـــدْ كـــانَ يرســـلُ طـــوفانَهُ
فـــلا عاصـــمَ الـــيومَ مـــن أمـــره	ســـوى رحمـــةِ اللهِ ســـبحانَهُ

ومـــا منعـــنا الفرار منه إلا التمسك بالحديث، فهلم بنا نستغيث إلى الله تعالى في رفعه فهو خير مغيث، اللهـــم إنا ندعوك بأفضل ما دعاك به الداعون، أن ترفع عنا الوباء والطاعـــون، لا نلتجئ في رفعهما إلا إليـــك، ولا نعول في العافية منهما إلا عليك، نعوذ بـــك يـــا رب الفلق من الضرب بهذه العصا، ونسألك رحمتك فهي أوسع من ذنوبنا ولو كانـــت عـــدد الرمل والحصى، ونتشفع إليك، بأكرم الشفعاء لدي، محمد نبي الرحمة، أن تكـــشف عنا هذه الغمة، وأن تجيرنا من الوبال والتنكيل، وأن تعصمنا فأنت حسبنا ونعم الوكيل.

وله جواب

وينهـــى بعـــد دعائه المبني على الفتح، وثنائه المنصوب على المدح، وشوقه الذي ارتفع فاعله، وتوقه الذي لا يكف ولا يلغي عامله[1].

شـــوقٌ وتَـــوْقٌ إلى مـــنْ فـــيضُ نائلهِ	في مـــترلي وفـــؤادي في مـــنازِلِه

وورود المشرف بفتح الراء وكسرها، لا بل الصدقة التي جعلت القلوب بأسرها في أســـرها، فقابله المملوك بالتقبيل والإعظام، وغاظ السبابة وسر المسبحة بطريقة الوسطى المترهة عن الإبحام، وشبهه بالجوهر الفرد، وقويت به شوكة الورد.

---

(١) المصنف كثيرًا ما ورّى بمصطلحات النحو ومسائله لغلبتها عليه وسعة علمه به.

وأذكـــــرني لـــــيالِيَ ماضـــــيَاتْ   بكـــم تـــزري علـــى ضـــوء الصباحِ
وملحـــــةُ فـــضلِكُمْ بعـــد اختـــــتامِ   تقـــولُ أقـــولُ مـــنْ بعـــدِ افتـــتاحِ

وكـــان المملوك يخشى لتقصيره من معاتبة، فأعفاه منها وجبر ما قابله وأذن له في المكاتبة.

كاتبْـــــتَني وأذنــــــتَ لي بكـــــتابةٍ   مـــني إلـــيكَ لقـــدْ فُتـــنت فُـــتونا
يـــا مالكـــي بجمـــيلِهِ مـــنْ ذا رأى   عَـــبْداً ســـوايَ مكاتـــباً مأذونـــا

علـــى أن المملوك شهد الله ما يترك مكاتباته نسيانًا لبره، وإنما ذلك إزاحة لتكلفه وإراحـــة لـــسره، ثم لله هـــذه الـــبلاغة التي تشهد بعبث الوليد، وتنسى بل تنشى مديح عبدالحمـــيد، وتؤثـــر ابـــن الأثير، وتقول للنصير الحمامي لا تتكثر فما أنت نعم النصير، وتتصالف عن مجالسة الجزار، ويقول حسنها عن الوراق، إن لسان السراج نار.

بـــسجعات قـــصارٍ فهْـــيَ تحكـــي   لـــــيالي وصـــــلِنا بالـــــرقمتينِ
فـــإن يَـــرَها ابـــنُ مُقْلَـــة قـــال عنها   فـــــداؤُكِ مقلـــــتايَ أبي وعـــــيني

وبلغ المملوك خبر مبتدأ الدرس الذي نبع وفاق، وبلغ ذكره إلى الآفاق، بفصاحة لها عند قس أيادي، فلله شافعية مطاع وبويطية مشرع وربيعه مرادي، وتفسير يتبسم ابن عـــباس لحسن أنواعه، ويلقى مقاتل السلاح لإيداع إبداعه، ويقول جار الله جار ملقيه لحسن شكله وضبطه، وينادي ابن المنير هذا نسيج وحده ويضرب بالدف على مشطه.

لـــــو أنَّ الـــــشافعيَّ رآك نـــــادى   نـــصرتَ طـــريقتي ونـــشرْتَ علمـــي
نهـــضتَ بحجـــةِ الإمـــلاءِ عـــني   فـــداكَ أبي كمـــا أحيـــيت أمـــي

وسمـــع بمـــا أنعم به من خلع المدح التي رقم لها من بهجة العلم الطراز، ونما نبأها فعـــذيب بارقهـــا ينبع حتى لعلع حجاز، ولو حضرهم المملوك خلع عليهم العذار وثوب الـــشباب، وخرج من قشوره وما قدرها عند هذا اللباب، ثم بلغه توليته مشيخة الشيوخ الـــتي خطب إليها مسئولاً، وتلا له لسان حالها وللآخرة خير لك من الأولى، فيهنئكم ما

أوتيــتموه من التدريس رسوًّا ورسوخًا، ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخًا، لا جرم أن قلــوب الــصوفية تــوسمت منه الشفقات فجذبته إليها، وعلمت منه الصدقات فهم من العــاملين عليها، وناهيك بمترلة كان جنيدها لا خبر[1] له والملوك طفيلية على هذا الجنيد، وابــن أدهمها مقيد بزهد أبيه فلم ينصرف عنه وأنى ينصرف وأدهم القيد، فالخوانك على خــوانك[2] بعــد الاغتباط في اغتباط، ويا بشرى رباط تحله فكأنه المشار إليه في حديث فذلكم الرباط فذلكم الرباط.

تــصوفتَ لمــا أن تــصونْتَ ســيرةً فــذو الفــاءِ بــل ذو النونِ أنت تقدما

ولــو حــضرَ الملــوكُ ســجّادةٌ لكمْ قــدِ افْتُرِشَــتْ صــلى علــيها وسلّما

ومن بركة هذه الطريقة التي هي ثامنة سبع طرائق، أن من سلكها رجي له الزهد في الدنيا وقطع العلائق، فكم منكر صار فيها بالإيثار معروفًا، وكم مالك حظي بجوهرها فأصــبح عــن دينار مصروفًا، وكم متوكل فيها على الله رزقه كما رزق الطير، وعوضه بلطفــه الحفــي الخفي عن أخي الشر بابن أبي الخير، زاده الله من فيض غمره البار وبره الغامر، ومنّ على المملوك بلقائه قبل أن يعدل عمر عن عامر، وصان هذا القلم السعيد عن مــباريه، ودامت الواقية الباقية من باري عينه على عين باريه، وقد جهز المملوك ورقات تتــضمن النبا، عن الوبا، وما هي من جيد قوله، وكيف يجيد من الطاعون يتخطف الناس من حوله، حمى الله مولانا ومحبيه من الوباء وإلمام الآلام، وصرع هذا الطائر الجارح الذي قد حضن بيضة الإسلام، بمنه وكرمه.

وله جواب

وينهي وصول الصقرين، فسر العبد بهذين الحرين، اللذين تحن الجوارح إليهما من وجهــين، ويعــز علــى ابن المعتز أن يذكر لهما في تشبيهاته شبيهين، فوقع الصقران من المملــوك بموقــع يفوق النسر، وتأمل نحوهما فإذا هما منصوبان لبناء ما ارتفع وانخفض من الــصيد على الكسر، مقلهما حمر كسيوفه ، وأجنحتهما مسبلة كغمائم بره على رعاياه

---

(١) في نسخة: خبز، وهو خطأ.

(٢) في نسخة: خوانك.

وضـــيوفه، ومخالـــبهما كالمناجل لحصاد أعمار أعدائه وأعمار الطير، ومناقيرهما كالأهلة المبـــشرة لـــه ولأولـــيائه بكل خير، فلسان حال كل منهما يقول لمرسليه تفرقوا فبكسبي أجمعكـــم أجمعكم، ويخطف لهم الخطفة ويعود بسرعة فبينما يتطيرون بغيبته تلوا طائركم معكم، فما أحسن ما يرجع كل واحد منهما من أفقه، وقد التزم طائره في عنقه، كم ذللا من الطير من حرون، وكم أهلكا في الوحش من قرون، فما أحق هذا الجبر بمقابلة[1] الثناء علـــيه، وإن يمـــد المملـــوك لهاتين اليدين يديه، ومن كرامات مولانا أنه أصبح جابرًا[1] بكاســـرين[1]، فمرحبًا برسوله الذي إن قدم رسول بأيمن طائر فقد قدم هو بأيمن طائرين، والسلام.

وقال في القاضي الرباحي المالكي

أمـــا بعد حمد الله الذي لا يحمد على المكاره سواه، والصلاة على نبيه محمد الذي خـــاف مقـــام ربه وعصـــم من اتباع هواه، وعلى آله وصحبه الذين بذل كل منهم في صـــون الأمـــة قواه، وسلمت صدورهم من فســـاد النيات وإنما لكل امرئ ما نواه، فإن نصيحة أولي الأمر تلزم، والتنبيه على مصالح العباد قبل حلـــول الفساد أحزم، والمتكلم لله تعالى مأجور، والظالم ممقوت مهجور، وتحسين الكلام لدفع الضـــرر عن الإسلام عبادة، والنثـــر والنظم للذب عن أهل الإسلام من باب الحسنى وزيادة، وجرحة الحاكم الأعراض بالإعـــراض صـــعبة، إذ نص الحديث النبوي أن حرمة المســـلم أعظم من حرمة الكعبة، ومخـــرق خـــرقته مذمـــوم، ولحم العلماء مسموم، وهذه رســـالة أخلصـــت فيها النية، وقصدت بها النصيحة للرعاة والرعية، أودعتها من جوهر فكـــري كل ثمين، وناديت بها علـــى هزيل ظلم أبناء جنسي مناداة اللحم السمين، لكن جنـــبتها فحش القول إذ لست مـــن أهلـــه، وخلدتها في ديوان الدهر شاهدة على المسيء بفعله، ورجـــت بها الثواب، وتحـــريت فيها الصدق والصواب، نصـــرة للمظلوم، وغيرة على حملة العلوم، وسميتـــها

---

(١) المقابلة والجبر والكسر من مصطلحات علم الجبر والرياضيات وكثيرًا ما عقد المصنف التورية بها دلالة على علمه بتلك العلوم.

الخرقة للخرقة فقلت: اعلموا يا ولاة الأمر، ويا ذوي الكرم الغمر، أبقاكم الله بمصر للأمة، ووفقكـــم لدفع الأصر وبراءة الذمة، إن حلب قد نزعت للزبدة، ووقعت من ولاية التاجر الرباحي في خسر وشدة، قاض سلب الهجوع، وسكب الدموع، وأخاف السرب، وكدر الـشرب، بجـراءته الـتي طمت وطمت، وعاميته التي غمت وعمت، وفتنته التي بلغت الغـراقد، وأسـهرت ألـف راقد، ووقاحته التي أدهشت الألباب، وأخافت النطف في الأصـلاب، فكـم لطخ من زاهد، وكم أسقط من شاهد، وكم رعب بريًا، وكم قرب جـريًا، وكـم سعى في تكفير سليم، وكم عاقب بعذاب أليم، وكم قلب ذائب، بنائبة توسـط بها عند النائب، حرض النائب على من قيل أنه حضر الخمر، وحمله على أن قرعه بالمقارع حتى قضي الأمر، فامتنعت الأمراء عن الشفاعة، وظنوا هم والنائب أن هذا امتثال لأمر الشرع وطاعة.

يـا حامـلَ الـنائبِ في حكمِـه ... أنْ يقـتلَ الـنفسَ الـتي حُـرِّمَتْ
غشـشتَهُ واللهِ في ديـنه ... بُـشْراكَ بالـنارِ الـتي أُضْـرِمَتْ

أسقط في يوم مشهود، تسعة من أعيان الشهود، فوالله لو كان في غنم رباح، ما سمـح بهـذه العدة الذباح، وهذا مقت وأيّ مقت، ما سمعنا بمثله في وقت، أتسلم أرباب البـيوت، إلى هذا الرجل البهوت، فلولا نفر من كل فرقة، من ذم هذا الجري على تخريق الخرقة.

سـحقًا لقـاضٍ مالكـي سـطا ... بتـسعةٍ أكـبر مَـنْ فيـنا
وإنْ أعـرناهُ لهـا سـكتةً ... ألحـقَ بالتـسعةِ تـسعينا

سـبب إسقاطه لهؤلاء النفر، أنه افتخر عندهم أول قدومه من السفر، بأن قرابغا أعطـاه، ثلاثـة عشر ألفًا ووكله أن يشـتري له بها ما يرضاه، فلـما مات قرابغا عاش الوكـيل، فـندم على إقراره فبـدرهم بالإسقاط والتنكيل، فهيهات هيهـات، فها المحو عين الإثبات، لقد أكد الحال، وأشرب القلوب أنه أكل المال، أسقط التسعة قهرًا، ونادى عليه جهرًا، وشاور على تطويفهم في الأسواق والجامع، لولا أن منعه من ذلك مانع، هذا مـن غـير إحـضار لهم ولا إعذار، ولا تقديم دعوى ولا إنذار، ولا ظلم متظلم ، ولا

كلمـــة مـــتكلم، إلا ســـطوة وعتوا، واستكبارًا في الأرض وعلوًا، وخوفًا على الدرهم والدينار، بل مكر الليل والنهار[1]، ولما ظهر بهذه الداهية، التي تنثلم منها فاس وتبعد دانية، وتنفـــر من قبحها تونس، ويحتجب منها حياء ابن الحاجب ويستوحش منها ابن يونس، عقد مجلس بدار العدل لكشف الظلامة، وطي هذا الجور المنشور بغير علامة، فقلنا له سمّ لـــنا مـــن شهد على الشهود فأبى أن يسمي، وقال قضى الله عليه قضيت عليهم بمذهبي وحكمـــت عليه بعلمي، فقلنا له يا نائمًا عن السرى، الجرح لا يقبل إلا مفسرًا، وإن كان لـــك أن تجرحهم، فما لك أن تذبحهم، يا قليل الفهم، من يساعدك على هذا الوهم، هذا محـــرم لا يبـــيحه مبـــيح، ومحاسن دين الإسلام تأبى هذا القبيح، قال: إن لم تركنوا إليّ، فاســـتفتوا المالكـــية عليّ، فأخرنا اللوم، وطالعنا كتب القوم، فوجدنا في مشاهير كتبهم محققًـــا، أن القاضي لا يقضي بعلمه مطلقًا، وأنه إذا شهد عنده من علم عليه جرحه، رفع الأمـــر إلى مـــن هو فوقه وأبدى له شرحه، فكابر وأول[2]، واعتمد على الفجور وعول، وزاد في المدافعة، وخوف بالشر والمرافعة، وأطلق لسانه في الأعيان ولم يقيد، وقلب رأسًا لم يكـــن رأس سيد، ولما بلغ المالكية بدمشق هذه الواقعة المستعظمة، أصغروا قدره عليها وقالـــوا: كـــبرت كلمـــة، واستحلوا سبه وشتمه، واستقلوا عقله وعلمه، وكتبوا إليه يا مغلـــوب، لقد بغضت مذهب مالك إلى القلوب، وقطعت المذاهب الأربعة عالما بالخطا، وزالـــت بهجته عند الناس وانكشف الغطا، ثم من المفتين من لامه وعنف، ومنهم من علق علـــيه وصنف، ثم سئلت بدمشق اليهود والنصارى هل يجوز في دينهم هذا التحجيل، أو يجدونـــه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل، فأقسموا بالله جهد أيمانهم، وأن ذلك لم يكن في ديـــن مـــن أديـــانهم، وناهـــيك بخلل، استقبحه كل الملل، فقبح الله من أصبح بسهام الأغراض إلى مصون الأعراض من الرامين آمين.

---

(١) تـــضمين للآيـــة الكريمة ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا﴾ [سبأ: ٣٣].

(٢) في نسخة: تأول.

أبرأُ إلى الرحمنِ من بهتانهِ   وفجورِهِ وعتوِّهِ المتزايدِ
مَنْ ذا يجيزُ قضاءَ قاضٍ جاهلٍ   بالعلمِ في هذا الزمانِ الفاسدِ

ولله قول أبينا الشافعي في أمه، لولا قضاة السوء لأجزت للقاضي أن يقضي بعلمه.

قلنا له دع أموراً   مستهجنات لمثلكْ
فقال أقضي بعلمي   قلنا ستقضي بجهلكْ

ثم أنه فسق مفتيًا في الدين، وفضح خطيبًا على رؤوس المسلمين، ومن بغضه لهذا الخطيب، أمر من لطخ منبره بضد الطيب، الله أكبر، آذى حتى الخطيب والمنبر، لقد بالغ في الختل، والفتنة أشد من القتل.

مَن انتهى طيشُهُ في المخزيات إلى   هذا المقامِ عليهِ لعنةُ الباري
ولستُ عن مالكٍ أرضى بنائبةٍ   عن خازنِ العلمِ أو عن خازن النارِ

هذا جزاء المنسلك، في آراء عبدالملك، ومن اليوم دليله، فالخراب مقيله.

امتلأتْ من ذهب أكياسُهُ   وقلبُهُ ممتلئٌ مِنْ دَغَلْ
ما هو إلاّ حيةٌ بزقُها   بالسمِّ هذا المغربيُّ الزَغَل[1]

لقد أوقع الناس من الفتنة في بحر عجاج، فدعوا عليه وعلى عبدالملك ولولا عبدالملك لما استطال هذا الحجاج، قاض يقول القول ثم ينكره، ويذم الشخص في المجلس ويشكره، يحب إثبات الردة والكفر، كحبه الدنانير الصفر.

حاكمٌ يصدرُ منهُ   خلفَ كلِّ الناسِ حَفْرُ
يتمنى كُفْرَ شخصٍ   والرضى بالكفرِ كفرُ

ما أولى أحكامه بالانتقاض، وما أحقه بقول السحرة لفرعون فاقض ما أنت قاض، ولولا العافية، لتوهمت أن ما هاهنا نافية.

ولَوْ ولّوا قليلَ الفقهِ فيهِ   مداراةٌ وديـنٌ ما جزعْنا
وكان يهونُ ما نلقى ولكنْ   تعالَوا فانظروا معَ مَنْ وقعنا

---

(١) في نسخة: الزعل.

ثم إنه على عامية نفسه وجهلها، يتنقص بالعلوم وأهلها.

يا أهلَ مصرَ وفينا راقبوا اللّهَ ... اللّهَ لا تبقوهُ في حلب

بها ومَنْ جَهِلَ الأشياءَ عاداها ... دأباً يذمُّ فنونَ العلم محتقراً

لقد عذب العذبة، وصدق الكذبة، يستخف الأثقال، ويحكم يعلم ليقال.

فرامَ التقدُّمَ بالجبروتِ ... رأى نفسَهُ أُخِّرَتْ في العلومِ

قليلُ الثباتِ كثيرُ الثبوت ... عديمُ الهباتِ عظيمُ الهناتِ

ستر الله المدينة من هؤلاء الأدوان، ونزه عنه مذهب مالك برحمة منه ورضوان.

مباهتٌ خالطٌ مغالطْ ... قاضٍ عن الناسِ غيرُ راضٍ

ويسقطُ العدلَ وهو ساقطْ ... يكذبُ عن مالكٍ كثيراً

عامل أوساط الناس معاملة الأطراف، وأشرف أذاه على الوزراء والأشراف، أتلف الأموال والمكاتيب، بما اعتمده في حق الشهود من الأكاذيب، فكم صاحب مكتوب يبكي على حاله، كأنما أوتي كتابه بشماله.

وأبانَ عن طيشٍ وكثرةِ مَخْرَقهْ ... تَلِفَتْ مكاتيبُ الأنامِ بفعلِه

بالكفرِ أو بالفسقِ أو بالزندقهْ ... فرمى الأكابرَ والأصاغرَ كاذباً

هلا قرأ هذا القاضي الجديد، ولا يضار كاتب ولا شهيد.

فأيّ الناس ما رحمَ الشهودا ... لقد آذى الشهودَ بغير حَقٍّ

وقدْ سرَّ النصارى واليهودا ... أيرضى المسلمونَ لهمْ بهذا

ولقد بلغنا وهو من العبر، أن جيراننا أهل سيس سرهم هذا الخبر.

فعالُ قاضٍ أرعنا ... صاحبُ سيسٍ سرَّهُ

أفرحَ فينا الأرمنا ... فأحزنَ اللهُ الذي

كم حكم على رب الدين وصار الطالب مطلوب، وهذا الفقه مقلوب، على أن في مذهب الإمام الشافعي الزاهي، أن مسألة الغيبة ليست من النواهي، وهي قوام العامة والجيش، ولكن لا ذوق لمن غاب عليه الطيش.

فمـــا رأى وثـــيقةً إلاّ وقـــال باطلـــهْ
وذا دلـــيلٌ أنّـــهُ لـــيسَ[1] لـــهُ معاملَـــهْ

ففي عزله عنا أجر غير ممنون، وأيّ حاجة بالعقلاء إلى مجنون.

لا واخـــذَ الـــرحمنُ مـــصراً ولا أزالَ عـــنها حـــسنَ ديـــباجهْ
ولّـــوا علـيـــنا قاضـــياً ثالـــثاً مـــا كـــانَ للـــناسِ بـــه حاجَـــهْ

هـــذا مالكي متغصب، قد أسكره الدهر بمنصب، فلا يفرق بين الأرض والسما، ولا يعـــرف عمـــوم الخاصـــة من خصوص العما، حركاته وسكناته مكتوبة عليكم، ولا ندري أنشكوكم إلى الدهر أم نشكو الدهر إليكم، من قاض سمين الأموال، مهزول النوال.

كـــثيرُ الجـــنونِ مـــسيءُ الظـــنونِ عـــدوٌّ الفـــنونِ لظـــى محـــرِقُ
فيـــصبغُ أصـــبغَ مِـــنْ بَهْـــتِه وأشـــهبُ في عيـــنه أبلـــقُ

لا يحمد أحمد ولا الشافعي، ولا يرفع منار الرافعي، قراد لا يلفظ إلا دم الأوراك، وجـــراد لا يسقط إلا على أموال الأتراك، إذا وقع عنده عالم فقد وقع بين مخالب الأسود، وأنياب الأفاعي السود.

أدركـــوا العلـــمَ وصُـــونوا أهلَـــهُ مِـــنْ جهـــولٍ حـــادَ عـــنْ تبجـــيلِه
إنّمـــا يعـــرفُ قـــدرَ العلـــمِ مَـــنْ ســـهرَتْ عيـــناهُ في تحـــصيلِه

فقابلوا هذا الفاعل بفعله، واستعيذوا بالله يا أهل مصر من ولاية مثله، وارموه من كنانة مصر بسهم قل ما أخطأ، وعاجلوا إيضاحه بالإبهام ترضي الفرقتان المسبحة والسبابة بسيرتكم الوسطى.

المالكـــيُّ طـــائشٌ ذو قـــوهْ لـــهُ علـــى أهـــلِ العلـــومِ ســـورَهْ
دارَ علـــى بـــابِ الجـــراحِ الـــدوره ومـــا قـــرأ في بـــاب ســـترِ العـــورَهْ

مغـــربي الأخلاق، مذموم على الإطلاق، عار على الدين، عدة للمعتدين، يسيء الصنائع، ذخيرة سوء في الودائع.

---

(١) في نسخة: ليست.

وقاضيًا ماضيًا في الشر مجتنيًا[1] للخير من سيئاتِ الدهرِ محسوبا
يرى إباحةَ أعراضٍ محرَّمةٍ متى نرى شكلَهُ المكروهَ مندوبا

غاية علمه إطالة السكوت، وقول الحاضرين له دائم الثبوت، سكناته غير متناهية، وإذا تكلم ففي داهية، الويل له إن لم يتب، يجهل حتى أسماء الكتب، كان وكان، أذاه شامل وشره كامل، ومنهاجه عسر، لو كان حاوي الخصائص، ما قال بالتنديب، ما هو العزيز النهاية، وله بداية مدونة، من يحتقر بالمهذب، من أين له تهذيب، مقدام ظلوم، جاهل بجميع العلوم، لا يعرف في الفقه الطلاق من التطليق، ولا في النحو الإلغاء من التعليق، ولا في التفسير أسباب النزول، ولا في القرآن حجج وإن كان مكرهم لتزول، ولا في اللغة القدح من الكأس، ولا في الأصلين –كذا- الجوهر الفرد والجليّ من القياس، ولا في المنطق الشكل المنتج من العقيم، ولا في الحديث الصحيح من السقيم، ولا في العروض تفاعيل الدوائر، ولا في القوافي المتدارك من المتواتر، ولا في التصريف المثال من الأجوف، ولا من الطب أيّ الأمراض أخوف، وهو مع الجهل، وكونه غير أهل، يؤذي نجوم العلوم الطالعة والغاربة، ويعامل الناس بأخلاق المغاربة، ويتطاول على كل طائل، بمنصب هو الظل الزائل، حتى كأنه قدم على جنس الإنس، أو قدم برأس البرنس.

ومالكيٌّ جاهلٍ باخلٍ لا باركَ الرحمنُ في عمرِهِ
جفنتُهُ أضيقُ مِنْ جفنِهِ وقدْرُه أصغر من قدْرِهِ

جهل كثيف، وعقل سخيف، قد أغضب الجم الغفير، واجترأ على الإسقاط والتكفير.

يا أهلَ مصرَ وقاكمُ اللهُ الأذى وليتمُ طرفاً على الأوساط
صعبٌ على الحرِ الخضوعُ لناقصٍ وتحكُّمُ الأسقاط في الأسقاطِ[2]

---

(١) في نسخة: مجتنبًا.

(٢) في نسخة: الأسفاط.

فهلا قضى الله حب المالكية وليتم على المسلمين ذا نفس زكية
والله لو أن حَماماتكم وقعتْ على الرجالِ لما ولّيتمُ هذا
ضاري الطباعِ سرورُ الناسِ يُحزِنُهُ ولا انشراحٌ لهُ إلاّ إذا آذى

يضرب إذا حكم ويلكم، ويفتخر بأب له وأم، ويرعد يضطرب، ويبعد ويقترب، حتى كأنه قتل عنتر، أو فتح قلعة تستر، يتأوه على الشرع من بعده، ويزيد على الشريعة المطهرة زيادات من عنده، الويل له من هذه الأعمال، كيف يحتاج دين الله إلى إكمال، لقد وقع في عار، لا تغسله الأنهار، كان وكان.

قل للذي ما تأدب، مع العلوم وأهلها، يصبر لحط البرايا، عليه والنقرات، عاصي يزيد الشريعة، ندعوه ثورًا نصبغه، بالنيل والنهر الأسود، ولو حكى ابن فرات، لما رأى خلو مجلسه، وقلة مؤنسه، وانقطاع الأعيان عن داره، وإهمال الكافة له لصغر مقداره، قال له رأيه الفاسد، إلى متى وأنت مهجور كاسد، فازدجر وانتهر، وقبح حتى تشتهر، فأذى وناوى، وجرح وما داوى، فطفر الناس عليه بهذه الطفرة، وما زادهم عنه إلا نفرة، وكشفوا حلته، وعرفوا علته.

حالُ النحاةِ على العمومِ تميَّزَتْ عندي لأن القومَ أهلُ خصوصِ
من أجلِ قاضٍ قد رَمَوْهُ بعلةٍ[1] ودَعَوْهُ بالمستثقَلِ المنقوصِ

إذا جلس خلت غولة جالسه، وإذا تكلم متطيلسًا قلت جاء البرد والطيالسة، لا قراءة له ولا قرى، فليت العيون اكتحلت منه بأميال السرى، يحب من القرآن ألا في الفتنة سقطوا، ومن الحديث أباهي بكم الأمم حتى السقط، ومن الفقه مسألة سقوط يد السارق بآفة، ومن النحو سقوط التنوين بأل الإضافة، ومن الشعر:

وما للمرء خير في حياة إذا ما عدّ من سقط المتاع
يحبُّ من كلِّ علمٍ السينَ والقافَ والطا
حاشا الرسالةَ منهُ ما خلْقُهُ بالموطّا

---

(١) في نسخة: لعلة.

يتـــنفس على الناس الصعداء، ويؤذي الأشقياء والسعداء، لقي بعض الناس منه ما لقي، وهو عازم على ما بقي.

لقـــد أصـبح الـــباقونَ مـــنه على شفا ... مـــتى استُنْـــشِدوا الـــشعرَ القديمَ يقولوا

يهـــونُ عليـــنا أن تـــصابَ جـــسومُنا ... وتَـــسْلَمُ أعـــراضٌ لـــنا وعقـــولُ

فالله يسلم منه أعراضنا العريضة، ويعجل قسمة تركته فقد عالت الفريضة.

ابـــنُ الرباحـــيِّ علـــى جهلـــهِ ... وجـــورِهِ في حلـــبٍ يحكـــمُ

إن لم يكـــنْ في حلـــبٍ مـــسلمٌ ... فمـــصرُ مـــا كـــان بهـــا مـــسلمُ

المنصب الجديد، لا يسده إلا الرجل السديد، لقد آذى مذهب مالك، من توسط لهذا العرة بذلك.

مَـــنْ كـــانَ في علمـــه دخـــيلا ... فللـــــــولاياتِ لا يلـــــــيقُ

لا ســـيَّما منـــصبٌ جديـــدٌ ... فكفـــؤُهُ عـــالمٌ عتـــيقُ

ومـــاذا أقـــول فيمن حمله جهله، على أن قال في ابن العديم وابن السفاح ما هو أهلـــه، وهمـــا من هما، أحسن الله إليهما ورضي عنهما، ولولا حظ نفسه، وظلمه حسه، لاكتـــسب مـــن رئاستهما، واقتدى بعفتهما عن الأموال والأعراض وحسن سياستهما، ولكنه أعمى البصر والبصيرة، سيئ الظن خبيث السريرة، يؤذي الناس ويقول لا تؤذوني، وينادي مال قرابغا في يده بالله خذوني.

بـــاللهِ يـــا أولـــياءَ مـــصر ... خـــذوهُ مـــن عـــندِنا بـــسترِ

مـــتى رأيـــتُمْ وهـــلْ سمعـــتم ... بـــأن قاضـــي القـــضاةِ حَمْـــري[1]

يقـــضي عمره في الأسواق والأسفار، ومرافقه أنّي حبُّه من التجار، ما أقدره على الـــسفير، ومـــا أسهل عليه التفسيق والتكفير، فلا قوة لنا بجهريته ولا حول، لا يحب الله الجهر بالسوء من القول.

---

(١) في نسخة: جمري.

يـــا قومَـــنا إنَّ الفـــسادَ قـــدْ غلَـــبْ وخافـــتِ الأعـــيانُ ســـوءَ المـــنقلبْ
ومَـــنْ نـــشأَ[1] بـــين الحمير[2] والجلبْ كـــيفَ يكـــونُ قاضـــياً علـــى حلبْ

كم دعي إلى بابلة فما ارتاح إلى الباب، ونراه حران لعدم الرقة فإذا قيل له فلان قد كفر طاب، وهو في الغيبة جسر الحديد وبالبخل مغري، ولنفسه النفاخ ومغابته الحلقة وشـــره سرمدًا، فلا عاش هذا الأقرع العاري الكام المريب سفيرًا عن بالس فإن طوّل هذا القرصينة المقام في حلب فيا ضيعة الشرفا.

هـــــو في العلـــــم آخـــــرُ وهْـــــو في الظُّلـــــم ســـــابقُ
وهْـــــو للـــــضيفِ حـــــارمُ وهْـــــوَ للعـــــرضِ دابـــــقُ

أيـــولى على الناس، من كان يخضع للخفير والمكاس، وبعد تلك الخساسة، يرشح للرئاســـة، لا جرم أنه قد كثر تلبيسه، وطال تعبيسه، فكأنما يتفكر في غامض، أو يتلمظ بخل حامض.

بُعـــــداً لقـــــاضٍ تاجـــــرٍ إثباتُـــــــنا في سَـــــــلْبِهِ
شـــــجَّ الخفـــــيرَ بـــــارقٌ في عيـــــــنه وقلـــــــبِه

يحـــبس علـــى الردة بمجرد الدعوى، ويقوي شوكته على أهل التقوى، قد ذلل الفقهاء والأخيار، وجرأ عليهم السفهاء والأغيار.

يحـــــبسُ في الـــــردةِ مَـــــنْ شـــــاءَ بغـــــير شـــــاهدِ
لا كـــانَ مـــن قـــاضٍ حكـــى الـــ فُقَّـــاعَ خـــدَّ[3] بـــــاردِ

أراح الله مـــن تعرضـــه، وصان عراض الأعراض عن تعرضه، قد شق تحريه على الأكابر، وشوق تعديه إلى المقابر.

---

(١) في نسخة: أسقطت الهمزة.

(٢) في نسخة: الجمير.

(٣) في نسخة: حد.

في حلب قاضٍ على مالك | قد افترى ما فيه توفيقُ
ومَنْ تَلَكّأ معهُ قال قمْ | قدْ قيلَ لي إنكَ زنديقُ

بقصد بذلك أهل الدين، والقراء المجودين، نسي جلوسه في السوق، وأصبح يبث الفسوق، نقل من الذراع والمقص، إلى هذا المنصب الأخص، والله لقد هزلت، فسحقًا للدنانير وما فعلت.

قاضٍ من السّوقِ أتى | معتادُ بيعِ الأكسيهْ
ذا للوصايا ما يعي | كيفَ يعي في الأقضيهْ[1]

بعد الامتهان في الرحاب، يقال بسم الله رئيس الأصحاب، وما مرد جنه، وأفسد بهذه الكلمة ذهنه، إلا نقيب هو له طبق، فتعسًا لجارح بلبله الدبق، فوالله لولا كراهة السخافة، لأتيت هاهنا بأفانين من حديث خرافة، ثم أنه مع تلك الأباطيل، يدعي العفة عن البراطيل، نيته تناول الحطام، وتعفف عن أعراض الأنا.

طَرَفٌ قَدَّمَهُ | دَهرُه إذ سَكِرا
إن صحا الدهرُ لهُ | سترى ما سترا

أو ما علم هذا المشلول اليد المفتوق اللسان، إن العرض أنفس من المال عند الإنسان.

التاجر الخيّاطُ قاضٍ عندنا | ولديهِ يَثبتُ ردةٌ وفسوقُ
ومنَ العجائبِ أن يخيط قلوبَنا | بحمارِهِ ولسانُه مفتوقُ

كيف عادت حلب تسكن، وفيها هذا الألثغ الألكن.

يا ساكني مصرَ ما عَهِدْنا | منكم سوى رحمة وأُلْفَهْ
فكيفَ ولّيتُم علينا | مَنْ لا تصحُّ الصلاةُ خلفَهْ

رواؤه شين، ومنطقه شين، إذا سبح الرب، ما تدري أسبح أم سب.

الألثغُ الطاغي تولّى القضا | عدمْتُ هذا الألثغَ الطاغي
إن سبَّحَ الربَّ حكى سبَّهُ | فقالَ سبحانكَ يا باغ

---

(١) في نسخة: للأقضية.

لا يفـــــرق بـــين المذكـــر والمؤنث إلا بالفرج، ولا يعرف العربية إلا باللجام والسرج.

قلـــــيلُ الفقـــــــه لَحـــــــانٌ ... لـــــــهُ في حكمـــــــــه خَــــــبْطُ
قبـــــــيحُ الـــــــشكل محـــــــتدٌّ ... فـــــــلا شـــــــكلٌ ولا ضـــــــبطُ

لو عقل لاكتفى ببلغته، وصان المنصب عن عار لثغته.

وألْـــــــــــــثغٍ يتجـــــــــــرّا ... ويـــــصبغُ العـــــرضَ صـــــبغا
إنْ قـــــيلَ هـــــلْ أنـــــتَ بـــــرا ... يقـــــلْ نعـــــمْ أنـــــا بغّـــــا

من ألم بشكله تألم، لاسيما إذا تكلم، ولايته هتكه، وعزله كالحج إلى مكة.

أضـــحى يـــصولُ علـــى الفصاحِ بلثغة ... مـــــنهوكة مهـــــتوكة تُـــــستَعْظَمُ
عجـــباً لهـــمْ كـــيفَ ارتـــضَوْهُ لمثلـــنا ... حَكَمـــاً أمـــا سمعـــوهُ إذ يـــتكلّمْ

ســكر بخمر الولاية، إن في ذلك لآية، فصل الله اتصاله عنا، وجعل بارز ضميره مستكنًا.

ولّيْـــــتمُ جـــــاهلاً جـــــريئاً[2] ... ألـــــثغَ بالمـــــسلمينَ ضـــــارِ[1]
مقلقـــــلاً مـــــن بـــــني ربـــــاحٍ ... نحـــنُ بـــهِ مـــن بـــني خـــساري

قولـــوا لـــه عني يا شر الحزبين، كم من حي قاض في البين، وكم تقدم في الناس طـــرف، وكـــم جـــاء مثلـــك ثم انصرف، هذا وقد أعلمتك، أنني لو رضيت الولاية تقدمتك.

قولـــوا لـــه عنّـــي ولا تجـــزعوا ... مـــنْ شـــرِّهِ يـــا ســـاخرَ العـــينِ
لـــو كـــنتُ أرضـــى مـــا تقلدتَـــهُ ... جلـــسْتُ مـــن فـــوقكَ باثـــنين

كم جراح بلا اجتراح، لقد جئت بغريب في الصحاح.

---

(١) في نسخة: ضاري.

(٢) في نسخة: جريا.

جـــرحتَ الأبـــرياءَ فأنـــتَ قـــاضٍ		علـــى الأعـــراضِ بالأغـــراضِ ضارِ[1]
ألمْ تعلـــمْ بـــأنّ اللّـــهَ عَـــدْلٌ		ويعلـــمُ مـــا جـــرحتمْ بالـــنَّهارِ

ثم إن من أعظـــم ذنوبه، وأكبر عيوبه، أن هذا القـــرد الظالم، حوله من المغاربة غـــير ســـالم، وهـــم في السر يتوقعون قيام الحرب، ويطمـــعون أن مصر سيملكها أهل الغرب.

يـــا أهـــلَ مـــصرَ هكـــذا وليـــتمُ		حلـــباً لجلـــفٍ مالكـــيٍّ المـــذهب
مـــن دأبـــهِ ســـراً هـــنا أصـــحابه		ويقـــول قـــد ظهـــرتْ جيوشُ المغربِ

لا تكونوا فيه من المُمترين، فقد غلب على قلبه حب بني مزين.

لقـــــد بُليـــــنا بمالكــــــيٌّ		يقـــدحُ في التـــركِ كـــلَّ حـــينِ
يـــضلُّ في الـــسرِّ وهُـــو يدعـــو		لـــــصاحبِ المغـــــربِ المـــــريني

أخبرني بذلك من لا يذكر، وحلف أني إن سميته أنكر، فاعزلوا عن أعمالكم هذا القـــرد، وإن غـــضب فغـــضب الأسير على القد، فإنه يميل على الزيدية، ويتذكر الدولة العبيدية.

قـــــال الرباحـــــيُّ ســـــراً		مـــــصراً إلـــــيها إلـــــيها
كـــــنّا بمـــــصرَ وإنّـــــا		لعاملـــــــــونَ علـــــــــيها

لا عاش ولا بقي، ولقي من الخيبة ما يتقي، فهذه الدولة مطاعة، إلى قيام الساعة، علـــى رغـــم قاض إذا حكم جار، ولو على الجار، وإن غضب أو صال، فرق الأوصال، عامي طرف، لا شرف له ذكر ولا ذكر له شرف، يوقع العظيمة ويعظم الوقيعة، ويشارع الخلـــيفة ويخالـــف الشريعة، يدع الإيثار ويؤثر الدعة، ويختار المرابع المذهبة على المذاهب الأربعة، وإن تعصب لمالك، فخلط نفسه في ذلك.

لقـــــد وليـــــتمُ رجـــــلاً		بخفْـــــضِ الـــــناسِ يـــــرتفعُ
ففـــــرَّقَ بينـــــنا سَـــــفَهاً		وعـــــندَ اللهِ نجـــــتمعُ

---

(١) في نسخة: ضاري.

ومن أغرب ما يحكي الحاكي، أنه جمع العلماء في يوم باكي، فظنوا جمعهم لوليمة، فإذا هو جمع بسخيمة، فأخرج لهم سوطًا مجدولاً، يشبه سيفًا مسلولاً، وشاورهم على إعداده لعقوبة من وقع، فنهوه عن ذلك وأمروه بالرفق فامتنع، فعادوا من عنده إلى الأوطان، مستعيذين بالله من الشيطان.

سوطٌ يقلُّ السيفُ عندَ عيانه   وأراهُ بعضَ حوادثِ الأيامِ
يَنوي به للمسلمينَ عقوبةً   وكذا تكونُ موائدُ الحكّامِ

فما قولكم في طباع، تشبه ضراوة السباع، لا ترضيه الدماء، فلؤلؤ عنده سماء، لؤلؤ عارض الكتاب، وهذا عارض حملة الكتاب، لؤلؤ قام لبيت المال بما انتهب، وهذا قعد بالدراهم وذهب بالذهب، فالحذار الحذار من فعله، والبدار البدار إلى عزله، فكم رعب وآذى، والقاضي يعزل بدون هذا، ثم يعزل بمجرد الظنة، فأخرجوا من حلب هذا النار تدخلوا الجنة، ولقد غاظني عاميّ يتلو بسببه والعامة عمى، أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما، فإن شئتم يا نظام الدولة أن يقوم وزن هذه البلاد، فكونوا في عروض عزله أسبابًا تدعو لكم الأوتاد.

مديدُ الزحافِ سريعُ الخلافِ   بسيطُ الخرافِ خفيفُ طويلُ
على جهله بضروب العروضِ   لكلٍّ قبيحٍ فعولٌ فعولُ

فاقصد البحر ظلمة المديد خبثًا وتبرأ[1]، وأديروا عليه الدوائر بالفاصلة الكبرى، فقد عاد لباس حلب مخشوشنا، واتخذت نهرها سيفًا وجبلها جوشنا، فذبوا عن صهوة الشهباء، ولبوا فيها دعوة الألباء، قبل أن يطوى الجبل، ويعقر الجمل.

منْ قبلِ أنْ تمسوا ونصفٌ منهمُ   في الفاسقينَ ونصفهمْ كفّارُ
حاشاهمُ منْ ذا وذا لكنَّ مَنْ   عدمَ الديانةَ قالَ ما يختارُ

خذوه فاعتلوه، فإنا نخاف أن يقتلوه، واحسموا مادة مادة هذا المبير، ألا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير، دو بيت.

---

(١) في نسخة: أسقطت الهمزة.

كـــم أســـقطَ شاهداً وعدلا ضابط[1] فالعـــالمُ كلّهـــم علـــيه ســـاخطْ
مـــن كثـــرةِ مـــا يسقطُ خافتْ حلب أن يكـــتبَ ظـــاءَ حظِّهـــا بالـــساقط

فاعتماده اعتماد من عدم الحياء وسيعدم الحياة، وذم محتده ويده فلا لأصله كتاب الطهارة ولا لكفه باب المياه، فاقدحوا في عرضه وإن كان لا يقدح في رماد، وافصلوه عنا فقـــد ألبس والفضل في النحو عماد، وألغوا فعله المتعدي بفعلكم اللازم وسكنوا حركاته العارضة بدخول الجوازم، وأسقطوا هذه الفضلة من البين، وأنصبوه على التحذير لا على الإغـــراء فـــشتان بين النصبـــين، وعاملوا هذه اللحنة في النحو من المنع في التصريف، ونكـــروا معرفته بترع الولاية فالولاية آلة التعـــريف، وأخفضوا هذا العلم المنصوب على الـــذم، وأبنوا يده على الرفع وقلمه على الكسر وماله على الضم، وأدخلوا أفعاله الناقصة والمقاربـــة في باب كان وكاد، واحذفوه فما هو عمدة ولا أحد ركني الإسناد، واصرفوه عـــنا فما له على معرفته ووزن فعله دليل، وركبوه من حلب تركيب سيبويه فهي مدينة الخليل، تمت.

وله خطبة الكلام على مائة غلام

أمـــا بعـــد حمد الله حق حمده، والصلاة على نبيه محمد واسطة عقده، وعلى آله وصحبه وأهل وده، فإني التقطت من بنات فكري النبذة التي أكثر معانيها مبتكر، وغالب اقتباســـها وتضمينها لم تتقدمني به الفكر، ولعمري ما أنصفني من أساء بي الظن، أو قال عـــني كيف رضي مع درجة العلم والفتوى بهذا الفن، فالصحابة كانوا ينظمون وينثرون، ونعـــوذ بالله من قوم لا يشعرون، وما كل من تمالك هالك، ولله قولي في ذلك، وبالجملة فهذا وأشباهه من نظم الصبا، ومما قلته في أول العمر تأدبًا لا تكسبًا، ثم إن العلم الشريف قطع بيني وبين هذا الفن العلاقة، وسد عني هذا الباب بحسب الطاقة، وبالله القوة والحول، ومن هنا شرعت في القول.

---

(١) في نسخة: عدلا ضابطًا.

وقال يمدح النبي ﷺ مضمنًا إعجاز قصيدة أبي العلاء وبعض صدورها ولقد فاقت بشرف ممدوحها أصلها وكان عليه السلام أحق بها وأهلها

أدرْ أحاديثَ سلعٍ والحمى أدرِ — والْهَجْ بذكرِ اللِّوى أو بانِهِ العطرِ
واذكرْ هبوبَ نسيمِ المنحنى سحراً — لما تمرُّ على الأزهارِ والغُدْرِ
وقلْ عنِ الجزعِ واذكرني لساكنه — لعلَّ بالجزعِ أعواناً على السهرِ
وصفْ جنانَ[1] قبا واختمْ بطيبةَ ما — سامرْتني فَهْوَ عندي أطيبُ السمرِ
منازلٌ كُسيتْ[2] بالمصطفى شرفاً — بأفضلِ الخلقِ مِنْ بدوٍ ومِنْ حضرِ
إذا تبسَّمَ ليلاً قُلْ لمبسمه — يا ساهرَ البرقِ أيقظْ راقدَ السمُرِ
ويا سحائبُ أغني عنك نائلَهُ — فاسقي المواطرَ حياً من بني مضرِ
ما شأنُ أعدائه والعلمُ إذْ سفهٌ — حملُ الحُلي بمنْ أعيا عن النظرِ
رقى وجبريلُ في المعراجِ خادمُهُ — وقائلٌ بلسانِ الحالِ للمضري
ما سرتُ إلا وطيفٌ منك يصحبني — سُرى أمامي وتأويباً على أثري
لو حطَّ رحلي فوقَ النجمِ رافعُهُ — ألفيتُ ثمَّ خيالاً منكَ منتظري
تشرَّفَ الركنُ إذْ قبَّلْتَ أسودَهُ — وزيدَ فيه سوادُ القلبِ والبصرِ
عذبْتَ ورداً فلمْ تهجرْ على خصرٍ — والعذبُ يُهجر للإفراطِ في الخصرِ
يا بعثةً لم تزلْ فينا مجدَّدةً — هلا ونحن على عشرٍ من العشرِ
الإنسُ والجنُّ يا أبهى الورى أتيا — يستجديانكَ حسنَ الدلِّ والحورِ
لمْ تألُ نصحاً نفوساً كذَّبتْ وعتَتْ — لكنْ سمحْتَ بما ينكرن منْ دررِ
يا شاملاً خيرُه الدنيا وساكنَها — لا شيءَ عن حليةٍ حسناءَ منكَ عُري
وما تركتَ بذاتِ الضالِ عاطلةً — من الظباءِ ولا عارٍ من البقرِ
إنَّ الغزالةَ لَمَّا أن شفعتَ نجتْ — وفزتَ بالشكرِ في الآرامِ والعفُرِ

---

(١) في نسخة: قباب.

(٢) في نسخة: كسبت.

وربَّ ساحبِ وشيٍ مِنْ جآذرِها وكان يرفلُ في ثوبٍ مِنَ الوبرِ
حسَّنْتَ نظمَ كلامٍ قدْ مُدحْتَ به ومترلاً بكَ معموراً مِنَ الخفرِ
فالحسنُ[2] يظهرُ في شيئينِ رونقُهُ بيتٍ مِنَ الشعْرِ أو بيتٍ من الشَّعَرِ
ضمنْتُ مدحَ رسولِ اللهِ مبتهجاً والطيرُ تَعجبُ مني كيفَ لمْ أطرِ
ومقلتايَ لشوقي نحوَ حجرتِه مثلَ القناتينِ مِنْ أيْنٍ وَمِنْ ضُمُرِ
ولي ذنوبٌ متى أذكرْ سوالفَها كأنني فوقَ روقِ الظبيِ مِنْ حذرِ
ومطمعي أنها لا تشرْكَ[3] بشركِها فإنَّ ذلكَ ذنبٌ غيرُ مغتفرِ
إنَّ الكريمَ ليمحو كلَّ سيئةٍ معَ الصفاءِ ويخفيها معَ الكدرِ
ولي فؤادٌ متى تفخرْ سوى مُضرٍ فؤادُ وجناءَ مثلُ الطائرُ الحذرِ
واللهِ لو أنَّ أهلَ الأرضِ قاطبةً مثلُ الفُصيصيِّ[1] كانَ المجدُ في مضرِ
يا نفسُ لا تيئسي[6] فوزَ المعادِ فلي مَنْ تعلمينَ سيرضيني عنِ القدرِ
القاتلُ المحلَ إذْ تبدو السماءُ لنا كأنها مِنْ نجيعِ الجَدْبِ في أُزُرِ
وقاسمُ الجودِ في عالٍ ومنخفضٍ كقسمةِ[4] الغيثِ بينَ النجمِ[5] والشجرِ
وأينَ شعري من الهادي الذي نزلتْ في وصفِهِ معجزاتُ الآيِ والسورِ
وَمَنْ رأى[7] وَهْوَ ذو لبٍّ يصدِّقُهُ كالسيفِ دلَّ على التأثيرِ بالأُثُرِ
فلا يغرَّنْكَ بِشْرٌ مِنْ سواهُ بدا ولو أنارَ فكمْ نَوْرٍ بلا ثمرِ
يا سيداً زُجرَتْ نارُ الخليلِ به إذْ تعرفُ العربُ زجر الشاءِ والعكرِ

---

(١) في نسخة: الغصيصي.

(٢) في نسخة: والحسن.

(٣) في نسخة: شرك.

(٤) في نسخة: كشيمة.

(٥) في نسخة: النبت.

(٦) في نسخة: تسأمي.

(٧) في نسخة: من راءه.

جــاءَتْ إلــيكَ كــنوزُ الأرضِ يتــبعُها ألافُهـــا وألـــوفُ الـــلامِ والـــبِدَرِ

فمـــا ازدهـــتكَ ولا غـــرَّتْكَ زينـــتُها وعـــشتَ عـــيشَ حثـــيثَ السيرِ مقتصرِ

ولا ازدهـــتْ آلـــكَ الغـــرَّ الكـــرامَ ولا نالـــتْ مطالـــبُها مِـــنْ صـــحبِكَ الصُّبُرِ

جمـــالَ ذي الأرضِ كانوا في الحياةِ وهم بعـــدَ الممـــاتِ جمـــالُ الكـــتبِ والسِّيَرِ

وأنـــتَ في القـــبرِ حـــيٌّ مـــا عراكَ بلى والـــبدرُ[1] في الوهنِ مثلُ البدرِ في السحرِ

يـــا راضـــعاً في بـــني سـعدٍ وهم عربٌ لا يحـــضرونَ وفقْـــدُ العـــزِّ في الحَـــضَرِ

إذا هـــى القطْـــرُ شـــبَّتها عبـــيدهمُ عـــندَ التفاخـــرِ بـــينَ العـــربِ كالغررِ

يـــا مَـــنْ بـــنو زهـــرةٍ أخـــوالُهُ وهـــمْ عـــندَ التفاخـــرِ بـــينَ العربِ كالغررِ[2]

مـــنْ لي بتقبـــيلِ أرضٍ دســـتَها بـــدلاً للـــثم خـــدٌّ ولا تقبـــيل ذي أُشُـــرِ

لـــو لم أجلّـــكَ يـــا مـــولاي قلتُ فتى مقابـــلُ الخلـــق بـــينَ الـــشمسِ والقمرِ

كـــم أخـــبرَ المصطفى المختارُ مِنْ رجلٍ عـــنِ الـــسماءِ بمـــا يلقـــى مِنَ[3] الغيرِ

لا مـــا عـــلا مـــثلُهُ ظهـــرَ الـــبراقِ علا فيـــنهبُ الجـــري نَهْبَ الحاذقِ[4] المكرِ

فـــأينَ مـــنهُ جـــيادٌ كـــانَ عـــوَّدها بـــنو الفُـــصيصِ[5] لقـــاءَ الطعنِ بالثُّغَرِ

بـــتولةٌ ولـــدت ســـبطيه فاشـــتبها أمامهـــا لاشـــتباه البـــيضِ بالغُـــدُرِ[6]

للهِ قـــــولي لعـــــبدِ اللهِ والـــــده قـــولاً أتـــى وفـــق[7] علـــياه على قدرِ

أعـــاذَ مجـــدَكَ عـــبدَ اللهِ خالقُـــهُ مـــنْ أعـــينِ الـــشهبِ لا مِنْ أعينِ البشرِ

---

(١) في نسخة: "والغدر.

(٢) هكذا بالأصل.

(٣) في نسخة: عن.

(٤) في نسخة: الحادر.

(٥) في نسخة: الغصيص.

(٦) في نسخة: بالعذر.

(٧) في نسخة: قص.

فـالعينُ يـسلم[٣] منها ما رأت فَنَبَتْ[٤] عَـنْهُ وتلحـقُ مـا تهـوى من الصورِ
فأنـتَ ثـاني الذبـيحينِ العلى خطبتْ فحـزتها وَهْـيَ بـينَ الـنابِ والظفـرِ
ومـا سـواكم بكفءٍ في الأنامِ[٥] لكمْ والـليثُ أفـتكُ أفعـالاً مـنَ النمـرِ
سـابقتَ قوماً إلى الأضيافِ إذا[٦] وقفوا كـوقفةِ العَيْـرِ بـينَ الـورد والصدَرِ
يـا ناهـباً خلـعَ العلـيا وحائطهـا بالـسمهريةِ دونَ الوخـزِ بالإبـرِ
كـم لابنكَ المصطفى من موقفٍ نكصوا[٧] عـنهُ ويلغـي الرحالَ السرْدُ[١] منْ خوَرِ
إنَّـا لنُجـري دمـوعاً في محبـته فكـمْ جُمـانٍ مـعَ الحـصباءِ منتثـرِ
قـلْ للملقَّـبِ بالأمـيِّ مـشتهراً بـذاكَ في الـصحفِ الأولى والزبـرِ[٢]
دعِ الـيراعَ لقـومٍ يفخـرون بـهِ وبالطـوالِ الـردينياتِ فافتخـرِ
فهـنَّ أقلامُـكَ الـلاتي إذا كتـبتْ مجـداً أتـتْ بمـدادٍ مـنْ دمٍ هَـدَرِ
كـمْ مـنْ مـشوقٍ[٩] إلى لقياكَ أدمعُهُ مـثلُ التكـسرِ[٨] في جـارٍ بمـنحدرِ
الآلُ والـصحبُ لا ضـرَّاءَ[١١] بيـنهمُ مـثلِ الـضراغمِ والفرسـانِ والجُزُرِ[١٠]
ريـاضُ مـدحِكَ تأكـيدُ الـنعوتِ لها وأن تخـالَفْنَ أبـدالٌ مـنَ الزهـرِ

---

(١) في نسخة: الشرد.
(٢) في نسخة: وفي الززبر.
(٣) في نسخة: تسلم.
(٤) في نسخة: فتنت.
(٥) في نسخة: في العلاء.
(٦) في نسخة: إذ.
(٧) في نسخة: نكسوا.
(٨) في نسخة: التكثر.
(٩) في نسخة: مرشوق.
(١٠) في نسخة: الحذر.
(١١) في نسخة: والأعداء.

يُمـــناكَ فـــيها جحـــيمٌ للعـــدى ولمـــن ... والاكَ ينـــبعُ مـــاء كـــافي الزمـــرِ

مـــا كـــنتُ أحسبُ كفاً قبلَ كفٍّ رسو ... لِ اللهِ يُطـــوى علـــى نـــارٍ ولا نهـــرِ

قـــفْ بالـــصراطِ وإلا كـــيفَ يمكنـــنا ... مَـــشْيٌ على اللجح أو سَعْيٌ على السُّعُرِ

فأنـــتَ أولهـــم خلقـــاً وآخـــرهم ... بـــثاً فـــذا السبقُ ليسَ السبقُ بالحُضُرِ[1]

يـــا ويـــحَ مَـــنْ عاندوا أو كذّبوا سفهاً ... ولم يـــروكَ بفكـــرٍ صـــادقِ الخـــبرِ

إنْ أُصـــغروا مـــا رأوا في النجمِ إذْ نزلت ... فالـــذنبُ للطـــرفِ لا للـــنجمِ في الصغرِ

للرســـلِ مِـــنْ قَـــبْلُ أصحابٌ تفوقُ وما ... فـــيهمْ كمـــثلِ أبي بكـــرٍ ولا عمـــرِ

تيمـــناً بـــكَ حـــتى قـــيلَ إن ســـدرتْ ... إبلـــي فمـــرآكَ يـــشفيها مـــن الـــسدرِ

يـــا مـــن يُوَفِّـــيهِ[6] حرُّ الشمسِ أين غدا ... غيمٌ حمى الشمسَ لم يُمطر[2] ولم يسرِ[3]

إني مدحـــتُكَ قـــصداً للـــشفاعة لا ... بـــنات أعـــوجَ بالأحجـــال[4] والغُـــرَرِ

يـــا معطـــياً كلمـــا أعطـــى يـــزيدُ غنى ... والغمْـــرُ[5] يُغنـــيه طـــولُ الغرفِ بالغُمَرِ

يـــا مَـــنْ لـــذي العرشِ أهدى تارةً مائةً ... مِـــنْ كـــلِّ وجـــناءَ مثل النونِ في السطرِ

لـــه[8] تواضَـــعَ جـــبريلُ علـــى ثقـــةٍ ... لَمَّـــا تواضـــعَ أقـــوامٌ علـــى غَـــرَرِ

كـــبرتَ بيـــنهم قـــدراً وأنـــت فـــتى ... هـــذا اتفـــاقُ فـــتاءِ الـــسنِّ والكـــبرِ

زهـــدتَ في زيـــنة الدنـــيا لآخـــرةٍ ... والليـــلُ إن طـــالَ غـــالَ الـــيومَ بالقصرِ

هـــزمتَ بالتـــربِ كفـــاراً فأعيـــنُهُمْ ... تكـــادُ تعـــدمُ فـــيه خفـــةَ الـــشررِ

إنْ قَطَّـــعَ الـــشوقُ قلـــباً أنـــتَ ساكنُهُ ... فالغمـــدُ يبلـــيهِ صـــونُ[7] الصارمِ الذكرِ

---

(١) في نسخة: بالحصر.

(٢) في نسخة: تمطر.

(٣) في نسخة: تسر.

(٤) في نسخة: والأحجال.

(٥) في نسخة: العمر.

(٦) في نسخة: يوقيه.

(٧) في نسخة: يبكيه صول.

(٨) في نسخة: لقد.

يـــا خـــاتمَ الأنبـــيا قـــدْ كـــانَ مفتقراً إلى قـــدومِكَ أهـــلُ الـــنفعِ والـــضررِ

كـــمْ راقَـــبتْ أمـــمٌ مـــنكَ القدومَ كما يـــراقبونَ إيـــابَ العـــيدِ مِـــنْ ســـفرِ

ســـلْ تُعْـــطَ واشفعْ تشفعْ ما تُرِدْهُ يكنْ لـــوْ شـــئتَ لانـــتقلَ الأضحى إلى صفرِ

ثكلـــتَ آخـــرَ أعمـــارٍ تـــضيع سدى فمـــا تـــزيد علـــى أيامـــنا الأُخَـــرِ

فكـــن شـــفيعي وذخـــري في المعادِ إذا أقـــبلْتُ مـــن حفـــرتي إقـــبالَ مفتقـــرِ

ولا تكلـــني إلى قـــولٍ ولا عمـــلٍ ولا إلى وزنِ أعمـــالي فلـــستُ بـــري

مـــولايَ جسمي ضعيفٌ عن لهيبِ لظى فاعطـــفْ علـــى جبرتي يا جبرَ مُنْكَسري

وأرتجـــي بـــكَ مـــن ذي العـــرشِ عافيةً في الآلِ والحـــالِ والعلـــياءِ والعمـــرِ

علـــيكَ مِـــنْ صـــلواتِ اللهِ أفـــضلها مـــا لاحَ بـــدرٌ وناحَ الورقُ في الشجرِ[1]

وقال رحمه الله

مـــا للـــزمانِ عـــنِ المـــروءَةِ عـــارِ مـــا عـــندَهُ[2] في منكـــرٍ مـــن عـــارِ

أشـــكو إلى اللّـــهِ الـــزمانَ فدأبُـــهُ عـــزُّ العبـــيدِ وذلّـــةُ الأحـــرارِ

لا غـــرْوَ إنْ حـــدتْ[3] بـــنوهُ مـــناقبي كـــلٌّ علـــى مَجْـــرى أبـــيهِ جـــارِ

وا رحمـــتا للحاســـدين فـــنارُهُمْ قَـــدْ ســـعِّرَتْ بُعْـــداً لهـــا مـــنْ نـــارِ

وإذا جـــرى ذِكـــري تكـــادُ قلـــوبُهمْ تنـــشقُّ أو تغـــتالني بـــشرارِ

كـــرهوا عطـــاءَ اللهِ لي يـــا ويحَهـــم لـــشقائهم كـــرهوا صـــنيعَ الـــباري

ويـــزيدُهُم نـــاراً وقـــودُ قـــريحتي وبلـــوغُ أخـــباري إلى الأقطـــارِ

يـــا ســـعدُ ســـاعدني علـــى هجرانهم في اللّـــهِ هجـــرُ مجانـــبٍ مـــتوارِ

واحـــذرْ بـــني الدنـــيا وكـــنْ في غفلةٍ عـــنهمْ وجانـــبْ كـــلَّ كلـــبٍ ضارِ

واحفـــظْ لـــصاحبكَ القـــديمِ مكانَـــهُ لا تتـــركِ الـــودَّ القـــديمَ لطـــارِ

---

(١) في نسخة: السحر.

(٢) سقطت ما في بعض النسخ.

(٣) في نسخة: حسدت.

وإذا أساءَ وفيكَ حِملٌ فاحتملْ … إنَّ احتمالكَ أعظمُ الأنصارِ

سارعْ إلى الفعلِ[1] الجميلِ وقلّدِ الـ … أعناقَ حسناً فالزمانُ عوارِ

واجعلْ إلى الأُخرى بدارِكَ بالتُّقى … تغنمْ فما الدنيا بدارِ بِدارِ

واعملْ لتلكَ الدارِ ما هي أهلُهُ … عملَ المداري أهلَ هذي الدارِ

واقصدْ فعالَ المكرماتِ تبرعاً … فالمكرماتُ حميدةُ الآثارِ

لا تأسفنَّ لما مضى واحرصْ على … إصلاحِ ما أبقيتَ باستكثارِ

فالجاهلونَ[2] بنو كلاب عندَهُمْ … واليومَ أهلُ الفضلِ آلُ يسارِ

جاورْ إذا جاورْتَ بحراً أوْ فتىً … فالجارُ يشرفُ قدرُهُ بالجارِ

كنْ عالماً في الناسِ أو متعلّماً … أو سامعاً فالعلمُ ثوبُ فخارِ

منْ كلِّ فنٍّ خذْ ولا تجهلْ بهِ … فالحرُّ مطّلعٌ على الأسرارِ

وإذا فهمتَ اللغةَ عشتَ مصدَّراً … في العالمينَ معظَّمَ المقدارِ

وعليكَ بالإعرابِ فافهمْ سرَّهُ … فالسرُّ في التقديرِ والإضمارِ

قِيَمُ الورى ما يحسنونَ وزينُهُمْ … ملَحُ الفنونِ ورقةُ الأشعارِ

واعملْ[3] بما علَّمْتَ فالعلماءُ إنْ … لم يعملوا شجرٌ بلا إثمارِ

والعلمُ مهما صادفَ التقوى يكنْ … كالريحِ إذْ مرَّتْ على الأزهارِ

يا قارئَ القرآنِ إنْ لمْ تتَّبعْ … ما جاء فيه فأينَ فضلُ القاري

وسبيلُ منْ لم يعلموا أنْ يحسنوا … ظنّاً بأهلِ العلمِ دونَ نفارِ

قدْ يشفعُ العلمُ الشريفُ لأهلهِ … ويُحِلُّ مبغِضَهُمْ بدارِ بوارِ

هلْ يستوي العلماءُ والجهّالُ في … فضلٍ أم الظلماءُ كالأنوارِ

---

(١) في نسخة: فعل.

(٢) في نسخة: فالمعسرون.

(٣) في نسخة: فاعمل.

احرصْ على إجمالِ[1] ذكرِكَ في غنىً ... وتمسَّلْ بالأورادِ والأذكارِ

ما العيشُ إلاّ في الخمولِ معَ الغنى ... وفي الاشتهارِ نهايةُ الأخطارِ

واقنعْ فما كنزُ القناعةِ نافداً ... وكفى بها عزّاً لغيرِ ممارِ

واسألْ إلَهكَ عصمةً وحمايةً ... فالسيئاتُ قواصفُ الأعمارِ

وإن ابتليتَ بزلةٍ وخطيئةٍ ... فاندمْ وبادرْها بالاستغفارِ

إياكَ منْ عسفِ الأنامِ وظلمِهِمْ ... واحذرْ منَ الدعواتِ في الأسحارِ

وتجنَّبْ السلطانَ غيرَ مقاطعٍ[2] ... وإذا سطا فحذارِ ثمَّ حذارِ

أطلِ افتكارَكَ في العواقبِ واجتنبْ ... أشياءَ محوجةً إلى الإعذارِ

ودعِ الورى وسلِ الذي أعطاهمُ ... لا تطلبِ المعروفَ منْ إنكارِ

جمدَ الندى لبرودةِ[3] الكُبَرا وما ... جمدَ الندى لبرودةِ الأشعارِ

لمْ يبقَ خلٌّ للشدائدِ يُرتجَى ... في نشرِ إحسانٍ وطيِّ عوارِ

منْ أينَ يوجدُ صاحبٌ متحسِّنٌ[4] ... للخيرِ أو زارٍ على الأوزارِ

احذرْ[5] عدوَّكَ والمعاندَ مرَّةً ... واحذرْ صديقَ الصدقِ سبعَ مرارِ

فالأصدقاءُ لهم بسرِّكَ خبرةٌ ... ولهم به سببٌ إلى الإضرارِ

واصبرْ على الأعداءِ[6] صبرَ مدبِّرٍ ... قدْ أظهرَ الإقبالَ في الإدبارِ

كمْ نالَ بالتدبيرِ مَنْ هو صابرٌ ... ما لمْ ينلْهُ بعسكرٍ جرارِ

الدينُ شينُ الدينِ قالَ نبينا ... فتوقَّهُ واصبرْ على الإقتارِ

دارِ العدى منْ أهلِ دينكَ جاهداً ... ما فازَ بالعلياءِ غيرُ مُدارِ

---

(١) في نسخة: إجمال.

(٢) هذا البيت غير موجود في بعض النسخ.

(٣) ويروى: لجموده.

(٤) في نسخة: مستحسن.

(٥) في نسخة: اعذر.

(٦) ويروى: الحساد.

أمَا النصارى واليهودُ فخصَّهُمْ — بالمقتِ في الإعلانِ والإسرارِ

أفيضمرونَ لمسلمٍ حباً وقدْ — شرقوا ببغضِ محمدِ المختارِ[1]

وإذا رأيتَ الضيمَ مشتداً فلا — تلبثْ وحاولْ غيرُ تلكَ الدارِ[2]

أيقيمُ حيثُ يضامُ إلاّ جاهلٌ — قدْ عادلَ الأشرارَ بالأخيارِ

لا تودعِ السرَّ النساءَ فما النسا — أهلٌ[3] لما يُودَعْنَ مِنْ أسرارِ

كيدُ النساءِ ومكرُهُنَّ مروِّعٌ — لا كانَ كلُّ مكايدٍ مكّارِ

إنْ كنَّ خلاَّتِ الشبيبةِ والغنى — صِرْنَ العدى في الشيبِ والإعسارِ

أقللْ زيارةَ مَنْ تحبُّ لقاءَهُ — إنَّ الملالَ نتيجةُ الإكثارِ

لا تكثرنْ ضحكاً فكمْ مِنْ ضاحكٍ — أكفانُهُ في قبضةِ القصّارِ

كم حاسدٍ كم كائدٍ كم ماردٍ — كم واجدٍ كم جاحدٍ كم زارِ

لولا بناتي متُّ مِنْ شوقٍ إلى — موتٍ أُراحُ بهِ منَ الأشرارِ[4]

يا ربُّ أشكو مِنْ بناتي كثرةً — وأبو البناتِ يخافُ ثوبَ العارِ

واللّهُ يرزقني بهنَّ وإنما — أرجو لهنَّ السترَ مِنْ ستّارِ

يا ربُّ إنَّ بقاءَ بنتٍ فردةٍ — كافٍ كذاكَ اخترْتَ للمختارِ

يا ربُّ فارزقهنَّ قربَ جوارِ مَنْ — شتّانَ بينَ جوارِهِ وجواري[5]

أترى أُسرُّ بدفنِ بنتٍ قائلاً — اللّهُ جارُكِ إنّ دمعيَ جارِ

فبناتُ نعشٍ أنجمٌ وكمالُها — بالنعشِ فاطلبْ مثلَهُ لجواري[6]

---

(١) هذان البيت غير موجودين في بعض النسخ.

(٢) في بعض النسخ يتصدر البيت بـ"فإذا" بدلاً من "وإذا".

(٣) ويروى: "أهلاً".

(٤) ويروى: "من شوقي" بدلاً من "من شوقٍ".

(٥) ويروى صدر البيت: فرزقن عن قرب جميل جوار من.

(٦) في نسخة يتصدر البيت بـ"لبنات" بدلاً من "فبنات".

أقـسمتُ مـا دفـنوا البـنات تلاعباً ... دفـنوا البـنات كـراهة الأصـهارِ
يـا لائمـي في تـركِ أوطـاني لقـدْ ... بالغْـتَ في الإعـذارِ والإنـذارِ
أصـلي تـرابٌ والأنـام بأسـرِهمْ ... لي أقـربونَ فكـلُّ أرض داري[1]
أأطـيلُ في أرضٍ مقامـي لاهـياً ... وقـرارُ داري غـيرُ دارِ قـراري
مَـنْ كـانَ للجـيرانِ يـوماً مسخطاً ... فإنـا لمـا يرضـاهُ جـاري جـارِ
أَمنَتْنـيَ الجـاراتُ تجـربةً فمـا ... يـسبلْنَ دونَ لقـايَ مِـنْ أسـتارِ[2]
عجـبي لـشاربِ خمـرةٍ مـا خامرتْ ... لـبَّ امـرئٍ إلاّ عـرتْهُ بعـارِ
أنفَـتْ مِـنَ العـصَّارِ وهْـو يـذلُّها ... دوسـاً فقـدْ ثـارتْ لأخـذِ الـثارِ
يـا ربَّ أمـردَ كالغـزالِ لطـرفِه ... حكـمُ المنـيةِ في الـبريةِ جـارِ
تألـيفُ طـرَّتِه ونـورُ جبيـنِه ... تألـيفُ مـاءِ خـدودِه والـنارِ
ومعـذَّرٍ كالمـسكِ نـبتُ عـذارِه ... والخـالُ فهْـوَ زيـادةُ العطّـارِ
وبديعـةٍ إنْ لمْ تكـنْ شمـسَ الضحى ... فالـوجهُ مـنها طابـعُ الأقمـارِ
أعرضْـتُ إعـراضَ الـتعفّفِ عـنهمُ ... وقطعـتُ وصـلَهمُ وقـرَّ قـراري
مـا ذاكَ جهـلاً بالجمـالِ وإنمـا ... لـيسَ الخـنا مِـنْ شـيمةِ الأحـرارِ
إنْ أبـقَ أوْ أهلَـكْ فقـدْ نلـتُ المنى ... وبلغـتُ سـؤْلي قاضـياً أوطـاري
وحـويتُ مـنْ علـمٍ ومنْ أدبٍ ومن ... جـاهٍ ومـن مـالٍ ومـنْ مقـدارِ
ورأيـتُ بالأيـامِ كـلَّ عجيـبةٍ ... وسـئمت مـن صـفوٍ ومـن أكدارِ
وعلمـتُ أن الـناسَ بالأقـدارِ قـدْ ... أُعطـوا ولم يُعطَـوا علـى الأقـدارِ
فموفـقُ الحـركاتِ لا يـرجو ولا ... يخـشى سـوى ذي العـزَّةِ القهـارِ
واللّـهِ لـو رجـعَ الكـرامُ ودهرُهُمْ ... عرضـاً[3] وعـادتْ دولـةُ الأخـيارِ

---

(١) ويروى: "والأنام" بدلاً من "فالأنام"، و"وكل" بدلاً من "فكل".

(٢) ويروى: "فلا" بدلاً من "فما".

(٣) في رواية: شرعًا.

لأنفتُ مِنْ مدحي لهم متكسِّباً ... فالكسبُ بالأمداحِ ثوبُ صَغارِ[1]
أأُعدُّ منْ قصّادهم طلباً لما ... يفنى وتبقى وصمةُ الأخبارِ
أينَ الكرامُ وأينَ أهلُ مدائحي ... غيرُ النبيِّ الطاهرِ المختارِ[2]

وقال رحمه الله

أثَّرَ الحزنُ بقلبي أثراً ... يومَ غيبتُ الثريَّا في الثرى
إنْ تألَّمْتُ فقلبي موجعٌ ... أوْ تصبَّرْتُ فمثلي صَبَرا
دُرَّةٌ يا طالما حجَّبْتُها ... وبرغمي نبذوها بالعَرا
رحَلَتْ راضيةً مَرْضِيَّةً ... عن أبيها نِعْمَ ذخرٌ ذخرا
عنَّفَ العاذلُ في حزني ومنْ ... حقِّه تمهيد عذري لو درى
قال هذي عورةٌ قد سُترتْ ... قلت لا بل ذاكَ بعضي قُبِرا
فلذة الكبْدِ التي[3] لَما نأتْ ... نثْرتُ منظومَ دمعي دررا
كنتُ أبكي من تشكِّيها فمذْ ... بَعُدَتْ صارَ بكائي أكثرا
فجرى مِنْ دمعِ عيني ما كفى ... وكفى منْ رَوْعِ بيني ما جرى
أبلغَ اللهُ تعالى روحَها ... من سلامي نشْرَ مسْكٍ أذفرا
وجزاها الله عنْ آلامها ... مِنْ قِرى جنتِهِ خيرَ قِرى

وقال

فستقٌ ساءَ الأعادي ... ويسرُّ الأصدقاءَ
فيذكِّيهمْ ذكاةً ... ويُذَكِّينا ذكاءَ

---

(١) ويروى هذا البيت:

لأنفت من غشيانهم وسؤالهم ... فرط السؤال نقيصة الأقدار.

(٢) ويروى: "وآله الأطهار" بدلاً من "الطاهر المختار".

(٣) في نسخة: "من كبدي" بدلاً من "الكبد التي".

وقال

أيـا حاجـبَ السلطانِ زانَكَ حاجبٌ   وأغـناكَ في الهـيجاءِ عَنْ قوسِ حاجبِ

ويـا صـدغَهُ الملـويُّ إنّ لحاظَـهُ   سـيوفٌ حـدادٌ يـا لـؤيُّ بنَ غالبِ

وقال في رفيق له في السفر اسمه فتح الدين

بفـتحِ الـدينِ شُـرِّفنا   رفـيقٌ وافـرُ الفـضلِ

أيخـشى القفـلُ مـنْ لـصٍّ   ألـيسَ الفـتحُ في القفـلِ

وقال

إنْ قلـت قـدُّك غـصنٌ   قالـتْ لـه الغـصنُ سـاجدْ

أو قلـتُ ريقُـكِ ثلـجٌ   قالـتْ تـشبّهُ بـاردْ

وقال

لي بالمعـرةِ شمـسٌ   رضـاهُ عـينُ مـرادي

فـلا تذمُّـوه إني   أدرى بـشمسِ بـلادي

وقال

بي مِـنْ جفـاهُ وعطفِـهِ   أصـلٌ لخـوفي والـرجا

قمـرُ الدجـى بذؤابـةٍ   مـا غـيرُهُ قمـرُ الدجـى

وقال

يـا سـائلي تـصبُّراً   عـنْ لـثمِ فـيهِ لا تـسلْ

مـا تـستحي تُـبدلُني   بالـصبرِ عـنْ ذاك العـسلْ

وقال

شـبهتُ ريـقَ حبـيبي   بخمـرةٍ في الـتذاذِ

وذاكَ رجـمٌ بغـيبٍ   إذْ لـم أذقْ ذا ولا ذي

وقال

قـــــالَ لي معـــــشوقُ قلـــــبي أيهـــــا الـــــصبُّ النحـــــيلُ

لِيَ شـــــعرٌ قـــــدْ حكـــــاني بـــــتجافٍ مـــــستطيلُ

وقال

بعـــــثتَ قطائفـــــاً روَّى حـــــشاها قطـــــرُها الغامـــــرْ

فـــــسكرُها أبـــــو ذرٍّ ومرســـــلُ صـــــحنِها جابـــــرْ

وقال

وملـــــيحٍ إذا الـــــنحاةُ رأَوْهُ فـــــضَّلوهُ علـــــى بديـــــعِ الـــــزمانِ

برضـــــابٍ عـــــن المـــــبرِّد يـــــروي ونهـــــودٍ تَـــــروي عـــــن الـــــرماني

وقال

لمَّـــــا بَـــــدَتْ غـــــيداءُ في حلَّـــــة ســـــوداءَ مـــــثلَ الشمسِ تحت السحابْ

هـــــزَّ الـــــصبا الـــــسالفَ في خـــــدِّها فَـــــرَوَّحَ الـــــنارَ بـــــريشِ الغـــــرابْ

وقال

ســـــوداءُ قالـــــتْ لبيـــــضاءِ الأدمِ إذا فاخـــــرْتِ فالمتـــــنبي بينـــــنا حكـــــمُ

فالخـــــيلُ واللـــــيلُ حقـــــاً عاشـــــقي وأنا وأنـــــتِ والعاشـــــقُ القـــــرطاسُ والقلـــــمُ

وقال

كـــــرهْتُ وضـــــوءاً مِـــــنْ قناةٍ تساقُ منْ دمـــــاءِ الـــــرَّعايا أو بِـــــسخرةِ مُـــــسْلِمِ

ســـــيشرقُ في يـــــومِ الحـــــسابِ ندامـــــةٌ كمـــــا شـــــرقَتْ صـــــدرُ القناةِ منَ الدمِ

وقال

وفي[2] أغـــــيدٌ مـــــن حسنِهِ البدرُ خائفٌ علـــــى نفـــــسِهِ والـــــنجمُ في الغربِ مائلُ

سأســـــفحُ دمعـــــي في هوى المجد منشداً ألا في ســـــبيلِ المجـــــدِ مـــــا أنـــــا فاعلُ[1]

فلـــــو رامَ قَـــــسٌّ وصـــــفَ باقـــــلِ خدِّهِ لعيَّـــــرَ قـــــساً بالفهاهـــــةِ باقـــــلُ

---

(١) هذا البيت غير موجود في بعض النسخ.

(٢) في نسخة: وبي.

وقال

لعيـــــــنهِ الــــــــزرقاءِ في قلـــــبيَ ســـــــهمٌ مطلـــــقُ
واعجـــــــبا أحـــــــبُّهُ وَهْـــــــــوَ العـــــــدوُّ الأزرقُ

وقال

في الـــــصومِ رامـــــت وصـــــالي فقلـــــتُ صـــــعبٌ علاجُـــــهْ
قالـــــــتْ فخـــــــدِّي وردٌ قلـــــتُ الـــــصيامُ ســـــياجُهُ

وقال

إذا أوعدَتـــــــنا شـــــــراً يلـــــوكُكَ[1] طفلُـــــنا لـــــوكَهْ
فـــــلا تعـــــبثْ بـــــوردي فـــــإن الـــــورد ذو شـــــوكهْ

وقال

لمجـــــنونِكُمْ عـــــارضٌ أخـــــضرُ دليلـــي علـــى حـــبِّه نـــاهِضُ[2]
وقالـــوا أسُـــلَّ بـــه[3] عـــارضٌ فقلـــتُ وبي ذلـــكَ العـــارضُ

وقال

لحِمْـــي عـــسا عـــنْ منـــصبٍ أصـــبحتَ تعرضُـــهُ علـــيْ
وســـوايَ غـــضٌّ فاشْـــوِهِ فالـــشيخُ لمْ يـــصلحْ لـــشيْ

وقال

إنَّ القـــــناديلَ بكـــــمْ زادتْ علـــــوّاً وارتقـــــا
فَحُـــــقَّ أنْ يُتْلَـــــى لهـــــا لتـــــركَبُنَّ طـــــبقا

---

(١) ويروى: نلوكك.

(٢) ويروى: "حسنه" بدلاً من "حبه".

(٣) ويروى: فيه.

وقال

تبـــــــــسَّمتْ لي وقالـــــــــتْ جـــــرِّبْ وصـــــالي سُـــــوَيْعَهْ
فقلـــــــتْ كـــــيفَ فقالـــــتْ سُـــــــــتَيْتَةٌ بـــــــــسُبَيْعَهْ

وقال

يقـــــول أرمـــــدُ عـــــينٍ حلـــــوُ الجـــــنى والتجنِّـــــي
إنْ كَـــــلَّ ســـــيفُ جفـــــوني فـــــذا(1) عـــــذاري مـــــسِنِّي

وقال

منظـــــرِهِ الزاهـــــي العجـــــبْ كأنمـــــا النـــــرجسُ في
تحمـــــلُ طاســـــاً مِـــــنْ ذَهَـــــبْ أنامـــــلٌ مـــــنْ فـــــضةٍ

وقال

دخلـــــــتُ يـــــــوماً دارَهُ فقـــــالَ لي شـــــخصٌ جـــــثا
ذَكِّـــــرْهُ لي فقلـــــتْ مَـــــنْ يذكّـــــر المؤنـــــثا

وقال

وبي بدويَّـــــــةٌ فـــــــتكَتْ بأفـــــــئدةٍ وأكـــــــبادِ
بـــــدتْ كالـــــبدْرِ في حَـــــضَرٍ فقالـــــوا الفـــــضلُ للـــــبادي

وقال

عانقـــــتُهُ حـــــتى ارتـــــوتْ خـــــدَّاهُ مِـــــنْ عـــــينيَّ دَمْعَـــــا
روضُ المحاســـــنِ خـــــدُّهُ مِـــــنْ حقِّـــــهِ يُـــــسقى ويُرعـــــى

وقال

وســـــــامريٌّ ملـــــــيحٍ يفـــــوقُ غـــــزلانَ رامَـــــهْ
يطـــــوي اصـــــطباري بـــــشَعْرٍ منـــــشورٍ(2) تحـــــتَ الغلامَـــــهْ

---

(1) في نسخة: فها.

(2) في رواية: منسوب.

وقال

قـــدْ شـــينَ مَـــنْ بالـــشينِ[1] مـــنطقُهُ   في عــــــينِ راءٍ ذالِــــــهِ كــــــافِ
لا تجعلـــــوا بالـــــشينِ نطقَكُـــــمُ   فـــــسبَّكمْ بالـــــزينِ والقـــــافِ

وقال

معـــــرةُ الـــــنعمان عـــــيني إذا   ذكـــــرتُها[2] تُفـــــرِطُ في سَـــــيْلها
كـــم زهـــرةٍ تـــضحكُ في كمِّهـــا   ونـــــسمةٍ تعثُـــــر في ذيلـــــها

وقال

يـــا شمـــسُ أشـــعلتُ شمعـــاً   علـــــيكَ عـــــشرَ أصـــــابعْ
رغمـــاً لِمَـــنْ قـــالْ قبلـــي   الـــشمعُ في الـــشمسِ ضـــائعْ

وقال

أقـــبِّلُ أطـــرافَ الـــسهامِ إخالُهـــا   نـــبالَ لحـــاظٍ[3] قدْ أُصيبَ بها صدري
وأعتـــنقُ الهـــنديَّ والـــرمحَ في الوغى   لأنَّهمـــا مـــن جملـــةِ البـــيضِ والسمرِ

وقال

إمـــامٌ في الـــركوعِ حكـــى هـــلالاً   ولكـــنْ في اعـــتدالٍ كالقـــضيبِ
وقـــال تلـــوتُ قلـــتُ البدرَ[4] حسناً   وقـــال خـــتمتُ قلـــتُ علـــى القلوبِ

وقال

يـــا عاطـــفَ الـــصَّدْغِ عُجْـــباً   مـــن فـــوقِ خـــدٍّ أنـــيقِ
رفقـــاً فقـــد هـــامَ قلـــبي   بالمـــــنحنى والعقـــــيقِ

---

(١) في نسخة: بالسين.

(٢) في نسخة: فكرها.

(٣) ويروى: سهام.

(٤) في نسخة: الشمس.

وقال

غَيَدُ سكرانُ[1] نورُ شرقٍ   وهُوَ لأهلِ الشمالِ قبلَهْ
نا شمتُ المدامَ منهُ   حددتهُ أربعينَ قُبْلَهْ

وقال

ذابَ منْ ثغرِكَ قلبي   يالَهُ قلباً وثغراً
عُكِسَ الأمرُ لعكسي   بَرَدٌ ذَوَّبَ جمراً

وقال

قدُّهُ جارَ اعتدالاً   فَلَهُ فَتْكٌ ونُسْكُ
سلبَ الأغصانَ ليناً   فَهْيَ بالأوراقِ تشكو

وقال [رحمه الله][2]

إذا ما هجاني ناقصٌ لا أُجيبُهُ   فإنِّيَ إنْ جاوبتُهُ فليَ الذَّنْبُ
أُنزِّهُ نفسي عن مساواةِ سفْلَةٍ   ومنْ ذا يعضُّ الكلبَ إنْ عضَّهُ الكلبُ

وقال

مدارسٌ ما تولّى أمرَها أحدٌ   إلاّ عتا ونضى فيها بواترَهُ
وجامعٌ لا يُرى للمستحقِّ على   سواه فضلاً وأعمى اللهُ ناظرَهْ

وقال

كيفَ أنسى جميلَ شعرِ حبيبي   وهْوَ كانَ الشفيعَ فيَّ لديهِ
شَعَرَ الشعرُ أنه رامَ قتلي   فرمى نفسَهُ على قدميهِ

وقال

يشفَعُ فيَّ شَعرُهُ   فمالَ عن قبولِه
فهْوَ على أقدامِهِ   مُمدَّدٌ بطولِه

---

(١) ويروى صدر البيت: سكران في فيهس.

(٢) ما بين المعكوفتين زيادة من بعض النسخ.

وقال

عجـــبْتُ في رمـــضانَ مـــنْ مغنِّـــية　　بديعـــةِ الحـــسنِ إلاّ أنها ابـــتدعَتْ
جـــاءتْ تـــسحِّرنا لـــيلاً فقلـــتُ لها　　كيفَ السحورُ وهذي الشمسُ قدْ طلعتْ

وقال

فـــلا تـــكُ في الدنـــيا مضافاً وكنْ بها　　مـــضافاً إلـــيه إنْ قـــدرتَ علـــيه
فكـــلُّ مـــضافٍ للعـــواملِ عرضـــةٌ　　وقـــد خُـــصَّ بالخفضِ[1] المضافُ إليه

وقال

أيهـــا الـــباخلُ فـــيما قـــد مَلَـــكْ　　أنـــتَ للمـــالِ ولـــيسَ المـــالُ لـــكْ
فاحتـــرسْ مـــن حـــيَّةِ المـــالِ فـــلا　　بـــدَّ أنْ تقـــتلها أو تقـــتُلكْ

وقال

يـــا أفـــضلَ مرســـلٍ كـــريمٍ　　مـــا ألطـــفَ هـــذه الـــشمائلْ
مَـــنْ سمـــعْ[2] لفظَهـــا تـــراهُ　　كالغـــصنِ مـــعَ النـــسيمِ مائـــلْ

وقال

ســـلْمْتُ أنَّـــكَ ترتـــشي　　قـــدِّمْ بعلـــمٍ أو نـــسبْ[3]
فكـــأنَّني بالفـــضَّةِ انـــ　　فَـــضَّتْ وقـــد ذهـــبَ الـــذهبْ

وقال

حَمَـــامكمْ في كـــلِّ أوصـــافه　　كـــوجه شـــخصٍ غـــيرِ مذكـــورِ
شـــديدُ بـــردٍ وســـخٌ مـــوحشٌ　　قلـــيلُ مـــاءٍ فاقـــدُ الـــنورِ

وقال

لفـــلانِ الـــدين بَغْـــلٌ　　فـــاضَ مـــنهُ الـــريحُ فيـــضاً
قـــالَ مـــركوبيَ نحـــسٌ　　قلـــتُ والـــراكبُ أيـــضاً

---

(١) يروى: بالفعل.

(٢) في نسخة: تسمع.

(٣) يروى: أدب.

وقال

قد سمعنا منْ شيخِ جبرينَ جزءاً ... نبويّاً يُعدُّ في الألطافِ
هو جزءٌ نرجو به فوزَ كلٍّ ... نتلقّاهُ صافياً منْ[1] صافِ

وقال

بي من الخرْسِ شادنٌ ... ليتَ شانيهِ لمْ يكنْ
فهْوَ كالبدرِ في السما ... لا لسانٌ ولا أُذُنْ

وقال

فؤادي إلى آلِ النصيبيِّ مائلٌ ... وودّي لهم في مَحْضري ومغيبِ
فبيني وبينَ القومِ نوعُ تجانسٍ ... إذا طابَ أصلُ الوردِ فهو نصيبي

وقال

ردَّ كتابي عليٌّ مغتنماً ... مدحي وبابُ[2] الهجاءِ مسدودُ
فيه عيوبٌ قد اعترفْتُ بها ... فارددْهُ إنَّ المعيبَ مردودُ

وقال

غضَبْتَني وغصبْتَ ديواني الذي ... أنفقْتُ فيه شبيبتي وزماني
لو كنتَ يوماً بالمودَّةِ عاملاً ... ما كنتَ تُغْضِبُ صاحبَ الديوانِ

وقال

أنا لولا خشيةُ اللَّهِ ... لأنْفقْتُ نضاري
في عتيقٍ منْ مدامٍ ... وجديدٍ من عِذارِ

وقال

حبُّ المقدسيِّ بقلبي ... حبٌّ جليٌّ الدليلِ
فمنْ يكنْ ذا خليلٍ ... فالمقدسيُّ خليلي

---

[1] يروى: عن.

[2] يروى: فباب.

وقال

أنكــــرَ حبّـــي مدمَعِـــــي وقـــالَ هـــذا مِـــنْ هـــوى

فقلـــت لا بـــلْ مـــنْ فـــتى أصـــابَ عـــيني بـــنوى

وقال

أرشـــف مـــبرَّدَ ريقِـــه مِـــنْ ثعلـــب إنْ صـــدَّ أنكـــى[1]

يعطـــيكَ مِـــنْ طـــرفِ اللـــسا نِ حـــلاوةً ويـــروغُ عـــنكا

وقال

يـــا شـــيخُ خـــلِّ التـــصابي فالـــزهدُ بالـــشيخِ ألـــيقْ

ولا تَحُـــثَّ كميـــتاً فـــإنَّ فـــودك أبلـــقْ

وقال

أفـــدي امـــرأ كـــانَ علـــى بعـــده أكـــبرَ أنـــصاري وأعـــواني

فحـــينَ وافى حلـــباً زائـــراً أَعْدَتْـــهُ أعدائـــي فعـــاداني

وقال رحمه الله تعالى

تذكـــرتُ بالـــبرقِ إذْ يلمـــعُ مـــنازلَ كانـــتْ بكـــمْ تجمـــعُ

فـــيا زمـــنَ الوصـــلِ هَـــلْ عائـــدٌ[2] فـــتخمد مـــا حـــوتِ الأضـــلعُ

وكـــيف يعـــودُ لأهـــلِ الهـــوى ســـرورٌ ومـــستَبْعَدٌ أن يعـــوا

هجـــرتُ الـــنقا بعـــدَكم والـــصفا لأني بكـــأسِ الـــبكا أجـــرعُ

أبـــثك بَيْـــناً ودمعـــاً جـــرى فهـــذا حجـــازٌ وذا ينـــبعُ

كـــأنَّ ســـهامٌ لقَـــوسِ الـــنوى فرامـــي الفـــراقِ بـــنا مولـــعُ

وفي الـــنازعاتِ لـــنا أنفـــسٌ وفي المرســـلاتِ لـــنا أدمـــعُ

أحـــبُّ الدمـــى وســـوادَ اللمـــى وربُّ الـــسما خـــوفُهُ يـــردعُ

---

(١) يروى أزكى.

(٢) في نسخة: عودة.

فَمِـــنْ جهــةِ الطــبعِ لي مطمــحٌ وَمِـــنْ جهــةِ الــشرعِ لا مطمــعُ
ومــا أجهــلُ الحــسنَ لكــنْ أرى بــأنَّ التراهـــةَ لي أرفــعُ
ولــولا التقــى كــنتُ أبغــي الــشقا ويجـــتمعُ اللهـــوُ لي أجمـــعُ
صــحبتُ المــلا وطمعــتُ العلــى[2] وجـــربْتُ مـــا ضـــرَّ أو يـــنفعُ
فَلَـــمْ أرَ أرذلَ مِــــنْ طامــــعٍ ألا قاتـــلَ اللهُ مَـــنْ يطمـــعُ
ولم أرَ أرفـــعَ مـــن قانـــعٍ فللّــــهِ كـــلُّ فـــتى يقـــنعُ
ومــا ذقــتُ في عمــريَ قهــوةً[3] ولم يُجْـــلَ[1] لي كأسُـــها المتـــرعُ
ومــا[4] أصــلحتْ قيــنةٌ عــودَها وغـــنَّتْ بـــهِ وأنـــا أسمـــعُ
ولــو رمْــتُ في وصــلِها جهلــةً لمـــا كـــانَ للـــسرِّ مـــستودَعُ
ولا هـــزَّ لي أمـــردٌ عطفــــه[5] يُـــشبَّه بالـــبدرِ إذْ يطلـــعُ
فَمَـــنْ كـــانَ بالمـــردِ مـــستمتعاً فـــذاكَ بـــه كـــان يـــستمتعُ
ومـــن يطـــعِ اللهـــوَ عـــصرَ الـــصبا فـــذلكَ بالـــشيبِ لا يـــرجعُ
أنـــا الكاســـدُ الـــنافقُ الـــشاردات تـــسيرُ وأنـــوارُها تـــسطعُ
جمعـــتُ إلى العلـــمِ نظمـــاً لـــهُ غـــصونٌ حمائمُهـــا تـــسجعُ
حمـــى اللهُ شـــعريَ عـــن ذلـــةٍ فـــلا يـــستكينُ ولا يخـــضعُ
وإن اكتـــسابَ الغـــنى بالمـــديحِ مهـــينٌ لـــه مـــؤلمٌ موجـــعُ
وخلّفَـــنا والـــدي ســـبعةً مـــن الـــولْدِ مـــربعُهُمْ ممـــرعُ
رأى الدهـــرُ ســـبعَ شمـــوس لـــنا فعانَـــدَنا فـــإذا أربـــعُ
وكـــانَ تـــوجعُهُمْ مُوجعـــي ولكـــنْ فـــرقَتَهمْ أوجـــعُ

---

(١) في نسخة: يحل.

(٢) في نسخة: وطعمت الولا.

(٣) القهوة: الخمر.

(٤) في نسخة: ولا.

(٥) في نسخة: عطفه أمرد.

هوَ الدهرُ يلحنُ في أهلِه ... فيخفضُ مَنْ حقهُ يرفعُ
أَلَمْ تَرَهُ ضدَّ أهلِ التقى ... وَمَنْ ضدَّهُ الدهرُ ما يصنعُ
مساكينُ أهلُ النقا أُخرسوا ... وَمَنْ ألفوا المنحنى لعلعوا
فكمْ ناقصٍ ثغرُهُ باسمٌ ... وكمْ فاضلٍ سنَّهُ يقرعُ
فلا تعجبُنْكَ[1] على جاهلٍ ... فدولتُهُ بغتةً تقلعُ
ولو بلغَ الجاهلونَ السُّها ... فما تحتَ موضعِهِمْ موضعُ
فخلِّ العلومَ إذا جئتَهُمْ ... فليسَ لها عندهُمْ موقعُ
ولا تذكرنْ أدباً عندهُمْ ... فآدابُ أشعارِهِمْ بلقَعُ
أجلُّ الورى عندهم رتبةً[2] ... وضيعٌ يزمزمُ أو يُصفعُ
أرى البخلَ مستبشعًا فاحشًا ... وسعيي إلى بابهم أبشعُ
فيا قبحَهُمْ في الذي خُوِّلوا ... ويا حسنهم عندما يُترعُ
ولو كنتُ أرضى بما القومُ فيه ... لما كنتُ عَنْ نيلِه أُدفعُ
رضيتُ الخمولَ فكم خلعةٍ ... لها دينُ لابسها يخلعُ
وكم فرحةٍ جَلَبَتْ ترحةً ... وَكَمْ ضحكٍ بعدَهُ مدمعُ
إذا ما تضاحكتُ مِنْ حالهم ... يظنونَ أني لهُمْ أخشعُ
وما يَكْشرُ الليثُ ضحكاً بلى ... يكشِّرُ إذْ سمُّه منقعُ
مضى ما مضى وانقضى ما انقضى ... وعند المهيمنِ نستجمعُ
فلا الجاهُ يومئذٍ نافعٌ ... ولا المالُ حينئذٍ يشفَعُ
فيا جامعَ المالِ بخلاً به ... رويدَكَ وانظرْ لمَنْ تجمعُ
ويا حاسدي كيفَ شئتَ كنْ ... فإنِّي بالله أستدفعُ
وإنكَ لو رمْتَ لي هفوةً ... أبى الشهداءُ إذا ما دُعوا
وما في البريةِ مِنْ رافضٍ ... لفضلي إلا لَهُ مصرعُ

---

(١) كذا في النسخ التي بين أيدينا، ولعلها تعْجَبَنَّ.

(٢) في نسخة: رتبة عندهم.

وقال

سـجادةٌ أذكـرتني ... منكَ الذي كنتُ أعلمْ
أهديتَها لمحبٍّ ... صلى عليها وسلمْ

وقال

أيا دادا حكَتْ صدغاكِ واواً ... فما أحلى ثناياكِ العذابا
لقد صدَّتْكِ أمُّكِ عن رضانا[2] ... فيا ماما دعي للصلحِ[1] بابا

وقال

إنْ قالَ صفْ لي عذاري وَصْفَ مبتكر ... ووجنتي قلتُ خذْ يا صنعةَ الباري
هذا عذارُكَ نمّامٌ ومسكنُهُ ... نارٌ بخدَّيْكَ والنَّمامُ في النارِ

وقال

رمى لحظَهُ فأصابَ الحشا ... قضيبُ نقا ماسَ في بُرْدِه
فلمْ أرَ أرْشَقَ مِنْ لحظِهِ ... ولمْ أرَ أرشقَ مِنْ قدِّهِ

وقال

وسمينة كانتْ لها ... في القلبِ منزلةٌ تَرقتْ
رقَّتْ فعفْتُ وصالها ... وقطعْتُها مِنْ حيثُ رقَّتْ

وقال

لفاتني خيل عتاقٌ سوابقٌ ... إناثٌ أطابَتْ حملَها وفحولُ
وقدٌّ لقلبي فيهِ ألفُ بثينةٍ ... فكلُّ رداءٍ ترتديهِ جميلُ

وقال

ولي صاحبٌ بالمدحِ والهجوِ كسبه ... يقول أتدري كيفَ أصنعُ بالخلْقِ
إذا حمَّروا وجهي وما بيضوا يدي ... أزرقْ لهم رجلي ولو[3] خضَّروا عنْقي

---

(١) في نسخة: للوصل.

(٢) في نسخة: لقانا.

(٣) في نسخة: وإن.

وقال

قالـــوا تعـــدَّى علـــيك مغتـــصِباً ديـــوانك المـــشتهى إلى العاقـــلِ
فقلـــتُ لا تفـــزعوا علـــيَّ فقـــدْ أخـــذْتُ حقّـــي وثُلْثَـــيِ الـــباطلِ

وقال

مـــودعتي قفـــي زمـــناً يـــسيراً ففـــي الـــتوديعِ للعـــشاق سَـــبْيُ
ألا تـــستعطفينَ وأنـــتِ غـــصنٌ ألا تلتفـــتين وأنـــتِ ظَبْـــيُ

وقال

وقائـــلٍ هـــلْ لـــكَ في الـــ أحـــولِ نظـــمٌ يـــا أُخـــيْ
فقلـــتُ ســـلْ أو لا تـــسلْ مـــاليَ في الأحـــولِ شـــيْ

وقال

واللهِ لا كـــنتُ مادحـــاً طَـــرَفَاً فالـــنفخُ في الـــبرقِ مالـــهُ صـــورَهْ
ولا هجـــوت اللئـــيمَ في عمـــري مـــنْ ذا يطـــيقُ الوقـــوعَ في جُـــورَهْ

وقال

ســـألتها أيُّ نـــاه نهـــاكِ عـــنْ حـــسنِ قـــوجكْ
قالـــتْ نهـــانيَ زوجـــي فقلـــتُ روحـــي بـــزوجكْ

وقال

تقـــولُ وخـــالطَني الـــشيبُ لمْ ســـلوتَ فقلـــتُ اغـــربي وابعـــدي
فقـــد صـــرتُ أبلـــق قالـــتْ أجـــل وأبلـــقُ خـــيرٌ مِـــنَ الأســـودِ

وقال

إنْ لمـــتُ حظـــي فـــلا تلمـــني فـــإنَّ لومـــي لـــهُ بحـــقٍّ
للـــضدِّ رزقٌ بـــلا حـــسابٍ ولي حـــسابٌ بغـــيرِ رزقِ

وقال

أنـــا إن ســـافرتُ عـــنكمْ لا يـــصرْ عـــندَكَ صـــورهْ
فيَّ تعـــريفٌ وعـــدْلٌ فانـــصرافي للـــضرورهْ

وقال

إن قـــالَ صـــفني وصِـــفْ رفيقـــي ... قلـــتُ لـــهُ تـــاركَ الـــتحابي
أنـــت حـــسابٌ بـــلا عطـــاءٍ ... وَهْـــوَ عطـــاءٌ بـــلا حـــسابِ

وقال

مـــرَّتْ بخـــدَّيْ شـــقيقٍ ... بـــنا فقلـــتُ مـــبادرْ
مـــرُّ الـــشقائقِ هـــذا ... قالـــتْ وشـــقُّ المرائـــرْ

وقال

تجـــنَّبْ أصـــدقاءَكَ أو تغافَـــلْ ... لهـــمْ تظفـــرْ بـــودهمُ المـــبينِ
وإنْ يـــتكدّروا يـــوماً فَعُـــذْراً ... فـــإنَّ القـــومَ مـــنْ مـــاءٍ وطـــينِ[1]

وقال

ناديـــتُ دُمْلَجَهـــا فديـــتُكَ دُمْلَجـــاً ... لا تجـــرحنَّ يـــداً لهـــا عـــندي يـــدُ
فأجـــابني أنـــا دُملـــجٌ ذو غلظـــةٍ ... إني[2] أرقُّ لهـــا وقلـــبي جلمـــدُ

وقال

كنيـــــــسةُ الـــــــيهودِ في ... إنقاذهـــــــا[3] مـــــــصالحُ
فكـــــلُّ حـــــزَّانٍ غـــــدا ... والقلـــــبُ مـــــنهُ نـــــازحُ

وقال

بـــأبي مَـــنْ كـــانَ لا يـــرحمني ... ثمَّ لمـــا غـــابَ عـــني رحمـــا
خـــافَ إن غـــابَ طـــويلاً تَلَفـــي ... ثمَّ مـــا ودَّعَ حـــتى سـلَّما

---

(١) في هذا البيت ما يسمى في علم البديع بحسن التعليل، وهو أن يورد وصفا لطيفا مناسبًا، وإن كان غير صحيح من جهة الواقع.

(٢) في نسخة: أني.

(٣) في نسخة: إيقادها.

وقال

أنحلَتْني حبيبتي ... أنحلَ اللهُ خصرَها

كَسَرَتْني جفونُها ... ضاعَفَ اللهُ كسرَها

وقال

فكأنَّ[2] مَنْ أهواهُ في حَمَّامِهِ ... والسدرُ يزهو فوقَ أبيضَ أصفَرا[1]

صَنَمٌ مِنَ الكافورِ قُلِّدَ لؤلؤاً ... رطباً وأُلبِسَ ثوبَ لاذٍ أخضرا

وقال

يا ناذرينَ الصوم يومَ شفائه ... لَوْ تفقهونَ لكانَ نذرَ سجودِ

إني نذرتُ على مخالفتي لكم ... فطراً فكيف أصوم يومَ العيدِ

وقال

لحبيبي شامةٌ في خدِّه ... لا علا شأنُ حسودٍ شانَها

رُبَّ عينٍ دهشتْ وقدْ[3] ... نسيت في خدِّهِ إنسانَها

وقال

أقولُ إذْ قالَ لي حبيبي ... علامَ فارقْتَني علاما

خدُّكَ كانَ الصَّفا ولكنْ ... قدْ أصبحَ المشعرَ الحراما

وقال

ألبستُ شَعريَ إذْ مضى ... عني الصّبا لونَ الكفنْ

والناسُ مِنْ عاداتِهم ... لُبْسُ السوادِ على الحزنْ

وقال مضمنًا في غلام ظالم حصلت له زمانة اسمه كافور

قدْ أزمنَ اللهُ كافوراً وعاقبَهُ ... هذا بذاكَ ولا عُتبى على الزمنِ

فاستعملوا المسكَ في عرسِ السرورِ بهِ ... فالمسكُ للعرسِ والكافورُ للكفَنِ

---

(١) في نسخة: أحمر.

(٢) في نسخة: وكأن.

(٣) في نسخة: منه فقد.

وقال في شخص كان معسرًا ثقيلا واستغنى فخفّ[1] على الأرواح

قد كان إذْ هوَ معسرٌ مستثقلاً ... فغنيْ فخفَّ فطابَ طيبَ الراحِ
مالُ الفتى كالروحِ حلَّتْ جسمَهُ ... إنَّ الجسومَ تخفُّ بالأرواحِ

وقال في شمعة

ممشوقةٌ مثل صدرِ الرمحِ عاريةٌ ... قد توَّجَتْ رأسَها بالكوكبِ[2] الساري
تبكي إذا ضحِكَتْ جلاّسُها حَرَقاً ... فالقومُ في جنَّةٍ والشمعُ في النار

وقال

قدْ ألقتِ النارُ وجنتاهُ ... فينا وقدْ صاحتِ الحريقا
والثغرُ بالطرفِ قدْ حماهُ ... فراقَ طيباً وطابَ ريقا

وقال

قرطُها[3] خافقٌ وقلبيَ أيضًا ... خافقٌ مِنْ أليمِ صدٍّ وبَيْنِ
فاعذروها في العجبِ فَهْيَ فتاةٌ ... أصبحَتْ وَهْيَ تملكُ الخافقَيْنِ

وقال

أحبُّ لوجنتيهِ الجمرتين ... وهمتُ لثغرِهِ بالأبرقينِ
وأُعْذَرُ في عذاريهِ لأني ... أورِّي عنهما بالرقمتينِ
رآهُ مجرَّداً يوماً عذولي ... فما عَرَفَ النضارَ من اللجينِ
سوابقُ أدمعي لمَّا جفاني ... جرتْ فتعثَّرتْ بالمحجرينِ
هواهُ أفادَني شيباً وسهداً ... حملْتهما على رأسي وعيني
ورايةُ حسنِهِ خفقَتْ كقلبي ... فهنُّوهُ بملكِ الخافقينِ

(١) في نسخة: مخفف.

(٢) في نسخة: بنظير الكوكب.

(٣) في نسخة: قرطفها وهو خطأ.

وقال

لي صاحبٌ واسمُهُ سراجٌ ... ما قرَّ لي عندَهُ قرارُ
لسانُهُ محرقٌ لقلبي ... إنَّ لسانَ السراجِ نارُ

وقال

يا بدرَ تمٍّ نورُهُ باهرُ ... مترلُهُ في القلبِ والطرفِ
صدغُكَ حرفُ النونِ في مشقِه[(٢)] ... مَنْ يعبدُ اللهَ على حَرْفِ[(١)]

وقال

محمولُ موضوعِ غرامي على ... رسامكم أنتجَ لي سُهدي
انظرْ عذاريهِ وأجفانَهُ ... تَفْرُقُ بينَ الرسمِ والحدِّ

وقال

خطبتُ مجَّاناً وما عيشتي ... إلا بحرثِ السكةِ الصلبهْ
فناظرُ الوقفِ صديقٌ لمن ... يقنعُ بالسكةِ والخطبهْ

وقال

معذَّرٌ عشتُ بتقبيله ... فمتُّ منْ عشقٍ وَمَنْ عاشَ ماتْ
فثغرُهُ والشعرُ في خدِّهِ ... هذا سُنيناتٌ وهذا نباتْ

وقال

سأسفحُ دمعي في هوى المجد منشداً ... ألا في سبيلِ المجدِ ما أنا فاعلُ
فلو رامَ قَسٌّ وصفَ باقلِ خدِّهِ ... لعيَّرَ قساً بالفهاهةِ باقلُ

وقال

تعجبتُ منْ نهدَيْهِ لو أنَّ لامساً ... أرادَ انقباضاً لمْ تطعْهُ أناملُهْ
وسالَ عذارٌ لو نحا نفسَ صبِّهِ ... لجادَ بها فليتقِ اللهَ سائلُهْ

---

(١) عجز البيت هنا مقحم ومتكلف للمشاكلة بلا فائدة.

(٢) في نسخة: عشقه.

وقال[1]

إذا كـــان المحـــبُّ قلـــيلَ مـــالٍ ... فمـــــا أيامُـــــهُ إلا لـــــيالِ
لقـــدْ هـــانَ المقـــلُّ علـــى الـــبرايا ... فلـــمْ يخطـــرْ لمخلـــوقٍ بـــبالِ
وأصـــبحَ بـــينَ أهلـــيهِ غـــريباً ... طـــويلَ الهجـــرِ منـــبتَّ الحـــبالِ

وقال

شـــاعرٌ أخـــرج نـــصفاً زغـــلاً ... عـــندَ خـــبازٍ فلمـــا أنْ عُـــرِفْ
قـــيلَ هـــذا جائـــزٌ قـــالَ نعـــمْ[2] ... يـــصرفُ الـــشاعرُ مـــالا ينـــصرفْ

وقال

تجادلْـــنا أمـــاءُ الزهـــرِ أذكـــى ... أمِ الخـــلاَّفُ أمْ وردُ القطـــافِ
وعقـــبى ذلـــك الجـــدلِ اصـــطلحْنا ... وقـــدْ حـــصلَ الـــوفاقُ على الخلافِ

وقال في شيخه عبس رضي الله عنه

قـــدْ كـــانَ عـــبسٌ باسمـــاً ... في كـــلِّ هـــولٍ يقـــعُ
الملحـــــدونَ ابـــــتهجوا ... بمـــــوتِه والـــــشِّيَعُ
مـــا كـــانَ يخـــشى مـــنهُم ... فقلـــبُ عـــبسٍ سَـــبُعُ[3]

وقال

رأيـــتُ شـــيخاً عـــندَهُ عجمـــةٌ ... فقلـــتُ مـــاذا قـــيل منطيقـــي[4]
قلـــتُ اشـــتغل بالفقـــهِ مـــنْ قـــبلِ ذا ... أتـــشربُ الخمـــرَ علـــى الـــريقِ

---

(١) في نسخة: وقال مضمنًا.

(٢) في نسخة: قال لم تصرف هذا قال مه.

(٣) في هـــذا البيت تورية بديعة حيث ورى بأن المعنى قلب كلمة عبس يصير سبعًا، والمراد أن قلب المرثي عبس كان قلب سبع..

(٤) في نسخة: فقال ماذا قيل في منطيقي.

وقال لغرض وهي من شعر الصبا

صبرًا لصرفِ زمانٍ قاطعِ الحججِ ... لمْ يدرِ ما صحةُ الممشى من العرجِ

يرعى اللئامَ ويغتالُ الكرامَ ولا ... يخشى الملامَ[1] بقلبٍ غيرِ مختلجِ

صبرًا على صرفِهِ صبراً فرحلتُنا ... قريبةٌ عنهُ فَلْيَحْتَلْ على المهجِ

ما بالُهُ لا يرى قَدْرًا لذي شيمٍ ... سمحِ اليدينِ ويُعلي القدرَ مِنْ سمِجِ

فيا ذوي الفضلِ رفقاً إنَّ دهرَكُم ... لمْ يدرِ ما الفضةُ البيضا منَ السبجِ

لا تعجبوا لارتفاعِ الجاهلينَ بهِ ... وخفضِكُمْ بالرضى منكم أو اللججِ

فهذهِ كفةُ الميزانِ إذْ حكمتْ ... تقابلُ الذهبَ الإبريزَ بالصنجِ

جربْتُ أهلَ زماني واختبرْتُ فلمْ ... أجدْ كريماً ولا عوناً على الحرجِ[2]

ولا محبًّا لذي فضلٍ ولا ثقةً ... ولا أميناً ولا عدلاً عنِ العوجِ

ولا مصيخًا إلى مدْحٍ إذا مُدحوا ... ولا كريماً يخافُ الهجوَ حيثُ هُجي

منْ أجلِ ذلكَ قدْ جانبْتُ أكثرَهُمُ ... وقلتُ يا أزمةُ اشتدي لتنفرجي

فإنهمْ عنْ سبيلِ الصدقِ قد عَرَجوا ... فاعذرْ فليسَ على العرجانِ مِنْ حرجِ

زيادةُ الفضلِ عينُ النقصِ عندهُم ... وكثرةُ المالِ فيهمْ أرفعُ الدرجِ

فصافِ أعدلَهُمْ قولاً وأصدقَهُمْ ... في الودِّ وافتحْ لهُ بابَ الهوى يلجِ

فلا تُزاحمْ على الدنيا الكلابَ فَمَنْ ... يزاحمِ الكلبَ فيما نالَهُ يُهِجِ

ما شاقَني في زماني قربُ غانيةٍ ... رنَّتْ ولا راقني ذو منظرٍ بهجِ

ولا مرادي وصالُ المردِ إذ خَطَروا ... ولا ازدهاني بخدٌّ ناعمٍ ضرجِ

ولا سباني سنا هيفاءَ مقبلةً ... عجزاءَ مدبرةٍ بالجعدِ والدعجِ

وليسَ ذاك لجهلي بالجمالِ إذنْ ... لكنني من بحارِ الهمِّ في لُججِ

يا نفسُ صبرًا فعقبى الصبرِ صالحةٌ ... لا بدَّ أن يأتيَ الرحمنُ بالفرجِ

---

(١) في نسخة: اللئام.

(٢) في نسخة: الحوج وهي من الاحتياج، أما الحرج المثبتة فهي من الضيق.

وقال

السنومُ عــن جفــني طــريحٌ طــريدْ والــصبرُ عــن قلــبي قــصيٌّ بعــيدْ
يــا مَــنْ سبى بالــنورِ شمسَ الضحى قَلْــبُ المعنَّــى لم يكــنْ بالحديــدْ
القلــبُ مــني خالــدٌ في أســى وفي غــرامٍ شــابَ مــنهُ الولــيدْ
وميــتتي فــيك حــسينية ولي عــذولٌ فــوقَ مــا بي يــزيدْ

وقال

وصــاحبٍ قــدْ جاءَنــا مُهــدياً هديــةً حــثَّتْ علــى رَدِّهِ
مِــنْ بــندقٍ أفــرغَ مِــنْ رأسِــهِ ومَلْــبَنٍ أثخــنَ مِــنْ جلــدِهِ

وقال

قلــتُ إذا[1] غَــرَرْتَني يــا آنــساً عنِّــي نَفــرْ
فمــا أنــا أولُ مَــنْ قــدْ غــرَّهُ ضــوءُ القمــرْ
قــال انــصرفْ قلــت أمــا تعلــمُ أنَّ اسمــي عمــرْ
قــال أضــفناكَ انــصرفْ إلى الهمــومِ والــسهرْ

وقال

قالــوا بــدا الــشَّعرُ أمــا تــشعرُ قلــتُ مِــنَ الــواجبِ أنْ تعــذروا
بخــدِّهِ آيــاتُ حــسنٍ ومَــنْ إذا رأى الآيــاتِ لا يُبهــرُ
نــسختُها صــحَّتْ لقــرَّائِها ففــي حواشــيها لهــمْ أســطرُ
بــل نملُــهُ قــدْ رامَ مِــنْ ثغــرِهِ شــهداً وخــوفُ الــبرقِ لا يجــسرُ
أو خــدُّهُ مــرآةُ حُــسْنٍ يــرى أهدابَــهُ فــيها الــذي يَنظــرُ
أو هــو بحــرٌ مِــنْ حــياةٍ طمــا يُزجــى إلى ســاحله العنــبرُ
أبــيضُ الــوجه أحمــرُ الخَــدِّ قــدْ ســوَّدَ قلــبي قَــدُّهُ الأسمــرُ
مــنْ رامَ يجــني الــوردَ مــنْ خــدِّهِ فعقــربُ الــصدغِ لــهُ تنظــرُ

---

(١) في نسخة: قد قلت إذ.

لا تنكروا النفرةَ مِنْ مثلِهِ ... فأيُّ ظبيٍ وَيْكَ لا ينفرُ

وذكّرِ الغصنَ بحالي عسى ... يجبرُ قلبي بعدما يكسرُ

فالغصنُ عنْ والدِهِ الماءِ قدْ ... مالَ بقولِ الريحِ إذْ تعبرُ

وقال

يا مَنْ تولّى قاضياً ... هذا قضاءٌ أم قدرْ

عذرُكَ في نسياننا ... أنَّ القضا يُعمي البصرْ

وقال

الطرفُ ساهٍ ساهرٌ ... والدمعُ وافٍ وافرُ

فاجفُوا ولِينوا في الهوى ... فالقلبُ شاكٍ شاكرُ

واحلوا ومرّوا سادتي ... فالصبرُ قاصٍ قاصرُ

عُجْباً لدمعي سائلاً ... والحبُّ ناهٍ ناهرُ

أصبو بغيرِ تصبُّرٍ ... أفمثلُ صابٍ صابرُ

يا أهلَ بدرٍ فيكمُ ... وسنانُ عاطٍ عاطرُ

هوَ للكرى وعنِ الذي ... يهواهُ نافٍ نافرُ

ما في الملاحِ نظيرُهُ ... ريانُ باهٍ باهرُ

رشدي وغيي وجهُهُ ... فالوجهُ زاهٍ زاهرُ

مَهْ يا عذولي خلّني ... فاللومُ خاسٍ خاسرُ

وقال

إذا كنتَ ترجو ودادَ امرئٍ ... فلا تدعُوَنْ لهُ بارتقا

فإنَّ الصديقَ متى ما ارتقى ... تخلّى عنِ الأصدقا والتقى

وقال

إنّ يومَ الوصالِ يومٌ قصيرٌ ... لا تضيِّعيه جفوةً وعتابا

هندُ لا تكشفي عنِ الصفحِ ستراً ... لا ولا تفتحي إلى البحرِ بابا

وقال

واللّـــهِ لـــو صَـــدَّقتُ مـــا قالـــهُ   حاســـــدُنا لمْ أتأثـــــرْ بــــــهِ
فـــلا تـــصدِّقْ أنـــتَ مـــا قالـــهُ   أيـــضاً وخـــلِّ الـــنارَ في قلـــبهِ

وقال

مـــربعٌ مـــنْ أنـــسِ ســـلمى أوحـــشا   تـــرَكَ الـــداءَ دفيـــناً في الحـــشا
صـــبَّ دمـــعَ الـــصبِّ فـــيه عـــندما   عـــندما أنفـــذَ ربي مـــا يـــشا
إنْ يمـــلْ قلـــبي لعـــذلٍ لا لعـــاً   أو أطـــاعَ الـــسمعَ لـــوماً طرشـــا
يـــا لَـــسلمى أنـــتِ أولى مَـــنْ رعـــى   ودّيَ الأقـــدمَ مِـــنْ يـــومِ نـــشا
يـــا لَـــسلمى بـــأبي أنـــت وبي   أنـــتِ عـــندي الـــيومَ أحلى مَنْ مشى
يـــا لَـــسلمى ســـالميني واســـلمي   لا تطيعـــي واشـــياً فـــيما وشـــى
يـــا لَـــسلمى دهـــشتيَ فـــيكِ حجـــا   لا يعـــابُ الـــصبُّ مهمـــا دُهـــشا
مـــا لطـــرفي إن تَـــبَدَّيْتِ[2] بكـــى   ولكفـــيَّ ينـــتشي مرتعِـــشا
فاســـفري وجهَـــكِ إنْ لم تـــصلي   رؤيـــةُ المـــاءِ تـــزيلُ العطـــشا
إنَّ ســـلمى إنْ تـــزرني زورةً   وجـــدَتْ خـــدِّي لهـــا مفترَشـــا
أو أرادت بوصـــالٍ عِوضـــا   فأنـــا كُلِّـــي لهـــا بعـــضُ الرِشـــا
طلـــبَتْ مـــنِي لقتلـــي شـــاهداً   قلـــتُ عينـــيكِ كفـــى بالسيفِ شا[1]

وقال

كـــمْ حاســـدٍ لمْ يـــستبحْ حـــرمةً   مـــنكَ ولـــو مازحْـــتَهُ لاســـتباحْ
إيـــاكَ أن تمـــزحَ يـــوماً فمـــا   يهـــتّكُ الأســـتارَ إلا المـــزاحْ

---

(١) قوله: "كفى بالسيف شا" أي "شاهدًا"، وحذف باقي الكلمة للقافية وللعلم بها بدلالة السياق.

(٢) في نسخة أنت تبدين.

وقال

وحاسدٍ يُظهِرُ بينَ الورى نقصي ويستيقنُ مني الكمالْ
هذا عطاءُ اللهِ يا حاسدي مالكَ غضبانُ على ذي الجلالْ

وقال

باللهِ يا معشرَ أصحابي اغتنموا علمي[1] وآدابي
فالشيبُ قدْ حلَّ برأسي وقدْ أقسمَ لا يرحل إلاّ بي

وقال وقد زار قبر أخيه فوجد عليه شقائق النعمان

قالتْ شقائقُ قبرِه ولَرُبَّ أخرسَ ناطقُ
فارقتهُ ولزمتُهُ فأنا الشقيقُ الصادقَ

وقال هازلاً مع شخص يلقب بيضو

لئنْ طهَّرتَ ثوباً دونَ قلبٍ فطُهرُ الثوبِ دونَ القلبِ حَيْضُ
تكلُّ عن العلى لو صرتَ فرخاً وقرناصًا[2] فكيفَ وأنتَ بَيْضُ

وقال

للّهِ معشوقٌ خشى لثمي لهُ فالتثما
أشكو إليه ظمأي قالَ وما يشفي الظما
قلتُ لهُ ماءُ اللمى فقال لي ما آلما

وقال مضمنًا للمثل المشهور

رامتْ وصالي فقلتُ لي شغلٌ عَنْ كلِّ خودٍ تريدُ تلقاني
قالتْ كأنَّ الخدودَ كاسدةٌ قلتُ كثيراً لقلةِ القاني

---

(١) في نسخة: فضلي.

(٢) في مختار الصحاح: باز مقرنص أي مقتنى للاصطياد، وقد قرنصه أي اقتناه، فلعله أراد هنا بالقرناص: الباز، أو يكون لها معنى آخر.

وقال

كـــبدٌ معذَّبـــةٌ وقلـــبٌ خافـــقٌ ... وحـــشاشةٌ نـــضجَتْ ودمـــعٌ دافـــقُ

وعـــذولُ ســـوءٍ زادَ قلـــبي وجعـــةً ... مـــا ضـــرَّهُ لـــو أنـــهُ بيَ رافـــقُ

يـــا ســـيداً فـــتَنَ الـــورى بجمالـــه ... نومـــي لـــبُعْدكَ عَـــنْ جفـــوني طالقُ

قـــسماً بلـــيلةِ وصـــلِنا بِطُوَيْلـــعٍ ... إني إلى لمحـــاتِ وجهـــكَ شـــائقُ

لـــو قلـــتَ للعـــشاقِ موتـــوا لـــوعةً ... وصـــبابةً بـــانَ المحـــبُّ الـــصادقُ

وقال واهتدم البيتين الأخيرين

ســـرقْتُ مـــنها نظـــرةً فاستضحكتْ ... واســـتترتْ عـــني وســـدَّتْ طاقَهـــا

فـــرمْتُ مـــنها نظـــرةً ثانـــيةً ... فأســـبَلَتْ مِـــنْ دونِهـــا رواقَهـــا

كـــيفَ يطـــيقُ ســـاقُها خلخالَهـــا ... ونظـــرةُ الناظـــرِ تدمـــي ســـاقَها

يـــا هـــندُ لي نفـــسٌ بكـــم مـــشغولةٌ ... ســـياقُها إلى هـــواكم ســـاقَها

يقـــولُ مَـــنْ يقـــيسُ بلقـــيسَ بهـــا ... آمـــرةٌ ناهـــيةٌ عـــشَّاقَها

إني وجـــدتُ امـــرأةً تملكُهُـــمْ ... وأُوتـــيَتْ مِـــنْ كـــلِّ شـــيءٍ راقَهـــا

لـــو تعلـــمُ الـــوُرْقُ بحـــسنِ جـــيدِها ... لمـــزَّقتْ مـــنْ طـــربٍ أطـــواقَها

ولـــو يـــذوقُ عـــاذلي ريقـــتَها ... صـــبا معـــي لكـــنَّهُ مـــا ذاقَهـــا

وقال

وفي بغـــدادَ أقـــوامٌ كـــرامٌ ... ولكـــنْ بالـــسلامِ بـــلا طعـــامِ

فمـــا زادوا الـــصديقَ علـــى ســـلامٍ ... لهـــذا سُـــمِّيَتْ دارَ الـــسلامِ[١]

وقال

هـــمُ الخفـــراءُ[٢] كـــمْ[٣] عينٍ وقلبٍ ... رَمَـــوها بالغـــريقِ وبالحـــريقِ

تـــراهمْ جالـــسينَ علـــى طـــريقٍ ... وهـــمْ قـــومٌ علـــى غـــيرِ الطـــريقِ

---

(١) هذا من لطيف الهجاء عنده، وهو من حسن التعليل، وهو فن من فنون البديع سبق بيانه من قبل.

(٢) في نسخة: أسقطت الهمزة.

(٣) في نسخة: لهم.

وقال

شـتانَ يـابنَ فـلانٍ تعاسـي وسُـعودُكْ
أنـا يُـدَوِّدُ قَـزِّي وأنـتَ قـزَّزَ دودُكْ

وقال

يـا جامـعَ المـالِ كـيما تستريحُ بهِ مـا راحـةُ القلـبِ إلاّ للـصعاليكِ
فكـنْ فقـيرًا تعـشْ عيشَ الملوكِ ولا تكـنْ غنـياً تعـشْ عـيشَ المماليكِ

وكتب إلى القاضي جمال الدين يوسف بسرمين معاتبًا له على قصد الرحلة إلى دمشق

عـلامَ أردتَ هجـرني علامـا وتـوقظُ بالـنوى أهـلاً[1] نـياما
لعلـكَ يـا جلـيدَ القلـبِ تبغـي رحـيلاً يـورثُ الدمـعَ انـسجاما
وتتـركُنا بـلا رجـلٍ كـبيرٍ نـراجعُهُ إذا رُمْـنا مـراما
أتـترعَ آلـةَ التعـريف مـنا ومـا أعـني بها ألفًـا ولامـا
فهـلْ لاقـيتَ في حلـبٍ همـومًا فتـزمعَ عـنْ نواجـيها اهـتماما
ومـا بـرحَتْ إلى الـشهباءِ مـنا سـراةُ بـني[2] أبي بكـرٍ تـسامى
فـنالوا فـوقَ مـا يـرجونَ مـنها[3] ومـا ذمّـوا لهـا يـوماً ذمامـا
فـلا تأخـذْ دمـشقَ لهـا بـديلاً أغـيظاً ذاكَ مـنكَ أمِ انـتقاما
وإنْ تـكُ بالتفـرّقِ لا تـبالي فهـذا يمـنعُ العـينَ المـناما
وإنْ تـرحلْ لنـيلِ غـنى فَـسَهْلٌ غـناكَ هـنا إذا أمـسكتَ عامـا
وإنْ تـرحلْ تـريدُ تمـامَ جـاهٍ فمَـهْ إني أحـذرُكَ الـتماما
وإنْ تـرحلْ رجـاءً لاشـتهارٍ فكـمْ مـنْ شـهرةٍ توهـي العظامـا

---

(١) في نسخة: إبلاً.

(٢) في نسخة: في.

(٣) في نسخة: فيها.

وحسبُكَ شهرةً كرمٌ وعلمٌ ... سبقْتَ به الفرادى والتؤاما

أقمْ في الأهلِ في رغدٍ وطيبٍ ... بأمري واغتنمْ ذاكَ اغتناما

فللأهلِ الوفاءُ وإنْ سواهمْ ... وَفاكَ تضمُّناً غدَرَ التزاما

فليسَ يُزادُ في رزقِ حريصٍ ... ولو جابَ المهامةَ والإكاما

أتطعن تستفيد أخاً لئيماً ... وقدْ ضيَّعْتَ إخوتَكَ الكراما

إذا لَمْ ترضَ بالأهلينَ جاراً ... فقرِّبْ من خيامهم الخياما

ليأتيكَ المخبِّر عنْ قريبٍ ... وتنشقُ منْ مواطِنكَ الخزامى

ففرطُ البعدِ عن وطنٍ وأهلٍ ... حِمامٌ قبلَ أنْ تلقى الحِماما

فلا تسمعْ كلاماً منْ فلانٍ ... فلستَ بسامعٍ منهُ كلاما

ولا تجهلْ بجهلٍ منْ أناسٍ ... وإنْ همْ خاطبوكَ فقلْ سلاما

فكمْ منْ حاسدٍ في السرِّ يبكي ... ويظهرُ حينَ تلقاهُ ابتساما

وما كلُّ الرجالِ أخاً نصيحاً ... لصاحبِه وإنْ صلَّى وصاما

فلا صدقْتَ في قولٍ كذوباً ... ولا استأمنْتَ مَنْ أكلَ الحراما

ولا تُعظِمْ عدوّاً ماتَ غيظاً ... بشهرةِ فضلنا ورجا انهزاما

وكيفَ تقومُ إعظاماً لمَنْ لم[1] ... يُطلْ في خدمةِ العلمِ القياما

إقامتنا أشدُّ على الأعادي ... وأعظمُ في قلوبهمُ اضطراما

أبالإسكندرِ الملكِ اقتدينا ... فليسَ نطيلُ في أرضٍ مقاما

وإنكَ إنْ رحلتَ رحلتَ لكنْ ... تخلِّفُ[2] أهلَنا مثلَ اليتامى

كفانا فقدُ إخوتِنا ابتداءً ... فلا تجعلْ تشتّتنا الختاما

---

(١) سقطت "لم" من بعض النسخ.

(٢) في نسخة: نخلف.

وقال

إنْ كـنتُ أرضى ما أنـا فـيهِ فـدعْ أقاسـي ما أقاسـيهِ
وإنْ يكـنْ قلـبي مريـضاً بـهِ فاسـألُ اللهَ يعافـيهِ

وقال

خـصرُكَ يـا مَـنْ حـوى ببهجـتهِ محاسـنًا مـا اجـتمعنَ في عـبدِ
أضـعفُ مِـنْ حجَّـةِ الـروافضِ في دعـواهمُ أنَّ مـنهمُ المهـدي

وقال

مـا الـدارُ دارًا إن تغيـبوا وهـلْ للغمـدِ بعـدَ الـسيفِ مِـنْ قـدْرِ
إنْ قـبلَتْ مـنْ بعـدهم سـاكنًا فـلا سـقاها وابـلُ القطْـرِ

وقال

لا تقـصدِ القاضـي إذا أدبـرَتْ دنـياكَ واسـألْ(١) مِـنْ جـوادٍ كريمْ
كـيف تُرجّـي الـرزقَ مِـنْ عندِ مَنْ يُفـتي بـأنَّ الفلـسَ مـالٌ عظـيمْ

وقال مضمنًا من أبيات لأبي العلاء

لـئنْ كانـوا الـنجومَ فأنـتَ شمسٌ ولـولا الـشمسُ مـا حَـسُنَ النهارُ
جمالُـكَ غـارتِ الأبكـارُ مـنهُ وأضـحتْ لا يقـرُّ لهـا قـرارُ
فـإنْ باهَـتْكَ بالحَلْـيِ العـذارى فحـسبُكَ مـنه طـرفُكَ والعـذارُ
وأنـتَ الـسيفُ إنْ يعـدمْ حلـياً فلـمْ يُعـدم فـرندُكَ والغـرارُ
وربَّ مطـوَّقٍ بالتـبرِ(٣) يكـبو بفارسِـهِ وللـنقعِ(٢) اعـتكارُ
وزنـدٍ عاطـلٍ يحظـى بمـدحٍ ويُحـرَمُهُ الـذي فـيه الـسوارُ
وقالـوا خـدُّهُ مـاءٌ فقلـنا كـأنَّ المـاءَ مِـنْ دمِـهِ عقـارُ

---

(١) في نسخة: واطلب.

(٢) في نسخة: وللحرب.

(٣) في نسخة: بالدر.

وقال مضمنًا

واعجـــباً مـــنَ الغمـــامِ يبكـــي والـــروضُ مـــنْ بكائِـــهِ في ضـــحْكِ
ثمَّ الخـــلافُ بالـــوفاقِ[2] يحكـــي فـــارةَ مـــسكٍ ضـــمختْ في مسْكِ[1]

وقال

أرِحِ الـــنفسَ قلـــيلاً كـــمْ كـــذا قـــالاً وقـــيلا
إنَّ للألـــسنِ فـــيما ســـطّروا ســـبحاً طـــويلاً
مـــاتَ أهـــلُ العلـــمِ مـــالي لا أرى إلاّ جهـــولاً
أيهـــا الطالـــبُ صـــدقاً قـــدْ طلـــبْتَ المـــستحيلا
لمْ تجـــدْ إلا قـــؤولاً للتقـــى لـــيس فعـــولا
إنَّ أهـــلَ العـــصرِ عـــندي هكـــذا إلا قلـــيلا

وقال أيضًا مضمنًا

تعـــوَّدَ أخـــذَ الـــسحتِ حـــتى لوَانَّهُ أرادَ انقباضـــاً لم تطعْـــهُ أناملُـــهْ
ويـــسمحُ بالمـــالِ الحـــرامِ لـــسمعةٍ ودلَّـــتْ علـــى فعـــلِ الـــزناءِ[3] دلائلُهْ
ولـــوْ أنَّ مـــا في كفِّـــهِ غـــير جـــيفةٍ لَـــشَحَّ[4] بهـــا فليـــتقِ اللهَ ســـائلُهْ

وقال

طـــالَ ليلـــي ولي جفـــونٌ قـــصارٌ هـــنَّ في ربعكـــم جـــوارٍ وكـــنَّسْ
واعـــتقدتُ الـــصباحَ مـــاتَ ولـــو لمْ يكـــنِ الـــصبحُ ميِّـــتاً لتـــنفسْ[5]

---

(١) في نسخة: سك.

(٢) في نسخة: الوفاق بالخلاف.

(٣) في نسخة: الرياء.

(٤) في نسخة: لجاد.

(٥) في نسخة: مات كان تنفس لتنفس.

وقال

لستُ صخراً في حبيَ الخنساءَ فهْيَ تجني بوجنة حمراءَ
عاذلي غيرُ عادلٍ في هواها وإذا أحسنَ العذولُ[1] أساءَ
وجهُها البدرُ منْ[3] سحائبِ وشيٍ قدْ تجلَّى على الورى وأضاءَ
قصَّرَتْ بالقصورِ كالتركِ ألحاظاً وكالعُرْبِ خطرةً وذكاءَ
وكشمسِ الضحى ضياءً وكالظَّبْيِ قالتْ[2] وكالغصونِ انثناءَ
فإذا قلتُ هلْ أنالُ[4] وصالاً منكَ قالتْ ومنْ ينالُ السماءَ

وقال

أبصروا دمعي فخافوا قلتُ لا تخشَوا بكائي
ما عليكمْ منْ دموعي غيرُ أمطارِ السماءِ

وقال

نمتُ وإبليسُ أتى بحيلة منتدبهْ
فقالَ ما قولُكَ في حشيشةٍ منتخَبَهْ
فقلتُ لا قالَ ولا خمرةِ كرمٍ مُذْهَبَهْ
فقلتُ لا قال ولا أمردَ بالبدرِ اشتبَهْ
فقلتُ لا قال ولا مليحة مطيَّبَهْ
فقلتُ لا قال ولا آلةِ لهوٍ مطربَهْ
فقلتُ لا قال فنمْ ما أنتَ إلاَّ خَشَبَهْ[5]

---

(١) في نسخة: العدول.

(٢) في نسخة: نفارا.

(٣) في نسخة: في.

(٤) في نسخة: من ينال.

(٥) في نسخة: حطبة.

وقال

غَـبَطتُ مـسواكَ حِـبي ... فقـال إني مفـارِقْ
دعـني أعلـلُ قلـبي ... بـينَ العـذيبِ وبـارقْ

وقال

قولـوا لَمـنْ غيَّـرَهُ منـصبٌ ... مَـنْ أهمـلَ الأصحابَ عادوا[1] عدى
أمـا سـليمانُ علـى ملكِـهِ ... قـدْ قـالَ مـا لي لا أرى الهُدْهُـدا

وقال

قالـوا اعـتذرْ في التـسلّي ... فـوجهُهُ فـيهِ شـعرُ
لا مـا لعـذريَ وجْـهٌ ... ولا لـوجهِكَ عـذْرُ

وقال

ظُـنّوا بـربِّ العـرشِ مـا هـو أهلُهُ ... لا تقطعـوا لمخلّـطٍ بالـنارِ
أنـا في يقـيني أنَّ لي مِـنْ حـرِّها ... حـصناً يقـيني وهْـوَ عفْـوُ الـباري

وقال

وكـنتُ إذا رأيـتُ ولـو عجـوراً ... يـبادرُ بالقـيامِ علـى الحـرارةْ
فأصـبحَ لا يقـومُ لـبدرِ تمٍّ ... كـأنَّ الـنَّحسَ قـدْ وليَ الـوزارةْ

وقال

وأسـرقُ مـا اسـتطعتُ مـنَ المعاني ... فـإنْ فقـتُ القـديمَ حمـدْتُ سيري
وإنْ سـاويتُ مَـنْ قبلـي فحـسبي ... مـساواةُ القـديمِ وذا لخـيري
وإنْ كـانَ القـديمُ أتمّ معـنى ... فـذلكَ مبلغـي ومطـارُ طـيري
وإنَّ الـدرهمَ المـضروبَ باسمـي ... أحـبُّ إليَّ مِـنْ دينـارِ غـيري

---

(١) في نسخة: صاروا.

وقال

هــــذا الـــيهوديُّ الطبـــيبُ الـــذي ... لا طـــــوَّلَ اللهُ لــــنا عمـــــرَهُ
قـــــدْ أخـــــذَ الـــثأرَ لآبائـــــه ... يــــا قومَـــنا لا تمهلـــوا أمـــرَهُ
تخـــافُ عـــينُ الـــشمسِ مِـــنْ كحلِه ... قائلـــــةً ربِّ اكفـــــني شـــرَّهُ
والخـضرُ قـدْ كـادَ يخـافُ الردى ... مـــنهُ وأن يـــسكنَهُ قـــبرَهُ
أيُّ مـــــريضٍ طـــــبَّهُ طمَّـــــهُ ... وأيُّ طـــــرْفٍ ذرَّهُ ضـــــرَّهُ

وقال

بايـــعْ وتابـــعْ وأطـــعْ واصـــغِ لهـــمْ ... وخلِّهـــم في حلِّهـــمْ ونَقْـــضِهِمْ
ودارِهِـــمْ في دارِهِـــمْ وحـــيِّهم ... في حـــيِّهم وأَرْضِـــهم في أرضِـــهِمْ[١]

وقال

قلـــتُ لـــنحويٍّ إذا عُرِّضـــا ... لـــهُ بأوقـــاتِ[٢] الرضـــى أعرضـــا
يــا حــيثُ لــوْ أصبحَ بابُ الرضى ... كــيفَ لمــا كــنتُ[٣] كــأمسِ مضى

وقال

ســـيِّدي حـــبُّكَ فـــرضٌ ... كـــلُّ حـــبٍّ مـــنهُ بعـــضُ
أنـــتَ بـــدرٌ في سمـــاءٍ ... وخُدَيـــدي لـــكَ أرضُ

وقال يرثي العلامة تقي الدين أحمد بن تيمية وتوفي مسجونًا بقلعة دمشق في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة[٤]

عـــثا في عرضِـــهِ قـــومٌ ســـلاطٌ ... لهـــمْ مـــنْ نثـــرِ جوهـــرِهِ الـــتقاطُ
تقـــيُّ الـــدينِ أحمـــدُ خـــيرُ حَبْـــرٍ ... خُـــروقُ المعـــضلاتِ[٥] بـــهِ تُخـــاطُ

---

(١) هذا من بديع الجناس لديه، وهو جناس تام بديع غير متكلف.

(٢) في نسخة: بإعراب.

(٣) في نسخة: صرت.

(٤) وهذه القصيدة من بدائع مرثياته وتدل على حسن اعتقاده ومحبته لأهل السنة والاتباع.

(٥) في نسخة: المفصلات، وهو خطأ.

تـــوفي وهْـــوَ محـــبوسٌ فـــريدٌ   ولـــيسَ لـــهُ إلى الدنـــيا انبـــساطُ
ولـــو حـــضروهُ حـــينَ قـــضى لألفَوا   ملائكــــةَ النعـــيمِ بـــه أحاطـــوا
قـــضى نحـــباً ولـــيسَ لـــهُ قـــرينٌ   ولا لـــــنظيرِه لُـــــفَّ القمـــــاطُ
فـــريداً في نـــدى كـــفٌ وعلـــمٍ   وحـــلُّ المـــشكلاتِ بـــه يُـــناطُ
وكـــانَ إلى التقـــى يدعـــو الـــبرايا   وينهـــى فـــرقةً فـــسقوا ولاطـــوا
وكـــانَ يخـــافُ إبلـــيسٌ سـطاهُ   بـــوعظٍ للقلـــوبِ هـــوَ الـــسياطُ
فـــيا للهِ مـــاذا ضـــمَّ لحـــدٌ   ويـــا للهِ مـــا غطَّـــى البـــساطُ[1]
هُـــمْ حـــسدوهُ لمـــا لم يـــنالوا   مناقـــبَهُ فقـــد مكـــروا وشـــاطوا
وكانـــوا عـــن طـــرائقهِ كـــسالى   ولكـــنْ في أذاهُ لهـــم نـــشاطُ
وحـــبسُ الـــدرِّ في الأصـــدافِ فخـــرٌ   وعـــندَ الـــشيخِ بالـــسجنِ اغتـــباطُ
بـــآلِ الهاشمـــيّ لـــهُ اقـــتداءٌ   فقـــد ذاقـــوا المـــنونَ ولمْ يواطُـــوا
بـــنو تيمـــيَّةٍ كانـــوا فـــباتوا[2]   نجـــومَ العلـــمِ أدركهـــا انهـــباطُ
ولكـــنْ يـــا ندامـــةَ حاســـديهِ   فـــشكُّ الـــشركِ كـــانَ بـــه يُمـــاطُ
ويـــا فـــرحَ الـــيهودِ بمـــا فعلـــتم   فـــإنَّ الـــضدَّ يعجـــبُهُ الخـــباطُ
ألَمْ يـــكُ فـــيكمُ رجـــلٌ رشـــيدٌ   يـــرى ســـجنَ الإمـــامِ فيُستـــشاطُ
إمـــامٌ لا ولايـــةَ كـــانَ يـــرجو   ولا وقـــفٌ علـــيهِ ولا ربـــاطُ
ولا جـــاراكمُ في كـــسبِ مـــالٍ   ولم يُعْهَـــد لـــهُ بكـــمُ اختـــلاطُ
ففـــيمَ ســـجنتموهُ وغظْـــتموهُ   أمـــا لجـــزا أذيَّـــتِه اشـــتراطُ
وســـجنُ الـــشيخِ لا يرضـــاهُ مثلـــي   ففـــيهِ لقـــدرِ مـــثلكمُ انحطـــاطُ
أمـــا واللهِ لـــولا كـــتمُ ســـرّي   وخـــوفُ الـــشرِّ لانحـــلَّ الـــرباطُ

---

(١) في نسخة: البلاط.

(٢) في نسخة: فبانو.

وكـــنتُ أقـــولُ مـــا عـــندي ولكـــنْ بأهـــلِ العلـــمِ مـــا حَـــسُنَ اشـــتطاطُ
فمـــا أحـــدٌ إلى الإنـــصافِ يدعـــو وكـــلٌّ في هـــواهُ لـــهُ انخـــراطُ
ســـيظهرُ قـــصدُكم يـــا حابـــسيهِ[1] ونيـــتُكُمْ إذا نُـــصِبَ الـــصِّراطُ
فهـــا هـــو مـــاتَ عـــندكمُ استرحتمْ فعاطـــوا مـــا أردتم أنْ تعاطـــوا
وحُلُّـــوا واعقـــدوا مـــنْ غـــيرِ ردٍّ علـــيكمْ وانطـــوى ذاكَ البـــساطُ

وقال

يقـــبِّلُ الأرضَ مـــشوقاً قـــائلاً ومـــستكنُّ الحـــبِّ مـــنْهُ ظاهـــرُ
يـــا جـــيرةً حمـــى حمـــاةَ اســـتوطنوا طـــرفي إلـــيكم حـــيثُ كنـــتمْ ناظـــرُ
أعجَـــزُ عـــنْ وصـــفي ضميري لكُم[2] إذْ لَمْ يُعجَـــزْ أَنَّ توصـــفَ الـــضمائرُ

وقال

غنّـــى لـــنا يـــومَ حـــرٌّ فمـــاتَ بـــرداً رفاقـــي
يـــا ليتـــنا في حجـــازٍ إذا شـــدا في عـــراقِ

وقال

لا تـــصحبنَّ أعـــوَرا وإنْ تناهـــى زيـــنُهُ
لـــوْ كـــانَ فـــيهِ راحـــةٌ مـــا فارقـــتْهُ عيـــنُهُ

---

(١) في نسخة: حاسديه.

(٢) في نسخة: ثلاثة أبيات مختلفة الكلمات والقافية وهي:

يقـــبل الأرض مـــشتاق يحـــاول أن يـــزوركم وصـــروف الدهـــر تمـــنعه
لـــه ابتـــسام لكـــون القلـــب عندكم لكـــن تـــسيل لـــبعد الجـــسم أدمعـــه
وكلمـــا سمـــع المملـــوك أنكـــم في نعمـــة فهـــو يرضـــيه ويقـــنعه

وقال مضمنًا

إذا نظـرَ الـسحرُ[1] العـوالي بطـرفه ... تقـول كـأنَّ الـسيفَ للـرمحِ شاتمُ

عـزائمُ سـحرٍ في أولي العـزمِ طـرفُهُ ... علـى قـدْرِ أهـلِ العـزمِ تأتي العزائمُ

نقاسـي عظيماً في الهوى وهْو ضاحكٌ ... وتـصغُرُ في عـينِ العظـيمِ العظـائمُ

فَـسَلْ عَـنْ دمي فيهِ وعن فيضِ أدمعي ... لـتعلمَ أيَّ الـساقينَ الغمـائمُ

لـئنْ شَـبَهَ العـشاقُ خدَّيْـهِ جـنَّةً ... فمـوجُ المـنايا حـولَهُ مـتلاطِمُ

وقال

يقـولُ بـدرٌ طالـعٌ ... في لـيلِ شِـعرٍ حالـكِ

أنـا إمامـي مالـكٌ ... فقلـتُ أنـتَ مالكـي

وقال

يـا جامـعَ الحـسْنِ أمـا ... لـصدِّكَ الدهـرَ[2] أمـد

لِي فـيكَ دمـعٌ مـا رقـا ... يـوماً وطـرفٌ مـا رقـدْ

جمالُـكَ[3] الزاهـي الـسنا ... حديـثُهُ العـالي الـسند

سـهماً إلى قلـبي رمـى ... طـرفُكَ لا ذاقَ رمَـدْ

ومَـنْ رأى شـعراً سـجا ... مـنكَ فللـهِ سـجدْ

خـدُّكَ بالمـاءِ اتقـى ... لـولاهُ بالـنارِ اتقـدْ

سـبحانَ ربٌّ قـدْ بـرى ... ثغـرَكَ أصـفى مِـن بَـرَدْ

مُـضْناكَ كـم قاسـى وجـى ... فـيكَ وكـمْ وجـدٍ وجـدْ

عـشقي قـديمٌ قـدْ طـرا ... علـيهِ مـا نومـي طـرَدْ

لـيسَ لأشـواقي مـدى ... ولا لـسلواني مـدَدْ

---

(١) في نسخة: السمر.

(٢) في نسخة: الوقف.

(٣) في نسخة: خيالك.

مِـــنْ طـــرفه ســـيفاً نـــضا ... مِـــنْ ثغـــرِهِ داراً[1] نـــضَدْ

مـــا ذاقَ ذو وجـــدٍ كمـــا ... قـــدْ ذقـــتُ فـــيهِ مِـــنْ كمـــدْ

يـــا عـــذَّلي أنـــتمْ عـــدى ... وللملمّـــاتِ عـــددْ

لأنـــني كـــلُّ الفـــنا ... ألقـــاهُ[2] مـــنْ بعـــضِ الفـــندْ

ونقـــضُ ميـــثاقِ خـــلا ... ومـــا بقـــيْ عـــندي خلـــدْ[3]

مَـــنْ فـــاقَ ظبـــياً ومهـــا ... أوضـــحَ عـــذري ومهـــدْ

تـــصبُّري عـــنهُ جـــلا ... ومـــا بقـــيْ عـــندي جلَـــدْ

يـــصغي لعـــذلِ مَـــنْ دعـــا[4] ... ومَـــنْ بـــسلوانٍ وعـــدْ

بالـــصدقِ مـــنهُ[5] والـــولا ... أُنـــسيت أهلـــي والـــولدْ

نحلـــتُ مِـــنْ فـــرطِ الأســـى ... فـــيهِ ولـــوْ أنـــني الأســـدْ

وقال

قـــدْ مـــاتَ شـــيخي فاظهـــروا ... بحـــربِهِ أو[6] ســـلْمِهِ

عيـــشوا بجهـــلٍ بعـــدَهُ ... هـــا[7] قـــد قـــضى بعلمِـــهِ

وقال

مـــا الأغنـــياءُ الأغبـــيا حجـــةٌ ... وإنْ هُـــم عـــنْ حبـــنا مالـــوا

نرضـــى بمـــا يقـــسمُهُ ربُّـــنا ... لـــنا علـــومٌ ولهـــم مـــالُ

---

(١) في نسخة: درا.

(٢) في نسخة: ألفاه.

(٣) في نسخة: جلد.

(٤) في نسخة: وعى.

(٥) في نسخة: فيه.

(٦) في نسخة: و.

(٧) في نسخة: فـــ.

وقال مضمنا وسماها تحفة الأحباب من ملحة الإعراب[1]

يا سائلي عن الكلام المنتظمْ … ذاكَ كلامُ مَنْ هويتُ لا عُدِمْ

فكلُّ ما يقولُ فيهِ العذَّل … فإنَّهُ منكَّرٌ يا رجلُ

في صدغهِ للحسْنِ آياتٌ تُخَطّ … وقال قومٌ إنما اللامُ فقطْ

رمَّانُهُ غضٌّ فلا يمشي فرطْ … إذْ ألفُ الوصلِ متى يدرجْ سقطْ

بسيفِ جفنيه[2] قتلتُ نفسي … فإنَّهُ ماضٍ بغيرِ لبْسِ

فينا غزالٌ إنْ أبيت ما اعتدى … فأسقطِ الحرفَ الأخيرَ أبدا

قلْ لمذكرٍ لحا خلٌّ الفندْ … واسعَ إلى الخيراتِ لُقِّيتَ الرشدْ

وإنْ يكنْ عذلُكَ منْ مؤنثِ … فقلْ لها خافي رجالَ العبثِ

يا خصرَهُ منْ ردفِهِ فزْ بالمنحْ … ولا تُبَلْ أخفَّ وزناً أمْ رجحْ

قوامُهُ أشبهُ شيءٍ بالألفْ … كمثلِ ما تكتبُهُ لا يختلفْ

لما شكوتُ صدَّهُ رثى لي … وأقبلَ الغلامُ كالغزالِ

أسنانُهُ كاللؤلؤِ المفتنِّ … منَ المفاريدِ لجبرِ الوهنِ

قبلَ ازديادِ لامِهِ أكابدُهْ … ثمَّ أتى بعدَ التناهي زائدُهْ

ما مثلُهُ في الحسنِ والذكاءِ … عندَ جميعِ العربِ العرباءِ

اعجبْ لنونِ حاجبيهِ تنصرُ … والنونُ في كلِّ مثنى تكسرُ

إذا رأيتَ وجههُ فكبِّرا … معظماً لقدرِهِ مكبِّرا

خوَّفَ فيه بالأمير العاذلُ … والصلحُ خيرٌ والأميرُ عادلُ

سؤالُهُ عني حياةٌ تسعفُ … ومثلُهُ كيفَ المريضُ المدنفُ

الخدُّ والقوامُ منهُ فاعلُ … نحو جرى الماءُ وجارَ العاملُ

واقضِ قضاءً لا يُرَدُّ قائلُهُ … بأنَّ منْ يهوى فتى يواصلُهْ

---

(١) هذه المنظومة كلها تورية بمصطلحات علمي النحو والصرف.

(٢) في نسخة: جفنه.

أفعالُـــــهُ تكـــــسرني ذا عجـــــبُ   وكـــــلُّ فعـــــلٍ مـــــتعدٌ ينـــــصبُ

يـــا مـــنْ رأى مـــنهُ جبيـــناً واضـــحًا   تقـــولُ[1] قـــدْ خلـــتُ الهـــلالَ لائحا

فغـــضَّ مِـــنْ طـــرفِكَ وانـــجُ رابحـــاً   وقـــدْ وجـــدتُ المستـــشارَ ناصـــحاً

ابـــدأ بذكـــرِ حاجـــبينِ حُـــسّنا   وإنْ ذكـــرتَ فـــاعلاً مـــنونا

فالطـــرفُ ســـيفٌ قتْلَـــنا تـــضمَّنا   فهْـــوَ كمـــا لـــو كـــانَ فعـــلاً بيِّـــنا

كـــنْ فـــيهِ بالعفـــافِ مـــرفوعَ الرتبْ   واضربْ أشدَّ الضربِ مَنْ يغشى الريبْ

فعـــاذري ســـقياً لـــهُ ورعـــياً   وعـــاذلي جـــدعاً لـــهُ وكـــيّا

أوهمـــتُهُ برشْـــفِ ريـــقِ الثغـــرِ   وغـــصتُ في البحـــرِ ابـــتغاءَ الـــدرِّ

وإنْ أقمـــتَ الـــواوَ في الكـــلامِ   مِـــنْ صـــدغهِ نابـــتْ مـــنابَ الـــلاّمِ

في قـــدِّه مـــا هـــوَ في الأغـــصانِ   علـــى اخـــتلافِ الوضـــعِ والمـــباني

إذا لمـــستَ خـــدَّهُ[3] والـــنهدا   تقـــولُ عـــندي مَـــنَوان زُبـــدا

إنْ تـــرهُ بـــينَ ذويـــهِ في الحمـــى   فانـــصبْ وقلْ كمْ كوكباً تحوي السما

أصـــبحتُ مـــنهُ في ارتقـــابِ الوصـــلِ   والـــزرعِ تلقـــاءَ الحـــيا المـــنهلِّ

مـــا للـــصبا يـــا جـــسمَ ذياكَ الصبي   وقـــيمةُ الفـــضَّةِ دونَ الـــذهبِ

مَـــنْ تلقَـــهُ إلى ســـواهُ صـــابي   فأوِّلْـــهُ الإبـــدالَ في الإعـــرابِ

قلـــبُ الـــذي يحـــبُّ لـــيسَ يـــبغضُ   وإنْ بـــدا بيـــنها معتـــرضُ

إذا رأيـــتَ عـــنقَهُ الطـــويلا   وشـــعرَهُ مِـــنْ فـــوقهِ محلـــولا[2]

تقـــولُ مـــا أنقـــى بـــياضَ العـــاجِ   ومـــا أشـــدَّ ظلمـــةَ الدّياجـــي

بطـــرفهِ في العاشـــقينَ سُـــلِّطا   ومـــا أحـــدَّ ســـيفه حـــينَ ســـطا

حاشـــاهُ مِـــنْ عـــيبٍ ومِـــنْ نقصانِ   أو عاهـــةٍ تحـــدثُ في الأبـــدانِ

(١) في نسخة: يقول.

(٢) في نسخة: مسبولا.

(٣) في نسخة: نهده.

لا تطلبوا لحسنه مضاهي[٢] ... اللّهَ اللّهَ عبادَ اللّه

ليسَ قفاءُ عاذلي العسوف ... إلاّ معَ المجرورِ والظّروف

يا قائلاً كانَ مليحاً وانفصلْ ... كانَ وما انفكَّ الفتى ولمْ يزلْ

أبدتْ لهمْ وجنتُهُ ضِراما ... كما[١] تَلَوا يا حسرةً على ما

عذارهُ الرقيمُ كهفُ لثمه ... فلا تغيِّرْ ما بقي عن رسمِه

تقولُ فيهِ خضرةٌ يسيرهْ ... كما تقولُ نارُهُ منيرَهْ

دينارُ وجههِ بهِ شحّتُ ... وكمْ دُنَيْنيرٍ بهِ سمحتُ

إني إلى العفافِ منهُ[٤] شيِّق ... وكلُّ لهوٍ دنيويٌّ موبقُ

إنْ يتبسمْ لي ضوّأ[٥] الحجونا ... وأقبلَ الحجاجُ أجمعونا

يا ليتهُ يعطفُ بالوصال ... والعطفُ قدْ يدخلُ في الأفعالِ

لا ما حلا لي في هواهُ العذّلُ ... لشبهِه الفعلَ الذي يستثقلُ

قلبي وعيني عن سناهُ لا يردْ ... إذْ ما رأى صرفَهما قطُّ أحدْ

ألفاظهُ عقودُ درٍّ منتقدْ ... وإن نطقتَ بالعقودِ في العددْ

يا صاحِ لا تدمِ الفؤادَ بالدما ... وعاصِ أسبابَ الهوى لتسلَما

ولا تمارِ عاشقاً فتتعبا ... وما عليكَ عَتَبُهُ[٣] فتُعتَبا

ولا تزدني بالملامِ ضررا ... ولا تحاضرْ وتسيءَ المحضرا

إنْ قلتَ رشفُ ريقهِ ما حُلّلا ... تقلْ بلا علمٍ ولا تحسُ الطلا

أقسمتُ لا ألومُ في العشقِ أحدْ ... ومنْ يودَّ فليواصلْ مَنْ يوَدْ

خذْ أدواتِ الحسنِ عنهُ منصتا ... واحفظْ جميعَ الأدواتِ يا فتى

---

(١) في نسخة: حتى.

(٢) في نسخة: مباهي.

(٣) في نسخة: غيه.

(٤) في نسخة: إليه بالعفاف.

(٥) تبسم لي ثم فعل غير.

عيــــناهُ أفــــنتْ أكثــــرَ العـــــشاقِ وهكـــــــذا تـــــصنعُ في البواقــــــي

في ثغــــــرِهِ جواهــــــرٌ غـــــوالي جلــــــوتُها مــــــنظومةَ الــــــلآلي

قلـــــبي الــــذي يــــسكنُ للتنائـــــي كـــــأمسِ في الكــــسرِ والبــــــناء[1]

بلـــــــبالُهُ مخلَّـــــــدٌ في بـــــــالي فمــــــا لــــــهُ مغيِّــــرٌ بحــــــالِ

صـــــوتُهُ كالــــبدرِ فـــــوقَ الغــــصنِ فانظــــرْ إلـــــيها نظـــــرَ المستحـــسنِ

وخـــــلِّ عــــني يـــــا عــــذولُ العـــذلا وإنْ تجـــــدْ عيــــــباً فـــــسدَّ الخلـــــلا

فقــــــد[3] رثـــــى لي وألانَ القــــولا والحمـــــــدُ للهِ علــــــى مـــــا أولى

فـــــديتُ لـــــونَ خـــــدِّهِ مـــــن خـــــدٍّ كـــــان حريــــــرياً فـــــصارَ وردي[2]

وقال نظمًا وإذا عكس كلمة كلمة فهو نثر من أوله إلى آخره

ســــــــعده دائـــــــم مقـــــــيم ضـــــــده مكمـــــــد ســـــــقيم

مـــــــثله لـــــــيس للـــــــورى فـــــــضله كامـــــــل عمـــــــيم

للمهمـــــــــات مرتجــــــــى للعطـــــــــيات مــــــــستديم

حفظـــــــه الـــــــدين شــــــامل لفظـــــــه رق كالنـــــــسيم

حقـــــــه الآن واجـــــــب خلقـــــــه بينـــــــنا عظـــــــيم

باســـــــم عــــــاذر رضــــــى راحـــــــم محـــــــسن علـــــــيم

حكمـــــــه الحـــــــق ظاهـــــــر حلمـــــــه وافـــــــر رحـــــــيم

علمـــــــه طـــــــم بحـــــــره فهمـــــــه جـــــــيد قـــــــويم

عـــــــبده مخلـــــــصًا دعـــــــا رفـــــــده عـــــــندنا قـــــــديم

للمحـــــــبين محـــــــسن للمـــــــوالين مـــــــستقيم

---

(١) في نسخة: وفي البناء.

(٢) هذا البيت غير موجود في بعض النسخ.

(٣) في نسخة: حُبي.

وقال

إنْ يطـــشْ بعـــضُ كلامـــي ... إنَّ فــــضلي لا يطـــــيشُ
ربَّ طـــيشٍ كـــانَ قـــصداً ... وبـــه الـــشخصُ[1] يعـــيشُ
لا يــــتمُّ الــــسهمُ إلاّ ... ولـــهُ نـــصلٌ وريـــشُ

وقال

أنكـرتْ شـيبي فـصدتْ ونـأتْ ... قلـتُ إنَّ المـالَ للـمشيبِ دوا
قالـتِ اسـكتْ إنمـا الـشيبُ عمى ... فبـياضُ العـينِ والـشيبُ[2] سـوا

وقال

سَـلِ اللّـهَ ربَّـكَ مـنْ فـضلِهِ ... إذا عرضَـتْ حاجـةٌ مقلقـهْ
ولا تـسألِ التـركَ في حاجـةٍ ... فأعيـنهمْ أعـينٌ ضـيِّقهْ

وقال

فــلانُ فــظٌّ غلــيظٌ ... إلــيكَ عــنهُ إلــيكا
لــئنْ قــضيتَ علــيهِ ... ليقــضيَنَّ علــيكا

وقال

...[3]خطُّــهُ ضــعيفٌ ... لكــنَّ مقــدارَهُ مــبجَّلْ
كالـشمسِ مـا حـطَّ مِـنْ عُلاهـا ... قميـصُها الـواهِنُ المهلـهلْ

وقال

لا تحرصــنَّ علــى فــضلٍ ولا أدبٍ ... فقـدْ يـضرُّ الفـتى علـمٌ وتحقـيقُ
ولا تعـدَّ مـنَ العقّـالِ بيـنهمُ ... فـإنَّ كـلَّ قلـيلِ العقـلِ مـرزوقُ
والحـظُّ أنفـعُ مـنْ حـظٍّ[4] تزوقُهُ ... فمـا يفـيدُ قلـيلَ الحـظِّ تـزويقُ

---

(١) في نسخة: المرء.

(٢) في نسخة: الشعر والعين.

(٣) في نسخة: كتابنا.

(٤) في نسخة: خط.

والعلمُ يحسبُ مِنْ رزقِ الفتى ولهُ ... بكلِّ متَّسعٍ في الفضلِ تضييقُ

أهلُ الفضائلِ والآدابِ قدْ كسدوا ... والجاهلونَ فقدْ قامتْ لهمْ سوقُ

والناسُ أعداءُ مَنْ سارتْ فضائلُهُ ... فإنْ[١] تعمَّقَ قالوا عنهُ زنديقُ

وقال

أنتَ ظبييْ أنتَ مسكي ... أنتَ درّي أنتَ غصني

في التفاتٍ وثناء ... وثنايا وتثني

وقال

الشيبُ سوطُ عذاب ... هامَ النساءُ بقذفهْ

يكفي مشيبَ عيباً ... أني رضيتُ بنتفهْ

وقال

مَنْ كانَ مردوداً بعيبٍ فقدْ ... ردتنيَ الغيدُ بعيبينِ[٢]

الرأسُ واللحيةُ شاباً معاً ... عاقبني الدهر بشيبينِ

وقال مقتبساً من الحديث

يا شاكياً من حزنهِ ... وباكياً منْ كربهِ

لا راحةٌ لمؤمنٍ ... دونَ لقاءِ ربِّهِ

وسمع هذين البيتين

أكثرُ وطءِ الناسِ مِنْ شُبْهةٍ ... أو مِنْ زنا والحلُّ فيهم قليلْ

فابنُ حلالٍ نادرٌ نادرٌ ... والنادرُ النادرُ كالمستحيلْ

فقال

ألا قلْ لسيدنا الشاعرِ ... ولا تخشَ منْ طبعهِ النافرِ

أمن شبهةٍ أنتَ أم من زنا ... فما أنتَ بالنادرِ النادرِ

---

(١) في نسخة: وإن.

(٢) في نسخة: بشيئين.

وقال

لا تفـــــــــرحوا بحقــــــــير ... يـــــــصيرُ فـــــيكم مهيــــبا

فــــالفحمُ يبقـــــى زمانـــــا ... والجمـــــرُ يفـــــنى قـــريبا

وقال

أشـــكو إلى اللّــــهِ زمــــاني الـــذي ... صـــرتُ إلـــيهِ وتحيَّـــرتُ فـــيهْ

أيُّ امـــرئٍ جـــربتُ أهلـــه[1] ... يظهـــرُ مـــنهُ كـــلُّ أمـــرٍ كـــريهْ

كـــم حاســدٍ كــم ماردٍ كم عِدى ... كـــم عائـــب كـــم مبغضٍ كم سفيهْ

فلـــيفعلِ الحاســـدُ في دهـــرِهِ ... مـــا شـــاءَ لا بـــدَّ وأنْ يلتقـــيهْ

مـــا بـــينَ أعدائـــي وبـــيني ســوى ... أنَّ بهـــم جهـــلاً وأني فقـــيهْ

وقال تورية

أتظـــنني أنـــسى لـــذاذاتِ الـــصِّبا ... لا أمَّ لي إنْ كـــــانَ ذاكَ ولا أبُ

إنْ كـــانَ عمـــري مـــا تقـــضَّى كله ... فقـــد انقـــضى مـــنهُ الكـــثيرُ الطيبُ

وقال في الباب وبزاعا

إنَّ وادي الـــبابِ قـــدْ أذْكـــرني ... جـــنَّةَ المـــأوى فللـــهِ العجـــبْ

فـــيه دوحٌ تحجـــبُ الـــشمسَ إذا ... مـــالَ قـــالَ للـــصَبا جـــزْ بـــأدبْ

فهْـــي تغـــوي[3] عـــذبَ الـــبانِ أمـــا ... تعـــذبُ الغـــيَّ كمـــا تغوي[2] العذبْ

طيرُهــــا[4] معـــــربةٌ في لحـــــنها ... تطـــربُ الحـــيَّ كمـــا تحيـــي الطربْ

مـــرجُهُ مبتـــسمٌ ممـــا بَكَـــتْ ... سُـــحُبٌ في ذيلـــها الطـــيبُ انسحبْ

فـــيهِ روضـــاتٌ أنـــا صـــبٌّ بهـــا ... مـــثلما أصـــبحَ فـــيها المـــاءُ صـــبْ

نهـــرُهُ إنْ قابـــلَ الـــشمسَ تـــرى ... فـــضةً بيـــضاءَ في نهـــرِ ذهـــبْ

---

(١) في نسخة: من أهله.

(٢) في نسخة: تغري.

(٣) في نسخة: تغري.

(٤) في نسخة: طيرها.

وقال

لـمــا رأى الزهــرُ الــشقيقَ انــثنى ... منهــزماً لم يــستطعْ لمحــهُ

قلــنا علــى رســلِكَ قــال اسـكتوا ... جــاءَ شــقيقٌ عارضــاً رمحَــهُ

وقال

لـمــا شَـــتَّتْ عــيني ولمْ ... تــرفقْ لــتوديعِ الفــتى

أدنيــتُها مِــنْ خــدِّهِ ... والــنارُ فاكهــةُ الــشتا

وقال

خــشيتُ علــى حبــيبِ القلــبِ لما ... أتــى حمامَــهُ ونــضى الثــيابا

فــشمسٌ وجهُــهُ والجــسمُ زبــدٌ ... إذا طلعَــتْ علــيهِ الــشمسُ ذابــا

وقال

مــنْ يــبعْ ذاتَ جمــالٍ ... كــانَ لا يــصبرُ عــنها

فــدواءُ الــصبِّ عــندي ... مُــشترى أحــسنَ مــنها

وقال

إن انقطعــنا فالعــتابُ[1] الثقــيلْ ... وإنْ حــضرنا فالحجــابُ الطــويلْ

وإنْ دخلــنا فالــودادُ القلــيلْ ... واللهِ قَــدْ حِــرنا فــصبرٌ جمــيلْ

وقال

منعــشةً للكلــفِ الهالــكِ ... ضــممتُها عــند اللقــا ضــمةً

هــذا الــشذا قلــتُ بأذيالــكِ ... قالــتْ تمــسكتَ وإلا فمــا

وقال

يــا معــشرَ الأصــحابِ إني امــرؤٌ ... تــسرُّني[2] رفعــةُ أصــحابي

لا بــدَّ لي مِــنْ حاجــةٍ فلــتكنْ ... إلى صــديقٍ فَهْــوَ أَوْلَــى بي

---

(١) في نسخة: فالعذاب.

(٢) في نسخة: يسرني.

وقال

شكا مِنَ الخطِّ ضعفاً ... وذاكَ منهُ دلالُ

قلتُ اشتغل بمِثالٍ ... فقالَ مالي مثالُ

وقال

مَنْ قالَ بالمُردِ فإني امرؤٌ ... ما لي إلى المُردانِ مِنْ شَوْفِ[1]

مَنْ كانَ فيهِمْ بالخنا ناظراً ... أو عاملاً فالمرءُ مُستَوْفِ[2]

وقال

أحلَّ الضيوفَ على سطحه ... وفرَّجهم في نجومِ السما

وقطَّعَ بالجوعِ أكبادَهم ... وإنْ يستغيثوا يغاثوا بما

وقال

وأغيد يسألني ... ما المبتدا والخبرُ

مثّلْهما لي مسرعاً ... فقلتُ أنتَ القمرُ

وقال

يا دارُ كمْ حلَّكِ أقمارُ ... فأينَ سكانُكِ يا دارُ

أهلُكِ إنْ حلّوا وإنْ ساروا ... همْ جنَّةُ الفردوسُ والنارُ

فرَّقَنا الدهرُ وقدْ كانَ لي ... في الدارِ أوطانٌ وأوطارُ

فمدمعي مِنْ حين فارقتُهُمْ ... جاري وقلبي لهمُ جارُ

وقال لما سجن القاضي جمال الدين يوسف بن جملة بقلعة دمشق

دمشقُ لا زالَ رَبْعُها خَضِراً ... بِعَدْلِها اليومَ يُضربُ المثلُ

فضامنُ المكسِ مطلقٌ فرحٌ ... فيها وقاضي القضاةِ معتقلُ

---

(١) في نسخة: إلى النساميلي ذوات الجمال.

(٢) في نسخة: البيت هكذا:

ما في سويدائي إلا النسا ... ما حيلتي ما في السويدا رجال

وقال

مربعٌ يخلو ودمعٌ يكفُ وجوى يحلو وقلبٌ يرجفُ
وغرامٌ كلما قلتُ انقضى حكمُهُ زادَ الأسى والأسفُ
وصباباتٌ مضافاتٌ إلى حرِّ قلبي وَهْيَ لا تنصرفُ
يا حداةَ العيسِ هذا منزلٌ حُقَّ لي أني عليهِ أقفُ
كم بدا لي فيهِ بدرٌ طالعٌ وتثنى فيهِ غصنٌ أهيفُ
فيه كأسُ الوصلِ كنا نرشفُ وثمارُ القربِ كنَّا نقطفُ
مرَّ لي فيه زمانٌ آهلاً[1] ثم أضحى وَهْوَ قاعٌ صفصفُ
هلْ خليلٌ بالبكا لي مُسعدٌ هلْ صديقٌ يُرتجى أو يؤلَفُ
أفٍّ منْ دهرٍ إذا استفهمتهُ عنْ وفيٍّ قالَ هذا جنفُ
ظهرَ الغدر وقلَّ المنصفُ[2] ونما الجهلُ وسادَ المقرفُ
واقتدى بالبحرِ دهري إذْ بهِ يرسبُ الدرُّ وتطفو الجيَفُ
كمْ قد استؤمِنَ فيه خائنٌ ورقى مَنْ أصلُهُ لا يُعرفُ
زاد مقتي لزمانٍ لم يسدْ فيهِ إلا سفْلةٌ أو طرفُ
أنا قَدْ سبَّلتُ عرضي لهم فلهم أنْ يمدحوا أو يقذفوا
أيُّها الحاسدُ لولا أنني رجلٌ منْ دونِ حدي أقفُ
كنتُ أضنيكَ فخاراً وعُلى فأنا الدرُّ وأنتَ الصدفُ
وليَ الفقهُ الذي فقتُ بهِ ووجوهُ النحوِ نحوي تُصرفُ
وليَ النظمُ الذي سارتْ إلى سائرِ الأقطارِ منهُ التحفُ
ولي النثرُ الذي سجْعاتُهُ تسكرُ الأسماعَ فَهْيَ القرقفُ
وإلى الأبكارِ ذهني سابقٌ وقوى الأفكارِ عندي تضعفُ

---

(١) في نسخة: أهلا.

(٢) في نسخة: النصف.

وإمـــامُ الأدبـــيّاتِ وإنْ أنكـــرَ الحـــقَّ فلـــي يعتـــرفُ
كـــم وكـــم شمـــس جـــدالٍ طلعَـــتْ في سمـــاءِ الـــبحثِ بي تنكـــسفُ
فطـــرةٌ تيمـــيةٌ بكـــريةٌ وعلـــى الأســـلافِ يـــبني الخلـــفُ
رُبَّ عـــينٍ تـــتمنى رؤيـــتي وزكـــيٌّ بحـــياتي يحلـــفُ
أنـــا في حلـــقِ حـــسودي غـــصةٌ وبـــه مـــني أذى لا يوصَـــفُ
أســـفي واللهِ مـــن قـــولي أنـــا كلْمـــةٌ ذو العقـــلِ مـــنها يأنـــفُ
لكـــنِ الحاســـدُ قـــدْ كلفـــني ذكـــرَ شـــيءٍ تـــركُهُ لي أشـــرفُ

وقال

نحـــنُ قـــومٌ مـــا وليـــنا بالرِّشـــا مـــثلَ فعالـــكْ
بـــل بعلـــمٍ واجـــتهادٍ وبمـــا أشـــبهَ ذلـــكْ

وقال

أضـحتْ مرامـي طـرفُ هندَ مرامي ترمـي سـهاماً ليـتهنَّ سـهامي
لـو تنظـرُ الحـنفاءُ حـينَ بدتْ لهم لظننـتَهُمْ عكفـوا علـى الأصـنامِ
فـبقدِّها وبخـدِّها وبثغـرِها غـصنٌ وتفـاحٌ وحـبُّ غمـامِ
لمـا تـبدَّتْ بـين تـربيها ومـنْ سـحبِ الـبراقعِ لاحَ بـدرُ تمـامِ
ناديْـتُ يـا قلـبي ويـا عقلـي معاً أنـا قـدْ وقعـتُ ففارقـا بـسلامِ

وقال

بيَ مَـنْ لـوْ قـالَ لي مبـسمُهُ ادنُ والـثمْ غـرتُ أنْ ألـثمَهُ
غـابَ عـن عـيني نهـاراً كـاملاً ليـتني أعلـمُ مَـنْ علَّمَـهُ

وقال

رأيـتُ مملـوكَهُ المقـرطقَ في خدمـتهِ قائمـاً فقلـتُ لِمَـا
قـالَ لحمـلِ الـدواةِ قلـتُ لـه مـا ذاكَ إلا لـيحملَ القلمـا

وقال

أيهـــــا المـــــولى الأجـــــلُّ ... لـــــكَ في قلـــــبي محـــــلُّ
حلَّلـــــوا عـــــنكَ سـلـوِّي ... وَهْـــــوَ عـــــندي لا يحـــــلُّ
كـــيف أســـلو عـــنك قـــل لي ... عـــنك قـــل لي كـــيف أســـلو
لـــك نمـــل فـــوق خـــدٌّ ... فـــوق خـــدٌّ لـــك نمـــلُ
لـــيس يخلـــو مـــنكَ قلـــبٌ ... مـــنكَ قلـــبٌ لـــيس يخلـــو
أنـــت كـــلٌّ لـــستَ بعـــضاً ... لـــستَ بعـــضاً أنـــتَ كـــلُّ
أصـــبحَ الـــردفُ غنـــيًّا ... مـــنكَ والخـــضرُ مقـــلُّ
يـــا علـــيًّا يـــتوالى ... فـــيه دمعـــي المـــستهِلُّ

وقال

أخـــذْتَ عـــني بـــديلاً ... وذا دلـــيلٌ بأنـــكْ
تمـــرُّ بي لـــستَ تلـــوي ... علـــيَّ حـــتى كأنـــكْ
فلـــستَ تُحـــسنُ هجـــري ... ولـــستُ أهجـــرُ حـــسنَكْ
ولـــيسَ يـــوزَنُ وجـــدي ... ولـــيسَ يـــوجد وزنـــكْ

وقال

إذا مـــا شـــئتَ أن تحـــيا ... ســـعيداً ســـالماً راضـــي
تـــصبَّرْ واحـــتملْ واقـــنعْ ... ولا تأســـفْ علـــى مـــاضِ

وقال

أرى أناســـاً حرصـــوا ... حـــتى أزالـــوا زَيْـــنَهُمْ[1]
كـــأنهمْ لم يقـــرأوا ... نحـــنُ قـــسمنا بيـــنهمْ

وقال

أيـــا عَلْـــوُ دمـــعُ العينِ يغني عن الورد ... وبحـــرُ غرامـــي مالَـــهُ فـــيكَ مِنْ حدِّ
ليهـــنكِ بلـــبالي علـــيكِ ورقـــتي ... إلـــيكِ كمـــا قلـــبي لديكِ على البعدِ

---

(١) في نسخة: شينهم.

وإني مقيمٌ لا أغيِّرُ مَوْثقاً ... وإنْ أنتِ غَيَّرْتِ المواثقِ[1] مِنْ بعدِ

وإنكِ حزتِ الحسنَ وحدكِ كلَّه ... وإني حزتُ الحزنَ أجمعَهُ وحدي

إذا لامني العُذَّالُ أخفيتُ[2] مدمعي ... وأبديْتُ صبراً لَمْ يكنْ بعضُهُ عندي

أموِّهُ عنها ما استطعتُ بغيرها ... وأطرقُ حيناً لا أعيدُ ولا أُبدي

فلي ظاهرُ الخالي السليمِ من الهوى ... ولي باطنُ العاني الحزينِ وذي الفقدِ

أرى السائلَ المحرومَ من فيضِ أدمعي ... وذاكَ الدمَ المسفوحَ يا ليتهُ يُجدي

أغارُ على أهلِ الغويرِ لأجلها ... وأحجمُ عن سلعٍ ووصفِ ربى نجدِ

وأنفرُ عن علمِ الكلامِ لثغرها ... لئلا أورِّي عنهُ بالجوهرِ الفردِ

وأحمي الحمى عنْ ذكرِهِ معْ صبابتي ... وأعْرِضُ معْ شوقي عن الشيحِ والرندِ

ولم أستطعْ حملَ النسيمِ رسالتي ... مخافةَ رجعاهُ برائحة الندِ

أخافُ عليها من عشيرتها التي ... بها كلُّ صنديدٍ يرى الموتَ كالشهدِ

أيا عَلْوُ لي ودٌّ كوجهكِ في السنا ... ولكنَّ حظي مثلُ فاحمكِ الجعْدِ

سألتكِ مهما رمتِ إهداءَ طرفةٍ ... إليَّ فغيرَ الطيفِ باللهِ لا تُهدي

وكيفَ يزورُ الطيفُ مَنْ هوَ ساهرٌ ... رقيقُ الحواشي يتبعُ الوجدَ بالوجدِ

سلي النجمَ عن حالي يُخَبِّرْكِ لوعتي ... وما أنا فيه مِنْ بكاءٍ ومنْ سهدِ

لئنْ جرتِ يا علوى وقدُّكِ عادلٌ ... فواعجبا للجائرِ العادلِ القدِّ

فلا تخلفيني ما وعدتِ فإنني ... أرى أن خُلْفَ الوعدِ من خلقِ الوغدِ

أهمُّ ولي بعد على بسطِ ما جرى ... ولم رمتِ تعذيبي وما سببُ الصدِّ

فأضمرُ سلواناً فيحضرُكِ الهوى ... مُصَوَّرَةً لي يا نُوَيْقِضَةَ العهدِ

فيشفعُ فيكِ الحسنُ والحسنُ شافعٌ ... فأغضي حياءً أنْ يواجهَ بالردِّ

وليسَ حياءُ الوجهِ في الذئبِ شيمةً ... ولكنها مِنْ شيمةِ الأسدِ الوردِ

---

(١) في نسخة: المواثيق.

(٢) في نسخة: خففت.

وقال

يـا مَـنْ تلـوَّنَ في الـودادَ وقاسـني ... ظلمـاً علـيه تَعَنُّـتاً وتَعَتُّـبا
إنْ كـنتُ أنسـى مَنْ صحبتْ وإنْ أبى ... الـودادَ فلـستُ أعـرفُ لي أبـا

وقال واصفا دير بيرة دادخين من عمل المعرة

في ديـرِ بـيرةِ دادخـينِ حُـورٌ ... في الـباعِ عـنْ سـلوانهنَّ قـصورُ
فـإذا تمـثَّلَهُ الـضميرُ رأيـتهُ ... وعلـيه أغـصانُ الـشبابِ تمـورُ
ولطالمـا رتعـتْ بـه الظَّبْـياتُ في ... أُنـسٍ فلـيسَ يـشنهنَّ نفـورُ
كـم راغـبٍ في الـراهباتِ لأنهـا ... بـيضٌ مزنَّـرةُ الخـصورِ بكـورُ
المـائلاتُ كـأنهنَّ ذوابـلٌ ... المـشرقاتُ كـأنهنَّ بـدورُ
حـورٌ يـصرْنَ إلى جهـنمَ في غـد ... عجـبي لهـنَّ أفي جهـنَّمَ حـورُ
عايـنْتُ في شـرفاته نـوراً وَمِـنْ ... عجـبٍ بـناءُ الكفـرِ كـيفَ يـنيرُ
مـا ذاكَ نـورٌ بـلْ بقـيةُ حسنِ مَنْ ... قـدْ كـانَ يـسكنُ فـيهِ منذُ دهور
أرجـاؤهُ محـبوبةٌ وسـفوحُهُ ... مطلـوبةٌ وبهـاؤهُ موفـورُ[1]
للهِ كـم مـرَّتْ لـساكنه بـه ... مِـنْ لـيلة مـا شـانَها[2] تكديـرُ
أيـامَ أغـصانُ الـزمانِ وريقـةٌ ... والعـيشُ غـضٌّ والـشبابُ نـضيرُ[3]
والحادثـاتُ غـوافلٌ عـنْ أهلِـه ... والجفـنُ عمـا لا يحـبُّ قريـرُ
والغـصنُ يـرقصُ والحمـامُ صوادحٌ ... والـريحُ فـيها عنـبرٌ وعـبيرُ
هـضباتُهُ منـصوبةٌ مـرفوعةٌ ... حـسناً وذيـلُ نـسيمه مجـرورُ
ومـروجُهُ الخـضرُ الـضواحكُ تنثني ... فـيها الغـصونُ وتـستلذُّ دهـورُ

---

(١) في نسخة: موتور.

(٢) في نسخة: شانها.

(٣) في نسخة: غرير.

ولــــنغمةِ الـــناقوسِ فـــيهِ غُـــنَّةٌ[٤] وعلـــيهِ مـــنْ دونِ الهمـــومِ ســـتورُ

طـــوراً تـــضجُّ بـــهِ القـــسوسُ وتارةً تُجلـــى المـــدامُ مـــزاجُها كافـــورُ

يـــا ديـــرُكمْ دارتْ بـــسفحكَ راحـــةً بالـــراحِ بـــلْ كـــمْ حـــلَّ فيك سرورُ

حـــتى لقـــدْ كـــادتْ صـــخورُكَ بالهنا يرقـــصْنَ لـــولا أنهـــنَّ صـــخورُ

يـــا ديـــرُ أيـــنَ ظباؤُكَ البيضُ الألى[٥] بلحـــاظهنَّ فـــتونُها وفـــتورُ

يـــا ديـــرُ كَـــمْ رتعت بربعِكَ كاعبٌ تـــسبي الحكـــيم[١] وحـــسنُها منظورُ

رومـــيةُ الألفـــاظِ هاروتـــيةُ ال ألحـــاظِ عقـــلُ مُحـــبِّها مـــسحورُ

يـــا ديـــرُ كـــمْ راهـــبٍ لـــكَ ماهرٌ بـــتلاوةِ الإنجـــيلِ كـــانَ يـــدورُ

يـــا ديـــرُ إنْ تـــصمتْ فإنَّـــكَ ناطقٌ إنَّ الـــنواعمَ ضـــمهنَّ قـــبورُ

وتـــبدَّلت تلـــكَ المحاســـنُ وانثـــنتْ تلـــكَ القـــدورُ[٢] وخُـــرِّبَ المعمـــورُ

فغـــدوتَ تـــندبُ بعـــدَ أهلِـــكَ باكياً بلـــسانِ حـــالٍ طـــيُّهُ منـــشورُ

وإذا رأتْـــكَ العـــينُ تبكـــي رحمـــةً لخلـــوِّ ربعـــكَ والـــبكاءُ يَـــسيرُ

إنَّ التفكُّـــرَ في المعاهـــدِ نافـــعٌ بـــلْ عاصـــمٌ والغافلـــونَ كـــثيرُ

قـــسماً بفَـــرَقِ محمـــدٍ وجبيـــنه فَهُمـــا[٣] الـــضياءُ حقـــيقةً والـــنورُ

لقـــد اتعظـــتُ بـــذا ولكـــني امـــرؤٌ عـــاصٍ علـــى كسبِ الذنوبِ جسورُ

مَـــنْ ذُخـــرُهُ في الحـــشرِ مـــثلُ محمدٍ لا يحـــزَنَنَّ فذنـــبُهُ مغفـــورُ

فأعـــيذُ[٦] أمّـــتَهَ بـــربِّ محمـــدٍ أنْ يحـــزنوا ومحمـــدٌ مـــسرورُ

---

(١) في نسخة: الخَلِيَّ.

(٢) في نسخة: القدود.

(٣) في نسخة: فهم.

(٤) في نسخة: رنة.

(٥) في نسخة: الأولى.

(٦) في نسخة: فأعيد.

وقال

ضُـــرَّةٌ للـــشمسِ والـــبدرِ فَلَـــوْ أدركـــتْها ضُـــرتاها ضَـــرتاها

بـــكَ يـــا عاشـــقُ مـــنها ممـــةٌ لـــو أباحـــتْ لـــكَ فاهـــا لكفاهـــا

وســـويداؤكَ فـــيها غلـــةٌ لـــو تـــدانَتْ شـــفتاها شـــفتاها

غُـــضَّ مِـــنْ طـــرفكَ إنْ قابلْـــتَها كـــلُّ نفـــسٍ مقلـــتاها مقـــتلاها

لـــيس يـــدري الأمـــنَ مَـــنْ لم يـــرها ودرى[1] مَـــنْ قَـــدْ رآهـــا قَـــدْ رآها

وقال

يحـــتاجُ مَـــنْ يطلـــبُ طـــولَ الـــبقا بـــأن يـــرى هـــذا وأشـــباهَهْ

فنـــسألُ الـــرحمنَ ســـبحانه يخـــرجُنا مـــنها بـــلا عاهَـــهْ

وقال وسماه إيهام التوكيد

تعـــشقتُ أحـــوى لي إلـــيهِ وســـائلُ وإصـــلاحُ أحـــوالي لديـــهِ لديـــهِ

أمـــرُّ بـــه مـــستعطفاً مـــتلطِّفاً فيـــثقلُ تـــسليمي علـــيهِ علـــيهِ

فـــلا كـــانَ واشٍ كـــدَّرَ الـــصفْوَ بيننا وبغَّـــضَ تجبـــيي إلـــيهِ إلـــيهِ

وقال في إنقاذ كنيسة اليهود بحلب على يد القاضي كمال الدين بن الزملكاني وجعلها مدرسة الحديث

عـــلا لـــكَ ذكـــرٌ لا يـــشبهُهُ ذكـــرُ وحـــزْتَ فخـــارًا[2] ليسَ يدركُهُ الفخرُ

هنيـــئاً بنعمـــى خلَّـــد اللهُ ذكـــرَها وطـــال بهـــا بـــشْرٌ وطابَ لها[3] نشرُ

نـــصرْتَ بفـــتحِ الناصـــريَّةِ دينَـــنا ألا في ســـبيلِ اللهِ ذا الفـــتحُ والنـــصرُ

وسميـــتَها دارَ الحـــديثِ لأنهـــا حديـــثةُ عهـــدٍ جـــاءَ في نزعها الأمرُ

وهمـــزاً قلـــبتَ الكـــافِ فهْـــيَ أنيسةٌ لعمـــرُكَ لي قلـــبٌ بذا القلبِ مُنْسَرُّ[4]

---

(١) في نسخة: ورأى.

(٢) في نسخة: فخرًا.

(٣) في نسخة: بها.

(٤) في نسخة: ينسر.

فكـــم حَـــسَدَتْها بَـــيْعَةٌ وكنيـــسةٌ وقـــد فُـــكَّ مـــن أيدي اليهودِ لها أَسْرُ

عقـــدتَ لهَـــا الإجمـــاعَ فانتثـــرتْ لهم دمـــوعٌ وعـــندَ العقـــدِ لا يُنكرُ النثرُ

وأحييـــتَها بالـــدرسِ بعـــدَ اندراسِـــها وصـــارَ لذكـــرِ اللهِ في ربعهـــا جَهْرُ[1]

وضـــاعفْتَ أمـــراضَ الـــيهودِ بنزعِها فـــأوجُهُهم تحكـــي عمـــائمهمْ صُـــفْرُ

لـــئنْ أحـــزنَ الحـــزَّانَ[3] ذكـــرُ محمدٍ بهـــا فكلـــيمُ اللهِ للحـــقِّ يفتـــرُّ

بـــذا قلـــبُ حـــزَّان الملاعـــينِ نـــازحٌ وذلـــكَ مِـــنْ وجهـــينِ فَلْـــيُفهم السرُّ

وكانـــتْ بلـــثغاتِ[4] الخبيـــثين طامثاً فـــتمَّ بذكـــرِ الطيـــبينَ لهـــا العطرُ[2]

تعـــمُّ المـــثاني الـــسبعُ ســـتَّ جهاتِها وخُـــصصَ بالتوحـــيدِ كلْماتُهـــا العشرُ

ومَـــنْ غاظَـــهُ هـــذا فلـــيسَ بمـــسلمٍ وهـــلْ مـــسلمٌ يختـــارُ أنْ يُنصرَ الكفرُ

فـــإن أُبْـــدِلَتْ عـــنْ صوتِ قرنٍ مؤذناً فإبـــدالُ تعـــريفٍ مـــنِ اســـمٍ لهُ نكْرُ

صَـــرَفْتَهم عـــنْ ربعهـــا إذْ أضـــفْتَهُمْ إلى الـــذلِّ والمصروفُ يدخلُهُ الكسرُ[*]

أيـــا حـــاتمَ الإســـلامِ ودُّوا خلاصَـــها بمـــا ملكـــوا فليخـــسئوا قـــضي الأمرُ

وقـــدْ علـــمَ الأقـــوامُ لـــو أن حاتمـــاً أرادَ ثـــراءَ المـــالِ كـــانَ لـــهُ وفـــرُ

ولـــو حلفـــوا أنَّـــا ســـنترعُ أختَـــها لمـــا وجـــبتْ كفـــارةٌ ربَّمـــا بـــرُّوا

ونأخـــذُ[5] مـــنهمْ أجْـــرَ سكناهمُ بها وقـــد عُـــرف المبـــتاعُ وانفصلَ السعرُ

أيَنـــسى أذاهـــم للـــنبيِّ وبغـــضُهُمْ وتكذيـــبُهُمْ والـــسمُّ في الشاةِ والسحرُ

كـــأنهُمُ في التـــيهِ بعـــدُ فمـــنهمُ تحقـــقَ ســـلواهم وقـــدْ عظـــمَ المكرُ

---

(١) في نسخة: ذكرا.

(٢) في نسخة: الطهر.

(*) هذه تورية بديعة بقوله: (المصروف يدخله الكسر) حيث يجر المصروف بالكسرة على الأصل بدلاً من الفتحة في الممنوع، وفيه حسن تعليل وسبق بيانه.

(٣) في نسخة: الحران.

(٤) في نسخة: بدبغات.

(٥) في نسخة: ونأخذ.

وحقّــكَ مــا هذا الذي تستحقُّهُ الـــ يهــودُ ولا العــشرانِ كلا[1] ولا العشرُ
لقــدْ فعلَــتْ أقلامُــكَ الحمــرُ فيهم مــنَ الحــقِّ ما لا تفعلُ البيضُ والسمرُ
وقــدْ أفــرحَ الــنوريةَ الآنَ مــا جرى لجارتهــا والجــارُ بالجــارِ ينــسرُّ
أصــاختْ إلى دارِ الحــديثِ وأنصتَتْ وكــانَ بهــا عــنْ سمــعِ كفرهُم وَقْرُ
عجــبتُ لهــا لمَّــا حللْــتُ بريعِها[3] ومــا رقــصتْ عجْــباً ولكنَّها صخرُ
ومــا بقــيتْ واللهِ تخــشى مذلــةً وأوقــافُ نــورِ الدينِ مِنْ خلفها ظهرُ
وكــيفَ تخــافُ الــنقصَ عندَ كمالها وقــدْ صــارَ من قاضي القضاةِ لها ذخرُ
إمــامٌ يــؤمُّ المقتــرونَ جــنابَهُ وَمِــنْ كفّــهِ في كــلِّ قطــرٍ لها قطرُ
حليفُ الندى غيظُ العدى صارفُ الردى إمــامُ الهــدى فاتَ المدى جودُه الغمرُ
حــوى العلــمَ عــنْ آياتِــهِ ومعاشرٍ مــن الــسادةِ الأنــصارِ أوجُهُهُمْ زَهْرُ
أرى أنَّ ذا الإحــرام يخــرجُ فديــةً إذا مــا جــرى بــينَ الحجيجِ لهُ ذكرُ
إذا قــالَ أحــيا الــشافعي تفقهــاً ونقــلاً وإنْ يــسبرْ فــيا حــبذا السبرُ
ومــا منــصبُ الــشهباءِ كُفْواً لعلمِه غلطــتَ ولا دارُ الــسلامِ ولا مــصرُ
فــإنْ زُمَــرُ الأحــزابِ راموا امتحانَهُ ســبى لــيلَ فــرقانِ المجادلــةِ النــصرُ
ولــو لم يؤثــرْ عمــرَهُ غــيرَ هــذهِ كَفَــتْه وكــم أخــرى له عسرَ الحصرُ
أمــنقذَها مــن بؤسِــها وعــنائها فديــتُكَ أنقــذني فقــدْ نَفَــدَ العمرُ[2]
فــإني أرى غيــباً بــأني مُــضَيَّعٌ[4] وكــسبي منَ الحكمِ الخصوماتِ والوزرُ
مقــيماً بــأرضِ الحــرثِ جاراً لمعشرٍ وجــوههمُ غُبْــرٌ وأثــوابُهُمْ حمــرُ
يــرون جمــيلاً أنهــم لم يــرفعوا[5] ولــيسَ لأهــلِ القــدرِ عــندهمُ قدرُ

---

(١) في نسخة: هذا.

(٢) في نسخة: أعوز النصر.

(٣) في نسخة: بربعها.

(٤) في نسخة: غبنا بأن يذهب العمر.

(٥) في نسخة: يرافعوا.

مـــتى دخـــلَ الـــشهباءَ مـــنهم جماعةٌ لأشـــغالهمْ يخلـــو بخاطـــريَ الفكـــرُ

أقـــولُ عـــساهم أضـــمروا لي مكيدةً لعـــلَّ انحـــرافاً[1] أو بـــدا لهـــمُ غـــدرُ

ومـــا ذاكَ عـــنْ ذنـــبٍ جنـــيتُ وإنما عـــنانيَ عـــرضٌ عـــنْ مـــرافعةٍ[2] بكرُ

وحُـــقَّ لمثلـــي صـــونُ عرضـــي فإنَّـــهُ نقـــيٌّ بحمـــدِ اللهِ مـــا شـــانَهُ غَمْـــرُ

وكلـــهمُ راضٍ علـــيَّ وذاكـــري بخـــيري ولكـــنْ لـــو عبـــثتُ لما قرُّوا

ولا خـــيرَ في مـــالِ الفـــتى بعدَ عرضهِ ولا عـــيشَ في الدنـــيا إذا قـــبَّحَ الذكرُ

بِـــذَيْلِ بـــديلِ الرافعـــي تَمَـــسُّكي فقـــد مـــسَّني للـــبعدِ عـــن بابهِ الضرُّ

ســئمتُ مـــداراةَ الأراذلِ في الـــورى وقـــدْ بـــانَ لي أنَّ القـــضا جـــبلٌ وعرُ

شـــريكُ شـــرورٍ لا ســـرورٍ نسيتُ ما حفظْـــتُ وممـــا كـــنتُ حصَّلْتُ أجترُّ

تقـــدَّمني مَـــنْ كـــانَ خلفـــي وساءَني خمـــولي ولكـــنْ هكـــذا يفعـــلُ البَـــرُّ

بُلـــيتُ بحجـــرِ الحكـــمِ منْ زمنِ الصِّبا فهـــلْ بكمـــالِ الحجـــرِ يرتفعُ الحجرُ

علـــى أنـــني راضٍ بـــأنْ ألِيَ القـــضا وأُعـــزلَ عـــنهُ لا أثـــامٌ ولا أجـــرُ

لـــئنْ زادَ مـــالُ المـــرءِ معْ نَقْصِ علمه فـــذلكَ خـــسرٌ لا يقابلُـــهُ خُـــسرُ

أيـــا أوحـــدَ الإســـلامِ إني معـــوِّلٌ علـــيكَ ومـــا المملـــوكُ في قصدهِ غرُّ

فـــوجهُكَ إنْ قابلـــتُهُ أو[4] رأيـــتُهُ يكـــونُ لقلـــبي بالمقابلـــةِ الجـــبرُ

أقلـــني مـــنَ الأحكـــامِ في البرِّ[5] محسناً إليَّ بفـــصلي[3] عَـــنْهُ يـــا مَنْ هو البحْرُ

ففـــي القلبِ مِنْ نيلِ الفروعِ[6] ببابكم أصـــولُ اشـــتياقٍ حَمْـــلُ أغصانها جمرُ

شُـــغِلْتُ بحـــبِّ العلـــمِ عن رفعةِ القضا أيلـــوي على الأصدافِ مَنْ قصدُهُ الدرُّ

---

(١) في نسخة: لأجل انحراف.

(٢) في نسخة: مدافعة.

(٣) في نسخة: بفصل عنه.

(٤) في نسخة: و.

(٥) وردت كلمة البرِّ في ديوانه كثيرًا مستعملة بمعنى القضاء.

(٦) في نسخة: الفروغ.

تعجَّبَ قومٌ كيفَ أتركُ منصبي ... وأرفضُهُ عمداً وما أنا مضطرُّ

وقالوا ترى مَنْ حلَّ في رتبة[3] القضا ... وفارقَها حتى يواريَهُ القبرُ

أرى العلمَ أعلى رتبةً لي منَ القضا ... ولو لم يكنْ إلا فوائدُكَ الزهرُ

وأنتَ خبيرٌ بالقضاءِ وعسرِهِ[4] ... ألا فلعلَّ العسْرَ يتبعُهُ اليُسْرُ

إذا قيلَ قاضٍ بالعراقِ جرى له ... كذا خلتُ أني ذاكَ واستحكمَ الذعرُ

وإنْ قاصدٌ منكمْ أتاني فانثني ... كما انتفضَ العصفورُ بللهُ القطرُ

طباعُ عفيفٍ لا يرى حبَّ منصبٍ ... ولكنْ تشفّي حاسديهِ بهِ مرُّ

ولي[5] منْ هباتِ اللهِ عَنْ كلِّ ذا غنىً ... وإنْ دامَ بي هذا العناءُ فما العذرُ

قنعتُ فخلتُ النجمَ دوني رتبةً[6] ... وهيهاتَ خوفُ الفقرِ عندَ الغنى فقرُ

وفيٌّ لتحصيلِ العلومِ بقيةٌ ... فلا كبرٌ عنها يصدُّ ولا كِبْرُ

ومالي أرى الحكامَ غيرَكَ إنْ رأوا ... ذكياً فأوفى حظِّهِ منهمُ الهجرُ

يولُّونَهُ في البرِّ قصدَ خمولِهِ ... فيصبحُ ميِّتاً والضياعُ لهُ قَبْرُ

ومثلُكَ لا يرضى لمثليَ بالقُرى ... وفي النفسِ حاجاتٌ وفي سيدي جبرُ[1]

فدونكها وردية عربيةٌ ... سليلةَ بكريٌّ لها ودُكمْ مَهْرُ

ولو أنني لم أنتسبْ ما خفي على ... ذكيٌّ بأنَّ الدرَّ معدنُهُ البحرُ

ولستُ بمدَّاحٍ ولا الشعرُ حرفتي ... بلى لكمالِ النفسِ نظميَ النثرُ

ولو عَقَلَ الإنسانُ لم يهدِ مدحةً ... إليكَ وهل يُهدى إلى هجرٍ تمرُ

بقيتَ بقاءَ المكرماتِ ونلتَ ما ... تؤمِّلُهُ ما لاحَ في الظُّلَمِ[2] البدرُ

---

(١) في نسخة: خبر.

(٢) في نسخة: الظلمة.

(٣) في نسخة: ربقة.

(٤) في نسخة: وغيره.

(٥) في نسخة: بـ.

(٦) في نسخة: رفعة.

وقال

مَا العلمُ عن كثرةِ الروايهْ العلمُ عنْ قلةِ الغوايهْ
قامَتْ بما قد أسأتُ رايهْ[1] فهلْ لهذا الصدودِ غايهْ

وقال

ديارُ مصرَ هي الدنيا وساكنُها همُ الأنامُ فقابلْها بتقبيلِ
يا مَنْ يباهي ببغدادَ ودِجْلَتها مصرُ مقدمةٌ والشرحُ للنيلِ

وقال

لا تحملوني على انتقامٍ فالجاهُ يحكي خيالَ طيفِ
عفوْتُ عنْ مذنبٍ فقرَّتْ عينُ عدوِّي وجفْنُ سيفي

وقال

صدَّت وزارتْ فقلنا بالمعنيينَ تغنتْ
تفردَتْ في البرايا بالحسنِ لمَّا تثنتْ

وقال

إنَّ لنا في جِلَّقٍ[2] حاجباً مِنْ عجبِ الدنيا بوجهين
ناظرُهُ نحو الرشا مشرفٌ ما أطمعَ الحاجبَ في العينِ

وقال

قالَ لي عاذلي أتسبيكَ عينٌ منهُ سوداءُ قلتُ بلْ إنسانُ
قال لي فاسألْهُ فقلْتُ اسْلُ عَذْلي قالَ لي هِنْتَ قلتُ هانَ الهوانُ

وقال

وإنْ جزْتَ سلعًا فسلْ عن ظَبْيٍ منَ الظَبْيِ أَحْسَنْ
لا ما يقاسُ ببدرٍ فالحبُّ أفتى وأفتنْ

---

(١) في نسخة: رأيه.

(٢) جلّق: أي دمشق.

ولا بغصنٍ رطيبِ — فالحبُّ ألوى وألونْ
ولا بهيفاء رودٍ — فذاكَ أسمى وأسمنْ
يا عاذلي لا أبالي — فالشوقُ أعلى وأعلنْ
لقدْ تعوَّدَ خدِّي — دمعي وأدمى وأدمنْ
لا تطلبوا عنهُ صبري — فالصبرُ أوهى وأوهنْ

وقال

دهْرُنا أضحى ضنيناً — باللقا حتى ضَنينا
يا ليالي الوصلِ عودي — واجْمعينا أجْمَعينا

وقال

زارَتْ على يأسٍ كطيفٍ[1] خيالها — يا دهرُ ما بقيتْ عليكَ ذنوبُ
فَرَكبْتُ أخطارَ الهوى في وصلها — والطِّيبُ واشٍ والحليُّ رقيبُ

وقال

أنتمْ أحبائي وقدْ — فعلتُمْ فِعْلَ العِدى
حتى تركتم خبري — في العاشقينَ مُبتدا

وقال

ترى عدواً دعا علينا — بدعوةٍ صادفَتْ نفاذا
خَلَتْ ديارُ الحبيبِ منهمْ — يا ليتني متُّ قبلَ هذا

وقال

لو كانَ يُفدى مرضٌ — كنا فدينا مرضَكْ
أو تقبلُ الحمى الفدا — جعلتُ روحي عوضَكْ

---

(١) في نسخة: لطيف.

وقال

إذا أخَّــرْت كتــبَكَ عــنْ محــبٍّ ... فإنــكَ قــدْ حــشوتَ حــشاهُ نــارا

وإنْ أعرضــتَ يــوماً عــن صــديقٍ ... فقــد حملــتَهُ في الــناسِ عــارا

وقال

حمَّــامُكُمْ قـــيمُهُ شـــاطرُ ... هــربْتُ مــنهُ وأنــا صــارخُ

قـــدْ ســلخَتْ جــسمي أظفـــارُهُ ... يـــا قـــومُ هـــذا الأســودُ الــسالخُ

وقال وقد علم بعض القضاة الحمد لله على فضله ثم عزل وفصل عن الحكم

قـــدْ أنعـــمَ اللهُ علينـــا بمـــا ... يعجـــزُ أهـــلُ الأرضِ عـــنْ مـــثلهِ

تفـــضُّلاً مـــا نحـــن أهـــلاً[1] لـــهُ ... فالحمـــــدُ للهِ علـــــى فـــــضلهِ

وقال

يـــا نـــاقلاً إليَّ قـــولَ حاســـدي ... لا ينبغـــي نقـــلُ الـــذي لا ينبغـــي

لا تـــؤذني بحجـــةِ النـــصحِ فمـــا ... أسمعـــني الـــسوءَ ســـوى مبلّغـــي

وقال

مدينـــةَ عـــزِّ الـــدينِ طـــبتِ مدينـــةً ... وكـــلُّ مكـــانٍ ينـــبتُ العـــزَّ طـــيِّبُ

ولـــو كـــنتُ في أبـــوابهِ كنتُ راضياً ... فـــلا أشـــتكي فـــيها ولا أتعـــتَّبُ

وقال

يـــا أعـــدلَ الـــناسِ في القـــضايا ... وأجـــودَ الخلـــقِ في العطايـــا

إلى مـــتى لا يـــزالُ مثلـــي ... مبلـــبلَ القلـــبِ في الـــشكايا

أخـــذتُ مـــنها[2] أتمَّ حـــظٍّ ... وحـــقَّ لي ألـــزمُ الـــزوايا

---

(١) في نسخة: أهل.

(٢) في نسخة: منه.

وقال

إذا كرهتَ منزلاً ... فدونكَ التحوّلا
وإنْ جفاكَ صاحبٌ ... فكنْ بهِ مستبدلا
لا تحمِلَنْ إهانةً ... منْ صاحبٍ وإنْ علا
فمنْ أتى فمرحباً ... ومَنْ تولّى فإلى

وقال

دنيا إذا أحسنَتْ أساءَتْ ... ورأيها وضعُ مَنْ ترقّى
مالَتْ إلى مَنْ يميلُ عنها ... فالزاهدونَ الملوكُ حقّا

وقال

قلْ لحسودٍ ذمّني ... جوراً وظلماً واعتدى
لولا التقى صنَّفْتُ في ... عيوبِهِ مجلّدا

وقال

ربِّ إنْ تغفرْ وظنّي[1] هكذا ... أوْ تعذّبْ كنتَ عدلاً منصفا
قادرٌ أنتَ على كلتيهما ... فاقضِ بالأولى بجاهِ المصطفى

وقال

سبحانَ مَنْ سخّرَ لي حاسدي ... يُحدثُ لي في غيبتي ذِكْرا
لا أكرهُ الغيبةَ منْ حاسدٍ ... يفيدني الشهرةَ والأجرا

وقال

يا مَنْ غدا في طلابِ العلمِ مجتهداً ... لمْ يثنِهِ عنهُ لا مالٌ ولا ولدُ
لا تبسطَنَّ لتقليدِ القضاءِ يداً ... أيرتضي رتبةَ التقليدِ مجتهدُ

---

(١) في نسخة: فظني.

وقال

ذَمُّ ولاةِ الأمورِ صعبٌ | في شرعِنا لا يجوزُ فعلُهْ
إذْ كلُّ ذي مخلبٍ ونابٍ | يعدو به لا يحلُّ أكلُهْ[1]

وقال

مشاقفٌ أشطانُهُ عَبْلَةٌ[2] | رتبتُهُ عَنْ عنترٍ ساميَهْ
بوجهه الترس أنا ناشبٌ | جاء دمي من زقٍّ أعدائيَهْ
لا عُذَّلي من حزبِ خيرٍ ولا | آراؤُهُمْ في سلوتي عاليَهْ

وقال

حياةُ البهاءِ[3] كموتِ الشهابِ | فهذا مصابُ وهذا مصابْ
فليتَ الذي في الثرى فوقَهُ | وليتَ الذي فوقَهُ في الترابِ

وقالَ

يا حاسدي إنَّ لي ذنوباً | تُكْسَرُ مِنْ هولِها الجيوشُ
لكنها لا لواطَ[4] فيها | ولا نبيذٌ ولا حشيشُ

وقال

وعاذلة تشتكيني إلى | صديقٍ لما تشتكي يشتهي[5]
فقالَ أما كنتِ لا تنته | فقالتْ بلى وهْوَ لا ينتهي

---

(١) هذا البيت من حسن التعليل.

(٢) في نسخة: أشطابه عتلة.

(٣) في نسخة: أسقطت الهمزة "البها".

(٤) في نسخة: لكنني لا ألوط.

(٥) في نسخة: تشتهي.

وقال

مَــنْ قــالَ بالمــردِ فاحذر إنْ تصاحبْهُ ... فــإنْ فعلْــتَ فــثقْ بالعــارِ والــنارِ

بــضاعةٌ مــا اشــتراها غــيرُ بائعها ... بــئسَ البــضاعةُ والمبــتاعُ والــشاري

يــا قــومُ صــارَ اللواطُ اليومَ مشتهراً ... وشــائعاً ذائعــاً مِــنْ غــيرِ إنكــارِ

ذنــب بــه هلكــت مــن قبلنا أمم ... والعــرش يهتــز مــنه هــز إكــبار

جـنات عدن عن اللوطي قد حرمت ... الله أكــبر مــا أعــصاه للــباري

أســتغفر الله مــن شــعر تقــدم لي ... في المــرد قــصدي بــه ترويج إشعاري

لكــنّ ذلــك قــول لــيس يتــبعه ... خــنا وحاشــاي مــن أفعــال أشــرار

قــوم إذا حاربــوا شــدوا مــآزرهم ... دون النــساء ولــو باتــت بإطهــار

وقال

إنمــا الــــبيرةُ بـــيرٌ ... رحلـــتي مـــنها ســـعادهْ

قـــيلَ والـــبيرةُ بـــيرٌ ... قلـــتُ بـــيرٌ[1] وزيـــادَهْ

وقال

إنَّ فخـــرَ الـــدينِ فـــخٌّ ... أيُّ ســـحتٍ لاحَ صـــادَهْ

قـــيلَ لي والفخـــرُ فـــخٌّ ... قلـــتُ فـــخٌّ وزيـــادَهْ

وقال

جنبــتَني وأخــي تكالــيفَ القــضا ... وكفيتَــنا مرضــينِ مخــتلفينِ

يــا حــي عــالم دهــرِنا أحييتــنا ... فلــكَ التــصرفُ في دمِ الأخــوينِ

وقال

بــأيمنَ جــرعاءِ الكثــيبِ خــيامُ ... لهــنَّ علیــنا حــرمةٌ وذمــامُ

أحــنُّ إلــيها كــلَّ يــومٍ ولــيلةٍ ... وإنْ كــانَ مــنها بالفــؤادِ كــلامُ

ففــيها لمنْ أهوى على القربِ والنوى ... مقــامٌ لــهُ بــينَ الــضلوعِ مقــامُ

---

(١) في نسخة: بئر.

وَلي حالــةٌ في العاشــقينَ عجيــبةٌ فــؤادي ضــرامٌ والدمــوعُ ســجامُ

فــيا عــاذلاً[1] ما أنتَ واللهِ عادلاً[2] أأحفــظُ عهــداً ســابقاً وأُلامُ

أجــرني مِنَ العذلِ الذي هاجَ[3] لوعتي فــإني أرى أنَّ الــسلوَّ حــرامُ

فلــو بــكَ مــا بي كنتَ تعذرُ عاشقاً لــهُ الــبينُ خــصمٌ والغــريمُ غــرامُ

تذكّــرتُ لــيلاتٍ بــسلعٍ وحاجــرٍ وأيــامَ قــربٍ والمــدامُ مــدامُ

مدامــةُ ســرٍّ لا مدامــةُ كــرمةٍ أيــشربُ مــنْ بــنتِ الكــرومِ كــرامُ

وإذْ نــسماتُ الوصــلِ تحيــي قلوبَنا ونحــنُ ســهارى والوشــاةُ نــيامُ

فــيا مــنْ لقلــبٍ أذكــرتْهُ حمــائمٌ بأيــامِ وصــلٍ فِطْــرُهُنَّ صــيامُ

أحــبَّةَ قلــبي إنَّ قلــبي نــزيلَكُمْ وحاشــا نــزيلَ الأكــرمينَ يــضامُ

ســلا عــنْ فؤادٍ ما سلا لكنِ انسلى أصــابتهُ عــنْ قــوسِ الفــراقِ ســهامُ

علــى الــربعِ لَمّــا غبــتمْ عنهُ وحشةٌ كوحــشةِ غمــدٍ غــابَ عــنهُ حسامُ

ســلامٌ علــيكمْ مــا ألــذَّ وصالَكُمْ وغايــةُ مجهــودِ المقــلِ ســلامُ

وقال مرتجزًا

إنْ كــنتَ ناصــحي فحــسِّنْ صبري لحاســدٍ مــا قــدرُهُ كقــدري

صــبري علــى الحاسـدِ طولَ عمري شــرٌّ علــيهِ مــنْ شــرارِ الجمــرِ

لــيسَ يــضيقُ منْ حسودي صدري يــشهر ذكــري ويــزيدُ أجــري

وَدَّ حــسودي فــتحَ بــابِ الــشرِّ ليــستوي زجاجُــهُ ودرِّي

زجاجُــهُ يُــسبكُ بعــدَ الكــسرِ والــدرُّ مــا لكــسرِهِ مِــنْ جــبرِ

وارحمــتا لحاســدي إذ يــدري ماضــيَّ أو مــضارعي أو أمــري

فــذاكَ غــيرُ خاطــرٍ بفكــري ولمْ يــزلْ مــشتغلاً بذكــري

---

(١) في نسخة: عاذلي.

(٢) في نسخة: عادل.

(٣) في نسخة: المهيج لـ.

أعظـــمُ ذنـــبي عـــندَهُ ووزري ... أني مذكـــورٌ بكــــلِّ قطـــر
في الــشرقِ والــشامِ وملــكِ مــصرِ ... يُــسمعُ ذكـــرُ عمـــرَ المعـــري

وقال أيضا مضمنا المثل السائر

إني عـــــــدمتُ صـــــــديقاً ... قَـــدْ كـــانَ يعـــرفُ قـــدري
دعـــني لقلـــبي ودمعـــي ... علـــــيهِ أحـــــرقْ وأذري

وقال يمدح النبي ﷺ

قلـــبٌ كـــواهُ الـــبينُ حـــتى أنضجا ... مـــا زال في بحـــر الغـــرامِ ملججـــا
ومدامـــعٍ ســـحَّتْ ومـــا شحَّتْ على ... خـــدٌ بحمـــرةِ لـــونها قـــدْ ضُـــرِّجا
لمْ لا تـــضرِّجْ أدمعـــي خـــدي وقدْ ... أُذكـــرتُ ظـــلاً بالمديـــنةِ سجـــسجا
لي بالحجـــازِ وســـاكنيهِ مـــآربُ[2] ... أرضٌ حكَـــتْ حلـــلَ الـــربيعِ مـــدبَّجا
ســـقتِ الحجـــازَ ســـحائبٌ يحيا بها ... مـــيْتُ النـــباتِ لكـــيْ يمـــيسَ[1] تبرُّجا
يـــا قاعـــةَ الوعـــساءِ مـــا هذا الشذا ... أحـــويتِ شـــيحاً أمْ حـــويتِ بنفسجا
أمْ نـــسمةً هـــبَّتْ بـــبانِ طُويلـــعٍ ... هـــزَّتْ معاطفـــهُ ففـــاحَ تأرّجـــا
ظمـــأى إلى غدرانـــهِ ومـــياههِ ... ظمـــأٌ يـــزيد القلـــبَ مـــنهُ تأججـــا
مـــا للنـــياقِ رواقـــصاً هـــلْ عاينَتْ ... بـــرقَ الأُبـــيرِقِ تحـــتَ أذيـــالِ الدجى
يـــا ســـعدُ إنْ عايـــنْتَ بهجـــةَ طيبة ... فابـــشرْ بكـــونكَ ناجـــياً فـــيمن نجـــا
وانـــزلْ وقـــبِّلْ تـــربَها مـــتورِّعاً ... متخـــضِّعاً متخـــشِّعاً متفـــرِّجا
واكحـــلْ جفـــونَكَ منْ ثراها وابتهجْ ... بـــسنا نـــبيٍّ مـــا أعـــزَّ وأبهجـــا
أعلـــى الـــورى قـــدْراً وأعظمُهُمْ تقىً ... وأتمهـــمْ جاهـــاً وأكملُهـــمْ حجـــا
وأحـــدُّهم ســـيفاً وأكثـــرُهُمْ نـــدى ... وأعـــزُّ منزلـــةً وأوضـــحُ مـــنهجا
مـــنْ أيـــنَ في الـــثقلينِ مـــثلُ محمدٍ ... نـــرجوهُ في كـــرباتِنا أَنْ تُفـــرجا

---

(١) في نسخة: يهش.

(٢) في نسخة: مأرب.

كـــمْ للـــنبيِّ محمـــدٍ مـــنْ معجـــزٍ أوهـــى قـــوى مَـــنْ عانـــدوهُ وأزعجا

عجـــبي لـــنطقِ غـــزالةٍ للمـــصطفى جعـــلَ الإلـــهَ لهـــا بـــذلكَ مخـــرجا

لـــو لمْ يُـــشَقَّ الـــبدرُ معجـــزةً لـــهُ لانـــشقَّ مـــنهُ غـــيرةً وتحـــرّجا

لمْ لا تحـــنُّ إلـــيه يـــا قلـــبي وقـــدْ غلـــبَ الحـــنينُ الجـــذعَ فـــيه وهـــيّجا

ســـبحانَ مـــنْ أعطاهُ تسبيحَ الحصى في كفّـــه المُـــرْوي إذا عطـــشٌ فجـــا

أوَلـــيسَ بـــيتُ العنكـــبوتِ بآيـــةٍ في الغـــارِ لمّـــا أُلْهِمَـــت أنْ تنـــسجا

كـــم ردَّ عيـــناً كـــم بـــرا ذا عاهةٍ بدعائـــه كـــمْ شـــدَّةٍ قـــدْ فـــرَّجا

كـــم قـــالَ غيـــباً صـــادقاً فمقالُـــهُ مـــثلُ الـــصباحِ إذا بـــدا متـــبلّجا

ولـــهُ مـــنَ المعـــراجِ آيـــاتٌ سمَـــتْ لمـــا دعـــاهُ اللّـــهُ في لـــيلٍ ســـجا

مَـــنْ رامَ يحـــصي معجـــزاتِ محمـــدٍ فـــيعدّ مـــوجَ البحـــرِ حـــينَ تمـــوَّجا

مَـــنْ أُنـــزِلَ القـــرآنُ في أوصـــافه أنـــا قاصـــرٌ عَـــنْ مدحِـــه مـــتلجلجا

هـــلْ بعـــدَ يـــس و طـــه مدحـــةٌ في الهاشمـــيِّ وآلـــهِ ســـفنِ الـــنجا

يـــا خـــيرَ خلـــقِ اللّـــهِ يـــا كلَّ المنى أنـــا أرتجـــيكَ وأنـــتَ نعـــم المرتجى[1]

يـــا مـــنْ لـــواءُ الحمـــدِ في يدهِ ومَنْ تـــاجُ الكـــرامةِ في القـــيامةِ تـــوِّجا

جـــسمي ضـــعيفٌ عنْ لظى وعذابُها حاشـــاكَ تنـــسى مَـــنْ إلـــيكَ قد التجا

كـــنْ لي شـــفيعاً إنَّ جسمي[2] مثْقل بالـــسيِّئاتِ وقـــدْ شـــجاني مَـــنْ شجا

كـــم ذا أُســـوِّفُ بالمـــتابِ توانـــيا حـــقٌّ لدمعـــي بالـــدما أن يُمْـــزَجا

إني لأحْـــوَجُ مـــذنب لـــشفاعةٍ إنَّ الكـــرامَ يقدِّمـــونَ الأحْـــوَجا

صـــلّى علـــيكَ اللّـــهُ يـــا خيرَ الورى مـــا نـــارَ نـــورٌ مِنْ ضريحكَ في الدجى

---

(١) لعله يقصد بأرتجيك أي أرتجي شفاعتك، وإلا فلا يجوز الرجاء لغير الله تعالى نبيا كان فمن دونه.

(٢) في نسخة: ظهري.

وقال

سـيدي قـدْ بـدأتني بكـتاب فـيه ألفـاظُ مَـنْ أحـبَّ فعاتَـبْ
أنـتَ كاتبـتني لتـرفعَ قـدري كـنتُ عـبداً لكـمْ فـصرتُ مُكاتَبْ

وقال وتعجبت من اشتهار هذين البيتين اللذين ما أحكمهما بانيهما ولا أعتني بمعانيهما، ومع رواة السبك سارا وحظهما يقول قفا نضحك من قفا نبك.

مقامـاتُ الغـريبِ بكـلِّ أرضٍ كبنـيانِ القـصورِ علـى الـثلوجِ
فـذابَ الـثلجُ وانهـدمَ البـنايا وقـدْ عـزمَ الغـريبُ علـى الخـروجِ

فخلصتهما من ذل مقامات الغريب بكل أرض، وأوقدت فكرتي فذاب الثلج وانهدم البنايا المستحقة للنقض، وجعلت لهما اسما في الأسماء، ونقلتهما من كثافة الأرض إلى لطافة السماء، فقلت:

وقال

مليـحٌ ردفُـهُ والـساقُ مـنهُ كبنـيانِ القـصورِ علـى الـثلوجِ
خـذوا مـنْ خـدِّهِ القـاني نـصيباً فقـد عـزمَ الغـريبُ علـى الخروجِ

قال وقلت وهو تضمين حسدني عليه من يشير إلى نفسه بالتعظيم، ويحكم على أحزاب الشعراء إذا اقتربت لمجادلته بالتحريم، فحول شطريه وادعاه لنفسه، وتعاظم به بين ذوي مذهبه وأبناء جنسه، فالحمد لله الذي أحوجه على كثرة دعواه إليّ، وجعله في مثل ذلك يتطفل عليّ، حيث قلت:

فـيا سـائلي عـنْ مـذهبي إنَّ مذهبي ولاءٌ بـهِ حـبُّ الـصحابة يُمـزجُ
فمـنْ رامَ تقويمـي فـإني مقـوَّمٌ ومَـنْ رامَ تعويجـي فـإني مُعَـوَّجُ

وقال

مهفهـفُ القـدِّ إذا مـا انـثنى قـالَ ولا يخـشى مـنَ الـردِّ
مـا أنـتَ حملـي يـا كثيبَ اللوى ولـستَ يـا غـصنَ الـنوى[1] قدي
لـوْ نلـتُ مِـنْ خدِّيـهِ تقبـيلةً تـزيَّنَ الـريحانُ بالـوردِ

---

(١) في نسخة: النقا.

وقال

نارنجـــــــــةٌ في غـــــــــصنِها ... وهْـــــــو نـــــــضيرٌ أمْلَـــــــدُ

ككـــــــرةٍ مـــــــنْ ذهـــــــبٍ ... جـــــــوكاهُا زبـــــــرجدُ

وقال

مـــا صـــحبةُ الـــسجّانِ محمـــودةٌ ... فاحـــذرْ مـــنَ الـــسجانِ في الجملَـــهْ

كـــم حبـــسوا[1] مـــنْ مجـــرمٍ عـــندَهُ ... فحـــازَ مِـــنْ كـــلِّ امـــرئٍ خـــصلَهْ

وقال

اتـــركْ بحقِـــكَ مـــا يقـــولُ المـــبغضُ ... أنـــا قـــدْ رضيتُ الموتَ فيهم إنْ رضوا

هـــمْ نـــورُ عـــيني والـــسوادُ لناظري ... فـــإذا ســـلوهُمُ بمـــنْ أتعـــوَّضُ

بانـــوا فـــبانَ الـــصبرُ عـــنْ باناتِـــهِ ... وقـــرينَ ســـهدي[2] قبضوا[3] مذْ قوّضوا

كـــم خلَّفـــوا مـــتطلّعاً بطويلـــعٍ ... وبـــرامةٍ كـــم مـــن صـــحيحٍ أمرضوا

أنـــا قـــدْ رضـــيتُ بـــأنْ أموتَ بحبِّهم ... كمـــداً فـــلا يتعـــرَّضِ المتعـــرِّضُ

وقال

أُنـــاسٌ مـــا اســـتطعتُ لهـــم ســـلُوّاً ... ولا عتـــباً وليـــتنيَ اســـتطعتُ

أكاتـــبهمُ وأعـــرضُ عَـــنْ أذاهـــم ... كـــأني مـــا رأيـــتُ ولا سمعـــتُ

وقال[4]

وَمَـــا يَـــدْرِي الـــصَّدَى فِي النَّحْوِ شَيْئًا ... ســـوَى بَـــابِ الحِكَايَـــةِ وَالخِطَـــابِ

إِذَا نَادَيْـــتَ أَيْـــنَ مَـــضَى صِـــحَابِي ... حَكَـــاكَ وَقَـــالَ أَيْـــنَ مَضَى صِحَابِي

---

(١) في نسخة: سجنوا.

(٢) في نسخة: نومي.

(٣) في نسخة: قيضوا.

(٤) سقط هذان البيتان من بعض النسخ.

وقال مرثية وهي من مبادئ نظمه

دمـــــوعٌ يــــستبقْنَ إلى الــــنحورِ ... ونـــيرانٌ تـــشبُّ مـــنَ الـــصدور

ونـــاعٍ للحـــبائبِ كـــلَّ يـــومٍ ... وطـــولُ الحـــزنِ في العمـــر القـــصيرِ

أيمـــضي لي نهـــارٌ لم يـــرعْني ... ويتـــركني الـــزمانُ بـــلا زفـــيرِ

فـــوا أســـفا علـــى عـــيشٍ مـــضى لي ... بـــبدرٍ كـــانَ يـــزري بالـــبدورِ

سمعـــتُ نعـــيَّهُ فعـــدمْتُ صـــبري ... وفقْـــدُ الإلْـــفِ مـــا هـــو باليـــسيرِ

فـــيا بـــدرَ الـــسماءِ أراكَ تـــبدو ... وقـــدْ واروا سمـــيَّك في القـــبورِ

ويـــا مطـــرَ الـــسماءِ أراكَ تهمـــي ... أظـــنُّكَ باكـــياً صـــدرَ الـــصدورِ

أمـــا واللّـــهِ لـــو أنّـــا قَـــدرْنا ... غـــسلْنا الـــبدرَ بالدمـــعِ الغزيـــرِ

ولكـــنَّ الدمـــوعَ دمٌ عبـــيطٌ ... وشـــرطُ الغـــسلِ بالمـــاء الطهـــورِ

وكـــنّا لـــهُ في الـــصدورِ[4] حَفَـــرْنا ... ومـــثلُ الـــبدرِ يُجعـــلُ في الـــصدورِ

لقـــدْ بلـــغَ المـــنى قـــبرٌ حـــواهُ ... أتتـــسعُ المقابـــرُ للـــبحورِ

أبـــدرَ الـــدينِ عـــزَّ علـــيكَ صـــبري ... وطـــاشَ العقـــلُ واختـــلَّتْ أمـــوري

أبـــدرَ الـــدينِ كـــيفَ هجـــرتَ أهلاً ... وترضـــى بالقـــبور عـــن الـــصدورِ[1]

أبـــدرَ الـــدينِ هـــلْ تُفـــدى بمـــالٍ ... فـــنبذلَ[2] كـــلَّ مذخـــورٍ خطـــيرِ

أبـــدرَ الـــدينِ كـــنتَ أخـــاً وفـــيّاً ... تجـــلُّ عـــن القـــساوةِ والقـــبورِ[3]

فكـــيفَ ســـكنتَ في جـــناتِ عـــدنٍ ... وقلـــبي مـــنكَ في نـــارِ الـــسعيرِ

وكـــيفَ رضـــيتَ هـــذا الـــبعدَ لكنْ ... قـــضاءُ الـــواحدِ الـــربِّ القديـــرِ

ولـــو أنّـــا صـــبرْنا كـــانَ أولى ... فمـــا نـــالَ الـــثوابَ ســـوى الصبور

وفي خـــيرِ الأنـــامِ لـــنا عـــزاءٌ ... وغايتـــنا إلى هـــذا المـــصيرِ

---

(١) في نسخة: القصور.

(٢) في نسخة: فيبدل.

(٣) في نسخة: والفتور.

(٤) في نسخة: في الصدور له.

ســــألتُ اللهَ يـــــسكنُهُ جـــــنانـاً ويـــــزلفهُ بـــــولدانٍ وحــــورِ
ويعقبـــــنا وإيـــــاهُ سماحــــاً ومغفـــرةً ويعفـــو عـــنْ كـــثيرِ

وقال موشحًا

مذهبي حبُّ رشا ذي جسد مُذهَّبِ قَدْ حُبي حسناً بهِ يستعذبُ القدحَ بي
عاذلاً ما أنتَ في لومكَ لي عادلا
سائلا يخبركَ دمعٌ قدْ همى سائلا
آه لا تعذل فما قلبي بذا آهــلا
منصبي والعقلُ أذهبْتهُما مِنْ صـبي ما رُبي إلاّ وقدْ ربي فيهِ مــا ربي
رقَّ ما في خدِّهِ الورديِّ قدْ رقمــا
عندما رأيتُ دمعي قدْ حكى عندما
ضرَّما في مهجتي مِنْ هجرِهِ ضرَّما
منْ أبي يأبى الرضى نلتُ الجفا من أبي فارعَ بي رضاهُ يا قلبُ تهْ[1] وارعبِ
من صَلَى لي فخَّهُ بل قدْ نضا منصلا
بلبلا فؤادُ مضناهُ بلى بل بـــلا[2]
أو ولا[3] ملازم آخـــــره أولا
فانْهَ بي غيري ولذاتِ الغرامِ الهَبِ وَالْهَ بي عن عذل[4] بل يا حشاي الهبي
ما نسي طيبَ زمانِ الوصل فيِّ ما نسي
والمسي رقيبنـــا بالكـــف لم ألمـــس
جانسي حربي[5] فألفى كلما جانسي

---

(١) في نسخة: وته.

(٢) في بعض النسخ تأخير هذا البيت عما بعده.

(٣) في نسخة أو لا.

(٤) في نسخة: عدل.

(٥) في نسخة: حزني.

وارْقَ[1] بي يا طرفُ سهداً والنجومَ ارقبِ   واشن بي مَنْ لم يهمْ في ثغرِ أشنـــبِ

وقال متشوقًا إلى المعرة

قِـــفْ وِقفَـــةَ المـــتألِّمِ المـــتأمِّلِ   بمعـــرةِ الـــنعمانِ وانظـــرْ بي ولي
تلـــكَ المعاهـــدُ والمعـــالمُ والـــربى   وملاعـــبُ الغـــزلانِ والمتغـــزلِ
وطـــنٌ يخـــيِّلُ لي تخـــيُّله الـــصبا   في ذكـــرهِ ذكـــرُ الـــزمانِ الأول
زمـــنٌ قطعـــناهُ وكـــنّا صـــبْيةً   لا يـــسألونَ عـــنِ الـــسوادِ المقـــبلِ
للّـــهِ أيـــامُ الـــصِّبا وجـــنونُهُ   وفـــنونُهُ وغـــصونُهُ لم تـــذبلِ
يـــا لـــيتَ أمـــرَ صـــبايَ عاودني لكي   أشـــكو إلى الماضـــي مـــن المـــستقبلِ
يـــا ســـعدُ زُرْ أرضَ المعـــرةِ نائـــباً   عنِّـــي وســـرْ فـــيها مـــسيرَ مـــبجَّلِ
وإذا نظـــرتَ إلى الخزامـــى يانعـــاً   قـــفْ وابْـــكِ منْ ذكرى الحبيبِ ومترلِ
وادي المعـــرةِ في الـــنفوسِ معظَّـــمٌ   لا ســـيَّما زمـــنُ الـــربيعِ المقـــبلِ
هرماسُـــها لمـــا تخـــضَّبَ ســـيفُهُ   بعـــثوا إلـــيهِ مـــنَ النـــسيمِ بـــصيقلِ
مـــذْ أطـــربَ الأغـــصانَ صوتُ خريرهِ   مالـــتْ إلـــيهِ ونقَّطَـــتْهُ بالحلـــي
في روضـــةٍ عـــبثَ النـــسيمُ بخـــدِّها   فتـــضمَّخَتْ[2] بالطـــيبِ كفُّ الشمألِ
باتـــتْ يـــضاجعُها الـــندى فـــتعلَّقَتْ   بذيـــولِهِ تفديـــهِ مِـــنْ مُتـــرحِّلِ
نـــشرَتْ عـــساكرَ دوْحِهـــا مِنْ حولِها   خـــيماً تَلـــوَّنُ كالعـــرائسِ تنجلـــي
شـــابتْ بهـــا الأغـــصانُ شـــيباً ناصلاً   وســـوى الغـــصونِ مـــشيبُها لم ينصلِ
يبكـــي الغمـــامُ لهـــا ويبتـــسمُ الثرى   ضـــدَّيْنِ فعـــلُ أخـــي الصبابةِ والخلي
وادي فـــضالتِها[3] وبـــابُ شـــباهِا   كفـــلا لـــساكنِها بـــسعدٍ مكْمَـــلِ
قلـــبي لعـــينِ زريـــقَ صـــادٍ شينَ مَنْ   أَلِـــفَ العـــتابَ ولامَ لـــومَ مـــضلّلِ

---

(١) في نسخة: فارق.

(٢) في نسخة: فتخضبت.

(٣) في نسخة: وأرى نضارهًا.

يا عاذلي كنْ عاذري في حبِّها   يفنى القميصُ وفيه عرفُ المندلِ
لو زرتُها لفتحْتُ بابَ جنانها   وأقولُ يا نفسُ اطمئني وادخلي
إنَّ القلوبَ إلى القلوبِ مشوقةٌ   قدْ أذكرتْها بالرحيقِ السلسلِ
وزهورُها وطيورُها وسرورُها   وقصورُها وديورُها للمجتلي
اللّهُ قدَّرَ رحلتي عن ربعِها   يا قلبُ لا تهلكْ أسى وتجمَّلِ[1]
يا ليتَ قومي يعلمونَ بنعمتي   لكنْ لأجلِ فراقِها لم تكملِ
أقسمْتُ لوْ نطقَتْ لأبدَتْ شوقَها   نحوي كشوقي نحوها وترقُّ لي
لَمْ لا ترقُّ لدمعِ عينٍ ما رقا   وجوارحٍ جرْحَى وبالٍ قدْ بلي
موتي حسينيٌّ بها ومَلامُكُمْ   فيها يزيدٌ وقدرُها عندي علي

وقال

حكامَ مصرَ كلكُمْ   لنحسِ زيدٍ منتبهْ
رأيتموهُ درَّةً   صفعتمُ الساحلَ بهْ

وقال

بموتِ عبّودِ ابنِ جبرٍ   قَدْ أيسَ القلبُ منْ أبيهِ
هلْ قبرُهُ الروضُ أو سماءٌ   فالغصنُ والبدرُ حلَّ فيهِ

وقال

وربَّ غزالةٍ طلعتْ   بقلبي وهْوَ مرعاها
نصبتُ لها شباكاً منْ   نضارٍ ثمَّ صدْناها
فأغنتني بملقاها   وألقتني بمغناها
وقالتْ لي وقدْ صرنا   إلى عينٍ قصدناها
وزنتَ العينَ فاكحلْها   بطلعتها بمجراها

---

(١) ضمن بيت امرئ القيس:
وُقوفًا بِها صَحبي عَلَيَّ مَطِيهُم   يَقولون لا تَهلِك أَسىً وَتَجَمَّلِ

وقال

هـــــويتُ أعــــــرابيةً ريقُهـــــا ... عــــذْبٌ ولي فـــيها عـــذابٌ مـــذابْ

رأســـي بهـــا شـــيبانُ والطـــرفُ مـــنْ ... نـــبهانَ والعـــذّالُ فـــيها كـــلابْ

وقال

كأنمـــــا الفانــــوسُ في حـــسنه ... بـــدرٌ علـــيهِ ظُلّـــةٌ مـــنْ غمـــامْ

صـــفا كـــودي وحكَـــتْ نـــارُهُ ... وجـــدي ومثلـــي لـــيلَهُ لا يـــنامْ

وقال

وفـــــــستقٍ زادَ حـــــــسنا ... أتـــــاكَ مِـــــنْ كـــــفِّ ريمِ

زمـــــــرُّدٌ في عقـــــــيق ... في عاجـــــــــــــــةٍ في أديمِ

وقال في مسطرة

قُـــــسِّمْتُ قـــــسمةَ عـــــدْلٍ ... فـــــصرْتُ عـــــندَ الـــــصدورِ

وقـــــدْ تقـــــنَّعتُ مِـــــنهمْ ... بمـــــا يقـــــيمُ ســـــطوري

وقال معاتبًا للعلامة كمال الدين بن الزملكاني

هُنـــيتَ عامـــاً مقـــبلاً مقـــبلاً ... علـــيكَ بالـــسعدِ وعـــيشٍ حـــلا

مـــولايَ يـــا مَـــنْ قلـــبُهُ راحـــمٌ ... وَهْـــوَ أحـــقُّ الـــناسِ أنْ يعـــدلا

محـــبتي تقـــضي بمكثـــي هـــنا ... وحـــالتي تقـــضي بـــأَنْ أرحـــلا

حـــسبْتُ في أيـــامكم رفعـــةً ... ومـــا خـــشيتُ الدهـــرَ أنْ أنـــزلا

فقلـــتُ مـــن يرضـــى خمـــولي إذنْ ... فكـــنتَ أنـــتَ المحـــسنُ المجمِـــلا

أتقـــنتَ في أيامِـــكَ البـــيعَ وال ... صـــرفَ ومـــا دافـــعَ بـــابَ الـــولا

إني إلى التفلـــــيسِ مـــــاضٍ إذا ... أهملـــتَ هـــذا الأمـــرَ مـــستقبلا

لم أنـــسَ لا أنـــسى رســـولاً أتـــى ... بـــنقلتي لا أعـــدمُ المرســـلا

قلـــت رســـولي رمْـــتُ جرِّي عن الـــ ... أهلـــينَ مـــاذا أنـــتَ مِـــنْ أم[1] إلى

---

(١) في نسخة: أو.

قَـــالَ أنــــا مـــنْ قلـــتُ لا إنَ مِـــنْ ... للابـــتدا أنـــتَ[1] كـــذا قــــال لا

أنـــــا إلى قلـــــت إلى نعمـــــةٍ ... وجمعُهــــا الآلاءُ عـــــندَ المـــــلا

أيـــــنَ هـــــيَ الـــنعمةُ في قاطـــعٍ ... بقـــربه مـــا حـــقَّ أَنْ يوصَـــلا

قـــالَ فمـــا سميـــتني بعـــدَها[4] ... واحـــذرْ عـــن التوجـــيه أنْ تـــذهلا

قلـــتُ لــهُ جـئتَ بنفـــيٍ عـــن الـــ ... جـــنسِ فحـــقٌ أنْ نـــسميكَ لا

قـــالَ انـــصرفْ قلـــتُ انـصرافي على ... مـــذهبِ أهـــلِ الـــنحوِ لَـــنْ يجمـــلا

فالعـــدلُ والتعـــريفُ عـــندي ولي ... منزلـــةٌ في الـــنحوِ لـــن تُجهـــلا

قـــالَ أضـــفناكَ إلى منـــصبٍ ... آخـــرِ فالـــصرفُ أرى أَمْـــثَلا

قلـــتُ شـــويتَ القلـــبَ مـــني بمـــا ... جـــئتَ فاســـتوصِ بي مُجمِـــلا

قـــالَ وكـــمْ قلـــبٍ علـــى منـصبٍ ... شُـــوي بـــنارِ العـــذل[2] حـــتى انسلى

قلـــتُ مكـــاني عامـــرٌ والـــذي ... بدَّلْـــتَهُ مَـــرْبَعُهُ قَـــدْ خـــلا

قـــالَ اسمُـــكَ المعـــدولُ عـــنْ عامـــرٍ ... قـــضى عـــنِ العامـــرِ أنْ تعـــدلا

قلـــتُ لــهُ ويلَـــكَ مثلـــي كـــذا ... يـــضيعُ في الـــبرِّ العلـــى[3] مهمـــلا

والجاهـــلُ الخـــائنُ في منـــصبٍ ... عـــالٍ وأرضـــى لا وربِّ العلـــى

بـــيِّنْ ليَ القـــصدَ وصـــرِّحْ بمـــا ... تـــراهُ في أمـــري فقـــدْ أُشـــكلا

قـــالَ رآكَ الدهـــرُ أهـــلاً لمـــا ... وَليـــتَهُ فاخـــتارَ أَنْ تخمـــلا

عـــرضٌ وشـــكلٌ وذكـــاءٌ أمـــا ... تعـــذرُهُ في حـــسدٍ ضـــلَّلا

فعـــندما قـــالَ الـــذي قالَـــهُ ... رســـولكم أوضَـــحَ مـــا أعـــضلا

وبـــانَ لي مـــا يقـــصدُ الدهـــرُ لي ... لكـــنْ رأيـــتُ الـــصبرَ بي أجمـــلا

وانقطـــعَ الـــبحثُ وزالَ المـــرا ... فقدمـــوا الـــناقصَ والأجهـــلا

تـــاللهِ لا باشـــرْتُ مـــنْ بعـــدِها ... حُكمـــاً ومَـــنْ يرضـــى بهـــذا الـــبلا

---

(١) في نسخة: للابتداآت.

(٢) في نسخة: العزل.

(٣) في نسخة: لقا.

(٤) في نسخة: قلت قل.

وقال

لــــكَ خـــدٌّ كـــلُّ مَـــنْ قَـــبَّلَهُ   أَضْـــمَنُ الجـــنةَ والـــنارَ لـــهُ
كـــمْ لـــهُ مثلـــي محـــبٌّ صـــادقٌ   كـــمْ لـــهُ ســـبحانَ مَـــنْ كَمَّلَـــهُ

وقال[1]

قَـــالَ وَقَـــدْ عَانَقْـــتُهُ   عِـــنْدي مِـــنَ الـــصُّبْحِ قَلَـــقْ
قَـــالَ وَهَـــلْ يَحْـــسُدُنَا   قُلْـــتُ نَعَـــمْ قَـــالَ انْفَلَـــقْ

وقال

أفـــشى إليَّ صـــاحبي   ســـراً وَقَـــدْ لقيـــتُهُ
فقـــالَ هـــلْ حفظـــتَهُ   فقلـــتُ بـــلْ نـــسيتُهُ

وقال

التـــركُ ملـــحُ الأرضِ في عـــصرِنا   والفلَـــكُ الدائـــرُ في ســـعدِهِمْ
تعـــرفُ مَـــنْ يعـــرفُ مقـــدارَهم   مَـــنْ ذاقَ جَـــوْرَ المغـــلِ مِـــنْ بعدِهِمْ
اللهُ لا يـــوحشُ مـــنْ أُنـــسهم   فجـــورُهُمْ أَهْـــوَنُ مِـــنْ فقـــدِهِمْ

وقال

قـــلْ لـــبني[3] الـــناسِ علـــى زعمِهِمْ   بـــأنهمْ أصـــلَحُ[2] بالملْـــكِ
قـــدْ فَـــسَدَتْ واللهِ نـــياتُهمْ   فـــلا عدمْـــنا دولـــةَ التـــركِ

وقال

لا عـــادَ عُمْـــرٌ مـــضى لي   في الحكـــمِ غـــالٍ بـــساعةْ
لا في ســـرورٍ ولهـــوٍ   ولا صـــلاحٍ وطاعـــةْ

---

(١) سقط هذان البيتان من بعض النسخ.

(٢) في نسخة: أليق.

(٣) في نسخة: إن بني.

وقال يرثي الشيخ الصالح مهنا بن إبراهيم بن القدوة مهنا الفوعي

اسأل الفوعةَ الشديدةَ حزْناً ... عن مُهنَّا هيهاتَ أينَ مُهَنَّا

أينَ زينُ البلادِ عينُ البرايا ... شيخُ أهلِ الزمانِ لفظاً ومعنى

أينَ مَنْ كانَ أبهجَ الناسِ وجهاً ... فَهْوَ أسمى منَ البدورِ وأسنى

أينَ خلفُ الصلاةِ والصومِ زهداً ... مَنْ على مثله الخناصرُ تُثنى

أين شيخي وقدوتي وصديقي ... وحبيبي وكلُّ ما أتمنى

وأشدُّ الصحابِ عوناً[2] وأوفا ... هم وقاراً وأضحكُ الناسِ سنَّا

يا لها مِنْ رزيَّةٍ[3] ووفاةٍ ... طبقَتْ بالمصابِ سهلاً وحزنا

كيفَ لا يعظمُ المصابُ لصدرٍ ... نحنُ منهُ مودة وَهْوَ منَّا

جعفريُّ السلوكِ والوضعِ حتى ... قالَ عَبْسٌ عنهُ مُهنَّا مهنا

أيُّ قلبٍ بهِ ولوْ كان صخراً ... ما يحاكي الخنساءَ نوحاً وحزنا

أذكرَتْنا وفاتُه بأبيه ... وأخيه أيامَ كانوا وكنَّا

مِنْ عظيمِ البلاءِ فقدُ عظيمٍ ... كانَ للسالكين ذخراً وركنا

أصبحَ القلبُ بعدَهُ في جحيمٍ ... وَهْوَ حَبْرٌ في جنةٍ[1] يتهنى

يا عيوني لم تنظري كمهنا ... أسعديني بمدمعٍ ليس يفنى

أظلمَتْ بعدَهُ البلاد وقالتْ ... ما بَقِيْ مَنْ يقيم للزهدِ وزنا

يا مهنَّا أنا المنغَّصُ وحدي ... لا بل العالمونَ إنساً وجنَّا

فسأبكيكَ ما حييتُ وحقي ... أنني لا أقرُّ بعدَكَ جَفْنَا

كم حسبنا مِنَ الأمورِ ولكنْ ... ما حسبنا سريعَ بُعْدكَ عنَّا

يا دفيناً قبلي ولو كان هذا ... باختياري لكنْتُ قبلَكَ دَفْنَا

---

(١) في نسخة: في جنة العلا.

(٢) في نسخة: الإسلام خوفًا.

(٣) في نسخة: رزيئة.

ليـــتني مــــتُّ قـــبلَ هــــذا فــــإني حامــلٌ فــيكَ مــا شــجاني وأضــنى
ســـيدي أنـــتَ كـــنتَ تُؤْثِـــرُ هـــذا زالَ ذاكَ الأذى وفارقْـــــتَ ســــجنا
ولقـــيتَ الكـــريمَ والمرتجـــى مِـــنْ فـــضله أنْ تـــنالَ مـــا تـــتمنى
فاذكـــرِ العهـــدَ واحـــتفلْ بـــصديقٍ حـــسَّنَ[1] الظـــنَّ فـــيكَ لا خابَ ظنَّا
قـــدَّسَ اللهُ ســـرَّ قـــبرٍ[3] مهـــنا فَهْـــوَ مِـــنْ أطـــيبِ الـــبقاعِ وأهـــنا
وســـقى قـــبرَ جـــدِّهِ وأبـــيهِ وأحـــيهِ غيـــثاً تبـــسَّمَ مـــزنا[2]
ورعانـــــا بجـــــاههم وحمانـــــا بجمـــاهُمْ وبـــدَّل الخـــوفَ أمـــنا

وقال وقد فتح الله وله الحمد قلعة التفتر من يدي الأرمن والفرنج تأدبًا لمن يقف عليها

جهـــادُكَ مقـــبولٌ وعامُـــكَ قابـــلُ ألا في ســـبيل المجـــدِ مـــا أنـــتَ فاعلُ
تجاهـــدُ بالخَطـــيِّ[5] والخـــطِّ في العدى فمالَـــكَ في هـــذا وهـــذا مماثـــلُ
هنيـــئاً بعـــودٍ مـــنْ جهـــادٍ مـــباركٍ علـــى الـــناسِ بالجـــناتِ كافٍ وكافلُ
إذا حـــلَّ مـــولانا بـــأرضٍ يحلـــها عفـــافٌ وإقـــدامٌ وحـــزمٌ ونائـــلُ
وإنْ لاحَ في القـــرطاسِ أســـودُ خطِّـــهِ يقـــولُ الدجـــى يـــا صبحُ لونُكَ حائلُ
لأقلامِـــكَ الـــسمرِ العـــوالي تواضعَتْ وهابَـــتْكَ في أغمـــادهِنَّ المناصـــلُ
نـــزلْتُم علـــى الحـــصنِ المنـــيعِ جنابُهُ فلـــيس[4] تـــبالي مَـــنْ تغـــولُ الغوائلُ
نـــصبتمْ علـــيهِ للحـــصارِ حـــبائلاً كمـــا نُـــصبَتْ للفـــرقدينِ الحـــبائلُ
فزلـــــزلتموهُ خـــــيفةً ومهابـــــةً فأثقـــلَ رضـــوى دونَ مـــا هوَ حاملُ

(١) في نسخة: يحسن.
(٢) في نسخة: مزنا تبسم دجنا.
(٣) في نسخة: قبر سر.
(٤) في نسخة: فلست.
(٥) في نسخة: الحظيِّ.

ألا إنَّ جيشاً للنقير[٣] فاتحاً لآت بما لمْ تستطعْهُ الأوائلُ
فكمْ أنشدَ التكفورُ باحصنُ لا تبلْ ولو نظرتْ شرزًا[١] إليكَ القبائلُ
فقالَ لهُ اسكتْ ما رأيتَ الذي أرى وأيسرُ هجري أنني عنكَ راحلُ
ألمْ ترَ ما قدْ حلَّ بي منْ قتالهمْ ولا ذنبَ لي إلا العلى والفواضلُ
فأصبحَ منْ جورِ الحصارِ كأنَّهُ أخو سقطةٍ أو ظالعٌ[٢] متحاملُ
رميتُمْ حجارَ المنجنيقِ عليهُم ففاخرتِ الشهبَ الحصى والجنادلُ
حجارةُ سجيلٍ لها البدرُ خائفٌ على نفسِهِ والنجمُ في الغربِ مائلُ
وعدتم وللفتحِ المبينِ تباشرَتْ[٥] وقدْ حُطِّمَتْ في الدارعينَ العواملُ
وفلَّ قتالَ المشركينَ سيوفُكم فما السيفُ إلا غمدُهُ والحمائلُ
لعمري لقدْ كانَ النقيرُ مانعاً ويقصرُ عن إدراكِهِ المتناولُ[٤]
وكانَ عنِ الإسلامِ أعظمَ آبقٍ فأُوثقَ حتى نَهْضُهُ متثاقلُ
بغى فبغى[٦] ألطنبغا الفتحَ منشدًا ويا نفسُ جدِّي إنَّ دهرَك هازلُ
فأنشدَهُ الحصنُ المنيعُ ملكتني ولو أنني فوقَ السماكينِ نازلُ
وقصَّرَ طولي عندكم حسنُ صبرِكمْ وعندَ التناهي يقصُرُ المتطاولُ

وقال

ثقيلةُ ردفٍ قصدها قتليَ بهِ فقلتُ لها إنْ تقتلي النفسَ تُقتلي
فقالتْ ترى نعمانُ خدِّي ابنُ ثابتٍ وما منْ قصاصٍ عندَهُ بمُثَقَّلِ

---

(١) في نسخة: شزرًا.

(٢) في نسخة: ضالع.

(٣) في نسخة: للتفتر.

(٤) في نسخة: المتطاول.

(٥) في نسخة: تباشر.

(٦) في نسخة: فبا.

وقال وكتب بهما إلى القاضي فخر الدين بن البارزي وقد ولاه شيزر

أيــا باعثــي أقــضي بــشيزرَ ما الذي ... أردْتَ قــضا أشــغالِهِمْ أم قــضا نحبي

حكــيْتُ بهــا الــناعورَ حــالاً لأنني ... بكــيتُ على جسمي ودرتُ على قلبي

وقال وكتب بهما لابنه محمد

قــيلَ لي شــيزرُ نــارٌ ... وبهــا العاصــي مخلَّــدْ

قلــتُ لا أمكــثُ فــيها ... أنــا مِــنْ حــزبِ محمــدْ

وقال

عجــبتُ لمــنْ تعمَّــدَ بَخْــسَ حقّي ... نــوى قــصري بــهِ فــازدادَ طــولي

فعلمــني بــهِ إعــزازَ نفــسي ... ونــبهني علــى طــيبِ الخمــولِ

وقال

تخاطــبني بــلا كــرمٍ وحلــمٍ ... فأحــتملُ الأذى كــرماً وحلمــا

ولــو حَــسُنَ الجــوابُ لكــانَ عندي ... جــوابٌ يــسمعُ[1] الــصخرَ الأصما

وقال

حمــاةُ مــذْ فارَقَهــا شــيخُنا ... قَــدْ أعظَــمَ العاصــي بهــا الفــريَهْ

صــرتُ[2] كمــن ينظــرُها بلقعًــا[3] ... أو كالــذي مــرَّ علــى قــريَهْ

وقال

قــلْ لِمــنْ أعــرضَ عــنَّا ... وتجــافى وتعــالى

مــا بإعراضِــكِ عــنَّا ... يُعــرضُ اللهُ تعــالى

---

(١) في نسخة: يفلق.

(٢) في نسخة: هوت.

(٣) في نسخة: هاربا.

وقال مضمنًا للمثل

مــــريدُ القـــــضا بالقـــــرى[1] لـــــــهُ حلـــــــبٌ قاعـــــــدَهْ
فـــــــــيطلعُ في ألفِــــــــــــه ويـــــــــترلُ في واحــــــــــدِهْ

وقال مضمنًا شطر بيت المتنبي

أحــدِّثُ عــنْ أهــلِ التزهدِ والتقى وأجلــو معانــيهم ومــا أنــا مــنهمُ
فلــمْ تلــقَ غــيري طالحــاً ظُنَّ صالحاً ولمْ تَــرَ[2] قبلــي ميــتاً يــتكلمُ

وقال

أجـــزتُهم كـــلَّ مـــا أرادوا إذا وفى شــــــرطَهُ العزيــــــزُ
قـــوماً أحـــقُّ الـــورى بمدحـــي فهـــا أنـــا المـــادحُ المجيـــزُ

وقال دو بيت

يــا خمــرةَ ثغــرِهِ الــشهيِّ الــبرْقِ مــا حــرمَكِ الــشاربُ فارعيْ حقي
كانَــتْ شــفتاهُ حُــقَّ درٍّ بهــجٍ والــشاربُ قــد جــاءَ غطــاءَ الحُــقِ

وقال

ومــالي إنْ لفظْــتُ لكــمْ بمــدحٍ[3] يحـــرِّفُهُ العـــدوُّ بـــضدٍّ لفظـــي
نَعَــمْ هــذا وأعظــمُ مــنهُ يجــري إذا كــانَ المحــبُّ قلــيلَ حــظٍّ

وقال

أضــعْتَ حقــي لأجــلِ لــيني وغــيرُ ذا كــانَ مــنكَ أحــسنْ
فاعـــدلْ ولا تغتـــررْ بحلمـــي فالمـــاءُ كالـــنارِ إذْ يُـــسَخَّنْ

وقال

وآجــرْتُ مجــدَ الــدينِ داري فلمْ يزلْ يكلِّفـــني إصـــلاحَها وأماطـــلُ
لقــد هُــنتُ حتى صرْتُ للمجدِ فاعلاً ألا في ســبيل المجــدِ مــا أنــا فاعــلُ

---

(١) في نسخة: قضا قرية.

(٢) في نسخة: أرَ.

(٣) في نسخة: بحق.

وقال

يـــا مجـــدُ قَـــدْ فـــاتَ العُلـــى ... مَـــنْ لا يـــنامُ عـــنِ الـــسُّرى
مَـــنْ يرتـــضي لفـــضيلتي ... إني أضـــارِبُ بالكـــرى

وقال

مـــرضَ الفـــؤادُ وصـــحَّ ودي فـــيهمُ ... وأقـــامَ تـــذكاري وجفـــني نـــازحُ
إنـــسانُ عـــيني كـــمْ ســـهادٍ كم بكا ... يـــا أيهـــا الإنـــسانُ إنَّـــكَ كـــادحُ

وقال

ومـــا أشـــبهَ الحمَّـــامَ بالمـــوتِ لامرئٍ ... تَذَكَّـــرَ لكـــنْ أيـــنَ مَـــنْ يتذكـــرُ
تجـــرَّد مـــنْ أهـــلٍ ومـــالٍ وملـــبسٍ ... ويـــصحبُهُ مِـــنْ كـــلٍّ ذلـــكَ مئـــزرُ

وقال

ألا يـــا نفـــسُ لا تعـــصي ... وقـــدْ صـــدَّقْتِ بالـــنصِّ
ألا يـــا نفـــسُ مـــا عـــذري ... إذا هـــمْ غيَّـــبوا شخـــصي
ألا يـــا نفـــسُ هـــلْ عـــزمٌ ... لأســـعى ســـعيَ مختَـــصِّ
وأتـــركُ لـــينَ ملبوســـي ... إلى التـــرقيعِ في قُمْـــصي
وأنـــسى مـــنزلاً رحـــباً ... بـــزاويةٍ مـــنَ الخـــصِّ
وأهجـــرُ طـــيبَ مأكـــولي ... بأكلـــي يـــابسَ القـــرصِ
وأجهـــدُ في رضـــى ربي ... وأســـتبري وأستقـــصي
وأخـــشى فتـــنةَ الدنـــيا ... كمـــا أخـــشى مـــنَ اللـــصِّ
وأفـــنى عَـــنْ فـــنا نفـــسي ... حـــذارَ قـــصاصٍ[1] مقـــتصِّ
فعكـــسي فـــيه إصـــلاحي ... كعكـــسِ الـــنقشِ في الفـــصِّ
عـــدوي أنـــتِ يـــا نفـــسي ... فكـــمْ ســـعيٍ وكـــم حـــرصِ
ذنـــوبي في زيـــاداتٍ ... وعمـــري لجَّ في الـــنقصِ
أنـــا في غمـــرتي ســـاهٍ ... وأعمـــالي لهـــا مُحْـــصِ

(١) في نسخة: وأسلمها لمقتص.

وقال مضمنًا للمثل المشهور في آل البيت عليهم السلام

يـــا آلَ بـــيتِ الـــنبيِّ مَـــنْ بُـــذِلَتْ ... في حـــبِّكم نفـــسُهُ[1] فمـــا غُبِـــنا

مَـــنْ جـــاءَ عَـــنْ بيـــتِهِ يحـــدِّثُكم[2] ... قولـــوا لـــهُ البـــيتُ والحـــديثُ لـــنا

وكتب في آخر كتاب بخطه

فـــــرغْتُ مـــــنهُ حامـــــداً ... مـــــصلياً مـــــسلما

يـــا ربُّ فـــارحمْ مَـــنْ علـــى ... كاتـــــبِهِ تـــــرحَّما

وقال

إنَّ الأرقـــــاءَ غـــــلاظٌ لُـــــؤَما ... وكـــلُّ مَـــنْ جـــرَّب هـــذا عَلِمَـــا

مـــا أطـــيبَ المـــالَ وأحلـــى الـــنِّعَما ... لـــولا مقاســـاةُ العبـــيدِ والإمـــا

وقال

قالـــوا أيـــؤذيكَ ولَمْ تَهجُـــهُ ... فقلـــتُ بعـــضُ الـــشرِّ يكفـــيني

قـــدْ ضـــرَّ دنـــياي فـــإنْ أهجُـــهُ ... تطـــرَّقَ الـــضرُّ إلى ديـــني

وقال كتب إلى الشيخ جمال الدين بن نباتة بأبيات نظمها القاضي علاء الدين ابن فضل الله كاتب السر في الديار المصرية وطلب الثناء عليها فكتبت إليه بهذه القصيدة

ســناكَ يــا بــنَ الكــرامِ الكاتبينَ سبا ... عظمْــتَ قــدراً وأرضيْتَ العلى نسبا

قــرأتُ أبــياتَكَ الــسحرَ الحلالَ فما ... أدري أنفحــةُ مــسكٍ أمْ نــسيمُ صَبا

قــصيدةٌ شِــينَ صــادُ لام بمجــتها ... يــا عــينَ مَــنْ ألفَ الحسنى إذا كتبا

يائــيةُ الــنظمِ لــو أني أنقِّطُهــا ... بــنقطة القلــبِ مــا أدَّيْــتُ ما وجبا

قــدْ صــيَّرتْ أدمــعَ المملــوكِ جاريةً ... شــوقًا إلى صَــدْرِ مــصر بحــرُه عَذُبا

هــذا هــدى قــد غوى قلبي ببهجته ... فــصارَ كالــصبِّ أصــباهُ الهوى فصبا

---

(١) في نسخة: روحه.

(٢) في نسخة: يسائلكم.

فهامَ في كلِّ وادٍ منه مجتنياً ... ثمارَهُ ولقولِ العذْلِ مجتنبا

قالتْ أغاني معانيه لسامعِها ... اخلعْ ثيابَكَ منها ممعناً هربا

جددتَ آدابَ قومٍ بعد ما درسَتْ ... فليسَ أطيبُ نصفيها الذي ذهبا

هذا قريضٌ عنِ الأفلاك[2] محتجبٌ ... كأنهُ الروضُ أبدى منظراً عجبا

يا ملزمَ الشعرِ أمرَ الشرعِ دونَ ريا ... أما تحاذرُ فيمنْ وازنوكَ ربا

فإنَّ وزناً بوزنٍ غيرَ أنَّ لما ... نقولُ[1] فضلاً عليهم سهلُهُ صَعُبا

إنْ كانَ يمكنهم أنْ ينظموا درراً ... فليسَ يمكنهم أن ينظموا شهبا

لم تبقِ للناظمينَ الناثرينَ مدى[7] ... إلا سبقْتَ إليهِ تخرقُ الحُجُبا

فإنْ تجاوروا بمنظومٍ تدعْهُ سُدى ... وإنْ تباروا بمنثورٍ تذرْهُ[3] هَبَا

قدْ شرَّفَ اللهُ مصراً أنتَ ساكنُهُ ... وزادَ[4] بكَ الكتابَ والكُتُبا

أنتَ المشارُ إليه بالضميرِ فلا ... خُفِضْتَ يا علماً للعلمِ قَدْ نُصبا

لا بدَّ للمبتدا في الفضلِ مِنْ خبرٍ ... يا حبذا مبتدا عنهُ الزمانُ نبا

فهل قضيةُ فضلٍ لا أبا حسنٍ ... لها فلا عَتَبٌ[5] إنْ نلثم العتبا

فيك اختلافُ معانٍ للجمالِ غَدَتْ ... بالاتِّفاقِ إلى نَيلِ العُلا سَبَبًا[6]

صفواً ولا كدراً دراً ولا صفراً[8] ... بحراً ولا خطراً شمساً ولا حجبا

أينكرُ الشعراءُ النورَ منكَ وهل ... أتى نظيرُكَ يا مَنْ بالجمالِ سبا

---

(١) في نسخة: تقول.

(٢) في نسخة: الأملاك.

(٣) في نسخة: تدعه.

(٤) في نسخة: فخرًا.

(٥) في نسخة: عتبا.

(٦) سقط من بعض النسخ.

(٧) في نسخة: يدا.

(٨) في نسخة: صدفا.

أصبحتَ نادرةً في العلمِ بادرةً ... تنسي سواكَ وتنشي العلمَ والأدبا

فهلْ أردتَ بما أبديت منْ حكمٍ ... أنْ تعذب الغي أو أن تغوي العذبا

أمْ هلْ قصدْتَ بما أهديْتَ مِنْ كلمٍ ... أَنْ تطربَ الحيَّ أو أنْ تحيي الطربا

يا مَنْ حكى الدرعَ صوناً والمجنَّ تقى ... والسمهريَّ أخاً والمشرفيَّ أبا

لي منطقٌ غيرُ مبذولٍ وأنتَ به ... أولى على أنَّ لي من[1] بذله أَرَبا

إذْ لمْ يزلْ يبلغُ الملوكَ ذكرُكُمُ ... إياهُ جبراً وتأهيلاً ولا سببا

لكمْ يراعٌ بفضلِ اللهِ ماضيةٌ ... إنْ آثَرَتْ رغباً أو آثرَتْ رَهَبَا

تحلو وتعذبُ في سمعٍ وتملُحُ في ... سبقٍ فمنْ كلٍّ وجهٍ سُمِّيَتْ قَصَبَا

مظلومةُ القدِّ في تشبيهها غصنا ... مظلومةُ الريقِ في تشبيهها ضَرَبَا

وقال في خياط

خياطُكُمْ مِنْ فوقِ كرسيِّه ... يحكي عروساً جُلِّيتْ للعبادْ

بدرٌ بدا في حسنِ لحظٍ لهُ ... مَنْ أخبرَ الناسَ بشقِّ الفؤادْ

وقال

ابنُ النقيبِ قالَ لي ... في النومِ وَهْوَ يبسمُ

صلُّوا عليَّ عندَكُمْ ... قلتُ نعمْ وسلموا

وقال

ما طلبْنا الخمولَ جهلاً ولكنْ ... ذاكَ عن خبرةٍ وعنْ تجريبِ

لو أمنَّا الزحامَ فيه لكُنَّا ... نشتهيهِ لصاحبٍ وحبيبِ

وقال

أيُّها المهدي لزيد ... زبدةٌ خذْ بالأخفِّ

قدْ تكلَّفتَ عظيماً ... نصفُ هذا كانَ يكفي

---

(١) في نسخة: في.

وقال

إذا مضى للمرءِ مِنْ عمرِهِ خمسونَ عاشَ العيشةِ السيئهْ
وإنْ شكا قالَ له دهرُهُ احملْ فلي عندَكَ نصفُ المائهْ

وقال

مَلَكٌ هذا حبيبي أمْ ملكْ أيُّ مَنْ هامَ بهذينِ هلكْ
إنْ سألتَ الوصلَ منه صاغراً قالَ لِمْ تسألُني ما ليسَ لكْ
أسبَلَ الشعرَ على أكتافِهِ قلتُ يا ليلي بهِ ما أطولَكْ
وتشكَّى خصرُهُ مِنْ ردفِهِ قلتُ قَدْ أتعبَهُ ما أثقلَكْ

وقال

قد عمَّ خالُكَ حُسْناً في اللونِ يحكي بلالا
نعمْ نعمْ أنت سؤلي فلا تجبْني بلا لا
جفني غريقٌ وقلبي لا يستطيعُ بلالا
لألاءُ وجهِكَ يُغني[1] أنْ يحرسوك بلالا

وقال

أنا كالغارقِ في نائلِهِ لي مجموعٌ صغيرٌ عندَ مَنْ
أنْ تردُّوهُ على قائلِهِ نظمُهُ نظمٌ معيبٌ حقُّكُمْ

وقال

طبيبُ الخمولِ يصدُّني عَنْ مدحِهِ بسوى الرموزِ
كترٌ بهِ ظفرتْ يدي والكتمُ مِنْ شرطِ الكنوزِ

وقال

أَسَفي كيفَ كنتُ أطلبُ عزاً بالولاياتِ وَهْيَ عَيْنُ الهوانِ
كنتُ لا أعرفُ الخمولَ لجهلي ليتني كنتُ خاملاً مِنْ زمانِ

---

(١) في نسخة: حسنك تغني.

وقال

يــا كامــلَ الخلقــةِ مــعْ فقــده لأصــبعيه مــا بــذا ذامُ
لــيسَ لمعــروفكَ ســبابةٌ ولا لإحــسانكَ إبهــامُ

وقال مضمنًا أشطارًا وهي من البدائع

أتعــتادُ التكاســلَ والتــصابي إذا اعــتادَ الفــتى خــوضَ المــنايا
حُــرِمْتَ قــيامَ لــيلٍ في خــشوعٍ وأنــتَ المــرءُ تُمرضــهُ الحــشايا
أمــنْتَ ســهامَ دهــرِك حيت[4] ترمي وهــلْ يخطــي بأســهمه الــرمايا
لقــيتَ الــناسَ في غــشٍّ فهــاهُمْ لقــوكَ بأكــبُدِ الإبــلِ الأبايــا[1]
فكــمْ تهــدي لقــومِكَ مِــنْ سباب ولــستُ بمنكــرٍ مــنكَ الهــدايا
أمــا تبقــي لــصلْحٍ مِــنْ مكــانٍ ولــو لم تــبقِ لم تعــشِ الــبقايا
فلــو للــذنبِ ريــحٌ لافتــضحنا وأُســقطت الأجــنةُ في الــولايا
فعلْــتَ الــذنبَ بعــدَ الــذنبِ جهلاً وهــانَ فمــا تــبالي بالــرزايا
فــلا تــركبُ مطايــا الجهــلِ إني أحــاذرُ أنْ تــشقَّ علــى المطايــا[2]
وكــمْ قــدْ أفــنت الدنــيا ملــيكاً بعــيدَ الــصيتِ مُنْــبَثٌّ الــسرايا
إذا قــالَ الجهــولُ الــناسُ مثلــي تفــرِّقُهم وإيــاهُ الــسجايا
فمــنْ لي بالمــتابِ لعــلَّ نفــسي يُعلِّلــها نطاســيُّ[3] الــشكايا

وقال مضمنًا مهتدمًا من شعر أبي العلاء المعري

قــلْ لمــنْ سُــرَّ بالــولايةِ مهمــلاً ذاكَ عــيشٌ معجَّــلُ التنكــيدِ
وتــصدِّيكَ للعظــائمِ صــعبٌ وَهْــوَ أشــفى لغــلِّ صــدرِ الحقــودِ

---

(١) في نسخة: الأنايا.

(٢) في نسخة: المنايا.

(٣) في نسخة: تعللها من النكر.

(٤) في نسخة: حين.

غصصٌ هذهِ المناصب تضني ... وتشقُّ القلوبَ قبلَ الجلودِ

تعبٌ كلُّها الحياةُ فما أع ... جبُ إلا مِنْ راغبٍ في المزيدِ

إنَّ حزناً في ساعةِ العزلِ أضعا ... فُ سرورٍ في حالةِ التقليدِ

وقال وكتب بها لابن ريان

أخجلْتَني بتواترِ الإحسان ... حتى وهى فكري وكلَّ لساني

قدْ كنتُ منْ عزٍّ وجاه ظامئاً ... حتى استندْتُ إلى بني ريَّانِ

فغدوتُ أُذكرُ للمنصابِ[2] والعلى ... هذي فوائدُ صُحْبَةِ الأعيانِ

لولا جمالُ الدينِ لم أُذكرْ ولو ... أني أكونُ الشافعيَّ الثاني

معْ أنني راجٍ بطولِ حياته ... أشياءَ كانَ طلابُها أعياني

قدْ شاعَ بينَ النسا[3] أني نشؤُهُ ... وليَ الفخارُ بأنَّهُ أنشاني

سمعوا عنايتهُ الشريفةَ بي[4] فما ... مِنْ صاحبٍ إلا بهِ هنَّاني

مولايَ أنتَ بدأتَ بالحسنى وَمَنْ ... هوَ هكذا واللهِ لا ينساني

فبلفظةٍ أو لحظةٍ مِنْ جاهكمْ[5] ... أسمو فأصبحُ عاليَ البنيانِ

وعلى بهاءِ الدين أثني بالذي ... في الجامعِ المعمورِ قَدْ أولاني[1]

ما كانَ منهُ فإنَّ منكَ وجودَهُ ... ومنَ الأصولِ منابتُ الأغصانِ

بمروءةٍ طائيةٍ منكَ اقتدي ... هي أولٌ وهو المحلُّ الثاني

أعطيتُ منكَ عنايةً ومحبةً ... الحمدُ للهِ الذي أعطاني

وإذا أراد اللهُ نشرَ فضيلة ... طُويَتْ أقامَ لها رئيسَ زمانِ

لا زلتَ تَنْصرُ مَنْ ينيلُ مساعياً ... محمودةً وحُرسْتَ بالقرآنِ

---

(١) في نسخة: والاني.

(٢) في نسخة: للمناصب.

(٣) في نسخة: الناس.

(٤) في نسخة: لي.

(٥) في نسخة: حاكم.

وقال

الـــــواعظُ الأمـــــردُ هـــــذا الـــــذي قَـــــدْ نـــــزَّهَ الأسمـــــاعَ والأعْيُـــــنا

فلفظـــــهُ يأمـــــرُنا بالتقـــــى ولحظُـــــهُ يأمـــــرُنا بالخَـــــنا

وقال

فـــــلانٌ واليـــــنا علـــــى رغمِـــــنا لا بـــــاركَ الـــــرحمنُ في عمـــــرِهِ

جَفْنَـــــتُهُ أضـــــيقُ مِـــــنْ جفـــــنِهِ وقَـــــدْرُهُ أصـــــغرُ مِـــــنْ قـــــدْرِهِ

وقال

وواعـــــظ قَـــــدْ أقـــــام عـــــذري في حـــــبِّه ذلـــــكَ العـــــذارُ

ذكَّـــــرنا جـــــنَّةً ونـــــارا وخـــــدُّهُ جـــــنَّةٌ ونـــــارُ

وقال

قـــــامَ علـــــى كرســـــيِّهِ واعظـــــاً ينهـــــى بـــــضدِّ الأمـــــرِ مِـــــنْ مقلتـــــيهْ

فلفظُـــــهُ يأمـــــرنا بالتقـــــى ولحظُـــــهُ يدعـــــو الـــــبرايا إلـــــيهْ

ذكَّـــــرَ بالجـــــنةِ والـــــنارِ مِـــــنْ ألفاظِـــــهِ الغـــــرِّ وَمِـــــنْ وجنتـــــيهْ

وقال وكتب بها إلى شمس الدين محمد بن النقيب بعد عزله عن حلب

دعـــــاني بعـــــدَكُمْ قـــــومٌ وقالـــــوا لِيَهْـــــنِكَ شـــــهرةً في العالمِيـــــنا

أتحلـــــفُ لا تـــــنوبُ لمـــــنْ ســـــواهُ فقلـــــتُ نعـــــمْ وغلَّظْـــــتُ اليمـــــينا

أروني[1] مـــــثلَهُ لأنـــــوبَ عـــــنهُ فـــــإني قَـــــدْ عـــــدمْتُ لـــــهُ القـــــرينا

إمـــــامٌ عـــــندَهُ للفـــــضلِ ســـــوقٌ أرى فرضـــــاً محبـــــتَهُ وديـــــنا

ومـــــا وحـــــدي فُجعْـــــتُ بـــــهِ ولكـــــنْ لقـــــدْ عـــــمَّ الـــــبريَّةَ أجمعيـــــنا

تملَّيْـــــنا[2] بأنعمـــــهِ زمانـــــا وعـــــشْنا في مكارمِـــــهِ ســـــنينا

أعـــــادَ اللهُ دولـــــتَهُ قـــــريباً وجـــــازاهُ جـــــزاءَ المحـــــسنينا

---

(١) في نسخة: وهاتوا.

(٢) في نسخة: تهنأنا.

وقال

تولى الناسَ محتسبٌ غليظٌ فقامتْ للغلا في السوقِ سوقُ
ولو عزلوه جاءَ الرخصُ يسعى إذا عُزل الغليظُ أتى الدقيقُ

وقال

قدْ مُطرنا برحمةِ اللهِ ربي وهجرْنا النجومَ والأنواءَ
كم بكيتمْ إذْ أصبحَ الماءُ غوراً فاضحكوا حيثُ أصبحَ الغورُ ماءَ

وقال

إنْ أكُ براً فأنا فاجرٌ بجرِّيَ الشوكَ إلى الوردِ
آخُذُ ممَّنْ ليسَ لي عنده أعطي لمنْ ليسَ لهُ عندي

وقال

وليَ القضاءَ وصارَ لا يلوي ولا يترفَّقُ
ها قَدْ تفرَّقَ شملُهُ إنَّ القضاءَ مفرَّقُ

وقال

بحضورِكُمْ نتجمَّلُ وبقربِكُمْ نتأهلُ
وبكمْ يتمُّ سرورنا فتصدَّقوا وتفضلوا

وقال

بحضورِكُمْ نتشرفُ وَإِليكمُ نتشوَّفُ
وبِكم يتمُّ سرورنا فتصدَّقوا وتَعَطَّفوا[1]

وقال

بجنابكم نتعلقُ وإليكم نتشوَّقُ
وبكم يتمُّ سرورنا فتفضلوا وتصدقوا

---

(١) سقط هذان البيتان من بعض النسخ.

وقال

حضورُكم غايةُ إيناسي   وقربُكم تذكرةُ الناسي
فإنْ حضرتُمْ كانَ من فضلِكُمْ   لا بدَّ للناسِ منَ الناسِ

وقال

يا مَنْ همْ للعينِ قرَّةْ   ولبيتِهمْ قدرٌ وقدرهْ
مُنُّوا علينا واحضروا   فحضورُكم أصلُ المسرَّةْ

وقال

مَنْ وليَ الحسبةَ يصبرْ على   تعرُّضِ الواقفِ والسائرِ[1]
فليسَ يحظى بالمنى والغنى   فيهم سوى المحتسبِ الصابرِ

وقال

مولايَ إنكَ محسنٌ   قسماً وإنكَ ثمَّ إنكْ
فلأشكرنَّكَ ما حيي   تُ وإنْ أمتْ فلتشكرنكْ

وقال

فَعَلَتْ وقالتْ قامتي   كالغصنِ قلتُ ولا سوى
الغصنُ حرَّكه الهوا   ءُ وأنتِ حرَكْتِ الهوى

وقال

روميةُ الأصلِ لها مقلةٌ   تركيةٌ صارمُها هندي
قدْ فضحتني مقلتاها[2] فقلْ   في وجنةٍ فاضحةِ الوردي

وقال

حمَّى فلان أطبقَتْ لَيْتَها   دامَتْ فزادتْ كَبْدَهُ كَبْتَا
وقالَ دعني ما أنا طيِّبٌ[3]   فقلتُ خبِّرْني متى طِبْتَا

---

(١) في نسخة: العابر.

(٢) في نسخة: وجنتاها.

(٣) في نسخة: طيبا.

وقال

يميناً لا ذممتُكَ طولَ عمري ... ولا دنَّستُ إثباتي بمَحْوِكْ
ولا خلَّدْتُ ذكرَكَ في كتابٍ ... ولا نجَّستُ ديواني بهجوِكْ

وقال

وقائلٍ لي طرفُهُ فاترٌ ... قلتُ وبالنونِ وبالكافِ
مِنْ جبلِ الريانِ أردافُهُ ... وصدغُهُ المعطوفُ مِنْ قافِ

وقال

وَجْدي طويلٌ عريضٌ في محبتهِ ... بالطولِ والعرضِ مِنْ شعرٍ ومن كفلِ
ترتجُّ أردافُهُ مشياً فينشدُها ... يا حبَّذا جبلُ الريانِ مِنْ جبلِ

وقال

قال لها الشيخُ واصليني ... قالتْ أَقِلْني الوصالَ للّهْ
ما يطلعُ البدرُ في نهارٍ ... وطاقتي ما تحبُّ سلّهْ

وقال

مدامةٌ رقّتْ ... فقال جلاّسي
أكاسُها فيها ... أمْ هيَ في الكأسِ

وقال

في الزهرِ جاءَ الصيامُ فاعترضَتْ ... حبيبتي قلتُ لا أدنِّسُهُ
قالت فخدِّي وردٌ فدونَكَهُ ... قلتُ سياجُ الصيامِ يحرسُهُ

وقال

قلتُ يا هندُ طببيني بوصلٍ ... تنعشيني فالصبُّ بالوصلِ حيّ[1]
فكوَتْ بالصدودِ قلبي وقالتْ ... هاكَ طبي وآخرُ الطبِّ كيْ

---

(١) في نسخة: فليس كالوصل شيّ.

وقال

ليتني أبصرُ المعرةَ قاعاً ... صفصفاً كالكفيرِ أو كسياثا[1]

لو تولى في يومِ الاثنينِ فيها ... أحدٌ[2] طلّقَ الحياةَ الثلاثا[3]

وقال

إن استوى في العلمِ قومٌ فقدْ ... تختلفُ النياتُ والقلبُ

العلْمُ مثلُ النهرِ لما جرى ... يشربُ منهُ الليثُ والكلبُ

وقال وكتب بها جوابًا إلى الشيخ بدر الدين الزمكي المعري بطرابلس

أزهر أفق أم الأزهار والغدر ... كتابكم أم سرور النفس والوطر

قرأته فجرى في كل جارحة ... كأنما أنا وهو الماء والشجر

لله ألفاظه الغرّ العذاب فقد ... علت على الدر أين الدر والكبر

فمنْ يقلْ هي كالدرِّ الثمينِ فقلْ ... أخطأتَ إنْ لم تقلْ عنها ولا صغرُ

مولايَ كلٌّ لساني عن جوابكَ وال ... مأمولُ تمهيدُ عذري حينَ أعتذرُ

وإنما أنا عبدٌ من عبيدِكَ منْ ... دأبي ابتداءً دعاءٌ صدقُهُ خَبَرُ

لو حطَّ رحلي فوقَ النجمِ رافعُهُ ... ألفيتُ ثمَّ خيالاً منك ينتظرُ

وسرعةُ القاصدِ الميمونِ طائرُهُ ... هيَ اقتضتْ أنني في القولِ أختصرُ

كتبْتُها وَهْوَ مجتازٌ على سفرٍ ... ما حالُ نظمٍ إذا ما أعجلَ السفرُ

لا زلتَ تجبرُ قلباً أنتَ ساكنُهُ ... ولا تزالُ بكَ العلياءُ تفتخرُ

وقال في صدر كتاب إلى ابن أخيه

يا بنَ أخينا أقمْتَنا أبدا ... لشكرِ مَنْ أنتَ عندَهُ قاعدْ

أخجلتنا بالجميلِ فيكَ فمن ... فَرَضْتَ منّا فشاكرٌ حامدْ

---

(١) في نسخة: كثباثا.

(٢) في نسخة: واحد.

(٣) في نسخة ثلاثًا.

قاضـي القـضاةِ المهـذبُ الفطنُ الـ ... أروعُ كهـفُ المسودِ والسائدْ

أوحـدُ في الفـضلِ لا نظـيرَ لـهُ ... أيَّ الـرجالِ المهـذبُ الماجـدْ

بعـثتُ بالـبهجةِ الـتي طُلـبَتْ ... خجـلانَ مـن ضـعفِ خطِّها الفاسدْ

وإنـني لَـوْ شـرعتُ أحْمَـدُها ... أضـحكَهُ أنـني لهـا حامـدْ

وأعجـلَ القاصـدُ المـسيرَ فلـمْ ... أجـدْ سـواها لـسرعةِ القاصـدْ

وكـان في نـيَّتي أجهـزها ... بنـسخةٍ لا يعيـبُها الـناقدْ

فابـسطْ ليَ العـذرَ عـندَ ذي كـرمٍ ... مـِنْ جـودِهِ أن يـنفّقَ الكاسـدْ

واذكـر لمـولاكَ كـيفَ نحـنُ لمـا ... أولاكَ مـِنْ فـيضِ جـودِهِ الـزائدْ

وصـفْ لـهُ عـيَّ الـدعاءَ لـهُ ... أمْ عـندَ مـولاكَ أنـني راقـدْ

جعلتـنا الكـلَّ في ضـيافته ... وعـندَهُ أنَّ عـندَهُ واحـدْ

لا زالَ كهفـاً لمـن يلـوذُ بـهِ ... فَهْـوَ لأهـلِ العلـومِ كالـوالدْ

وقال

أتهـزأُ بي لمّـا أجـدُّ وتلعـبُ ... وتعجـبُ مِـنْ حالي وحالُكَ أعْجبُ

ألا طالمـا قَـدْ كـنتُ مـثلكَ ساعياً ... لجـاهٍ ومـالٍ جاهـداً أتَطَلَّـبُ

وطـالَ اجتـنابي للخمـولِ فذقـتُهُ ... فطـابَ فأحبـبْتُ الـذي أتجـنَّبُ

ومـا العـيشُ إلا في الخمولِ مع الغنى ... فـشكراً لمـنْ في فـضلهِ أتقلّـبُ

رضـيتُ كـسادي واستخرْتُ بطالتي ... وقلـبيَ مـسرورٌ وعيـشيَ طـيِّبُ

ومـا ذاكَ عَـنْ مـالٍ جـزيلٍ وإنَّما ... كفـاني كفـافٌ والقـناعةُ تغلـبُ

ولـو ذقـتُم طـيبَ القـناعةِ مُـتُّمُ ... علـيها ولكـنْ بـدرُها يُتهـيَّبُ

تـركتُ لكـمْ عـزَّ القـضاءِ وجاهَهُ ... وأبعـدتُ عـنهُ خائفـاً أتـرقبُ

فقومـوا علـى سـاقَيْ حديدٍ وشمّروا ... لنـيلِ عـلاءٍ واهجـروا النومَ واطلبوا

ومـيلوا وجولـوا واحكمـوا وتحولوا ... وصـولوا وطولوا وانبذوا الزهدَ وانهبوا

سـتعلَمُ نفـسٌ أيَّ حمـلٍ تحمَّلَـتْ ... لـيومٍ أسـى مِـنْ هولِهِ الطفلُ أشيبُ

لقــدْ نلْــتُ مِــنْ كــثرِ القناعةِ بغيتي | وجانــبتُ حرصــي والحريصُ معذَّبُ
وعفْــتُ بــني الدنــيا وغادرْتُ برَّهُمْ | لغــيري فــلا أشــكو ولا أتعــتَّبُ
فــيا لائمــاً قَــدْ لامَ في تــركِ منصبٍ | خُطــبتُ لــهُ تَرْكــي لــذلك منصبُ
كــذا ســنَّةُ الدنــيا إذا تركَ الفتى ال | مناصــبَ جاءَتْــهُ المناصــبُ تخطــبُ
أأرجــعُ بعــدَ العــتقِ في الــرقِّ ثانياً | فــلا أمَّ لي إنْ كــانَ ذاكَ ولا أبُ
تــركْتُ حــسودي والــولاياتُ همُّــهُ | يجاهــدُ في تحــصيلهنَّ ويــدأبُ
ومــا جهلــتْ نفــسي المعالي وطيبَها | ولكــنْ رأتْ أنَّ الــسلامةَ أطــيبُ
أصــونُ الــذي عُلِّمــته عــنْ مذلــةٍ | فللعــزِّ في الــدارينِ قــد كنتُ أتعبُ
ورحْــتُ خفيفَ الظهرِ عنْ منَّةِ امرئٍ[2] | تهــتَّكَ بالآثــامِ وَهْــوَ محجَّــبُ
يقــالُ لــهُ قاضــي القــضاةِ تعــدِّياً | وظلمــاً وهــذا القــولُ للهِ أوجــبُ
ولــو أنــني أرضــى الهجــاءَ ذكــرتُهُ | صــريحاً ولكــنَّ الكــنايةَ أَهْــيَبُ
تلــبَّسَ أثــوابَ الــرياءِ تَــصنُّعا | ليغــسلَ عــنهُ الــذمَّ والطــبعُ أغلب
غــدا بَعْــدَ حَــرِّ الفقــرِ رطــباً مبرَّداً | وقــدْ بــانَ لي أنَّ المــبرَّدَ ثعلــبُ
يقولــون لي فــيكَ انقــباضٌ وإنمــا | رأوا رجــلاً عــنْ موقفِ الذلِّ يهربُ
ولــو شــئتُ فقتُ الكلَّ حرصاً وجرأةً | فأُرضــي[1] بجمعــي وأرثــي وأَغضب
أأكــثرُ أمــوالاً واحمــلُ إثمَهــا | وأتــركُها للــوارثينَ وأذهــبُ
علــى اللهِ رزقُ الــوارثينَ وغيرِهــم | فَــبُعْداً لــشخصٍ مِنْ سوى اللهِ يطلبُ

وقال

تقــويمُ قــدِّكَ صــحَّ يــا مَــنْ ثغرُهُ | درٌّ يقــصِّرُ دونَــهُ الــتقويمُ
إني لأبكــي مِــنْ جفــاكَ ولي أبٌ | والثغــرُ يــضحكُ مــنكَ وهُــوَ يتيمُ

(١) وأرضى.

(٢) في نسخة: حمل منة.

وقال موشحًا

مَــنْ قــصدُهُ يرشــفُ مــاءَ اللمــى ... يــــصبرُ في الحـــبِّ لمـــا ألمـــا
بي وبَمَـــنْ قـــد لامـــني مـــن صـــلا ... شـــباك طـــرفٍ وانتـــضى منـــصلا
وبعـــــدما تـــــيَّمني بلـــــبلا ... فـــؤاديَ المـضنى بلـــي بـــل بـــلا
يـــا عـــاذلي رفقـــاً فقـــد ضـــرَّ مـــا ... في مهجـــتي مِـــنْ هجـــرِهِ ضـــرَّ مـــا
أهـــوى حبيـــباً وجهُـــهُ قـــد حُبـــي ... حـــسْناً بـــه يـــستعذبُ القـــدحَ بي
فَهْـــــوَ ملـــــيء لازمُ المطـــــلِ بي ... مـــا نلـــتُ مِـــنْ تقبـــيلهِ مطلـــبي
قلـــبي إلى نـــارِ الجـــوى أســـلما ... فلـــــو رآهُ كافـــــرٌ أســـــلما
لم أحـــتملْ مَـــنْ لامـــني أو ســـعى ... فانـــصحْ لغـــيري مـــرةً[1] أوســـعا
ســـيَّانِ مَـــنْ لم يـــدعُ لي أو دعـــا ... فـــيمنْ بقلـــبي جمـــرةٌ أودعـــا
فـــتى علـــى ســـفكِ دمـــي أقـــدما ... ومـــا رعـــى لي مـــوثقاً أقـــدما
مـــا ضـــاعَ فـــيه ســـهدُ عـــيني ولا ... يــضيعُ مـــني في علـــيٍّ ولا
يحـــيا بـــه يحـــيى فمـــا أجمـــلا ... مـــسعاهُ في تفـــصيلِ مـــا أجمـــلا
يـــا خلعـــةَ الملْـــكِ لقـــد رقَّ مـــا ... علـــيكَ يحـــيى وابـــنُهُ رقمـــا
أرهـــفَ أقـــلامَ المعـــالي وســـنْ ... فناظـــرُ الملـــكِ بـــهِ في وســـنْ
ذلـــك فـــضلُ اللهِ يؤتـــيهِ مَـــنْ ... يـــشاءُ يـــولي المـــرءَ مـــنْ غـــيرِ مَنْ
فـــراحتاهُ أيَّـــةٌ مـــنهما ... تلامـــسُ[2] الـــصخرَ جـــرى مـــنه ما
تهـــذي بـــه العلـــيا لتهذيـــبهِ ... وألـــسنُ الحـــسادِ تهـــذي بـــهِ
فـــتى كـــشيخٍ حـــسنِ تجـــريبهِ ... ســـوابقُ التوفـــيقِ تجـــري بـــه
والدهـــرُ عـــبدٌ لعـــلاهُ فمـــا ... يخلـــي مـــنَ الأمـــداحِ فـــيه فمـــا
مـــا نـــصبَ الـــسلطانُ فـــيمنْ نصبْ ... مـــثلَ عـــلاءِ الـــدينِ ينفـــي نـــصبْ

---

(١) فورًا.

(٢) يلامس.

يـــا محــيــياً للفضــلِ ذكــراً ذهبْ تنـــشي لـــنا دراً فننـــشي ذهـــبْ
أنـــشرَ تأهـــيلُكَ لي أعظمـــا فحـــقَّ لي واللهِ أنْ أعظمـــا

وقال وقد أخرج الخليفة أبو الربيع سليمان إلى الصعيد

أخـــرجوكم إلى الـــصعيدِ لعـــذرٍ غـــيرُ مجـــدٍ في ملـــتي واعـــتقادي
لا يغيِّـــرْكُم الـــصعيدُ وكونـــوا فـــيهِ مـــثلَ الـــسيوفِ في الأغمـــادِ

وقال

قالـــتْ حكـــى ليَ شـــخصٌ مـــا قلـــتَ قلـــتُ كـــذوبُ
قالـــتْ فـــذلكَ عَـــدْلٌ في الـــنقلِ قلـــتُ أتـــوبُ

وقال مضمنًا للمثل المشهور

ربَّ مـــسطولٍ تولَّعْـــنا بـــه[1] قـــالَ مـــا أنـــتمْ ومـــا هـــذا الولـــعْ
يفعـــلُ القنـــبسُ بي مـــا يـــشتهي في يـــدي كـــانَ وفي رأســـي طَلَـــعْ

وقال

بـــينَ النـــسا والمـــردِ مـــا بـــينَ الثـــريَّا والثـــرى
وانظـــــرْ إلى تجـــانسٍ بـــينَ النـــسا والـــشُّعَرا

وقال

ردفهـــا والخـــصرُ مـــنها جـــلَّ مَـــنْ أربى ودقَّـــقْ
نهـــدُها يُطفـــي لهـــيبي فَهْـــوَ رمـــانٌ محقـــقْ

وقال فيما كتب به على سيف

مَـــنْ كـــانَ ذا ظفـــرٍ فـــلا يـــأمنْ فإنِّـــي غـــيرُ نـــابِ
أصـــبحتُ مـــرهوبَ الـــسطا فالأُسْـــدُ تَهـــرُبُ مِـــنْ ذبـــابي

---

(١) أطلنا عذله.

وقال

أتـــيت بـــبدعة فيـــنا فأبديـــنا لهـــا العَجَـــبا
أيقطـــعُ طـــرفُكِ المـــسنو نُ قلـــبي وهُـــوَ قَـــدْ وجـــبا

وقال

قلـــبيَ بـــينَ صـــدغه وخـــدِّه تَقَـــسَّما
مَـــنْ ذا الـــذي مـــا شـــاقَهُ ذكـــرُ زرودَ والحمـــى

وقال

رشـفْتُ عـندَ اللقـا مِنْ حلوِ ريقَتِها قَطْـرَ النـباتِ فـزالَ البؤسُ واللهبُ
وقـالَ أبـشرْ بطـولِ الوصلِ في دعةٍ فـأوَّلُ الغـيثِ قطـرٌ ثمَّ ينـسكبُ

وقال

جائـعٌ طامـعٌ طلـوعٌ غـشومٌ عـمَّ في جـوره الأنـامَ جمـيعا
صـفر الـربْعُ في المحـرَّمِ مـنْهُ لـيسَ محـرِّماً بـلْ ربـيعا

وقال

هُنِّـيتَ مولـوداً بـه صـحْفُ الهـنا مُنَـشَّرَهْ
فاصـنعْ[2] لـه عقـيقةً فقـد رزقـت[1] جوهَـرَهْ

وقال

شَـبَّهْتُ خـدَّ حبـيبي تـشبيهَ فكْـرٍ مـبرِزْ
مقامـةٌ للحريـري وشـرحُها للمطـرزْ

وقال

قـالَ عـذولي كـفَّ عـنْ تـركِ الخطـا واخـشَ الـسطا
وقعـتُ في عـينِ الخطـا فقلـتُ في عـينِ الخطـا

---

(١) فلقد حبيت بجوهره.

(٢) لا تبخلن بـ.

وقال

أنـــــا في حــــــال نقــــيصٍ ... يــــا شموســـــاً في البـــــزوغِ

هــــرمَ الـــــصبرُ علـــيكم ... والمـــــــنى دونَ الـــــبلوغِ

وقال

دمــشقُ قــلْ مــا شئتَ في حسنِها[1] ... واحــكِ عــنِ الــربوةِ مــا تحكــي

فــالطيرُ قـــد غنَّـــى علـــى عـــودِهِ ... في الـــروضِ بـــينَ الـــدفِّ والجـــنك

وقال

قـــــالَ عُـــــذَّالي علــــــيهِ ... وجـــــوابُ الـــــزينِ زيـــــنُ

مـــا الـــذي أصـــباكَ[2] مــــنْهُ ... حاجـــــبٌ قلــــــتُ وعـــــينُ

وقال

لي صــاحبٌ وهُــو نحــويٌّ لهُ ذهبٌ ... يقــولُ حــينَ يــرى في الــبخلِ عُذَّلَهُ

إنَّ الـــدنانيرَ جمــعٌ لا نظـــيرَ لـــهُ ... فكـــيفَ أصــرف جمعــاً لا نظـــيرَ لهُ

وقال

قـــــال داري مــــــــضيئةٌ ... قلــــــــــتُ واللهِ مظلمــــــــــهْ

فـــــابنِ بالجـــــورِ قاعــــةً ... ســــــــــتراها مُـــــــــرَخَّمهْ

وقال

إني وقفــتُ ســبيلاً قــد رجــوتُ به ... مــشوبةً فاعـــتدالي قَـــدْ أمـــالكُم

عارضـــتموهُ بمـــا لم يرضـــي ســـفهاً ... فقلـــتُ خلُّـــوا ســـبيلي لا أبـــا لكم

وقال

قَبَّلْـــــــــــتُها للتلاقــــــــــي ... تقبــــيلَ شــــاكٍ وشــــاكرْ

وقلــــتُ شـــوقي بـــادٍ ... قالـــتْ ووصـــلي حاضـــرْ

---

(١) وصفها.

(٢) أضناك.

وقال

بلّغـــوني عـــنهُ بغـــضاً وأذى ... فأتـــاني مـــنهما يعـــتذرُ
وادّعـــى فيَّ ولاءً قلـــتُ لا ... أنـــتَ مِـــنْ ســـرمينَ واسمـــي عمـــرُ

وقال

قَـــدْ عَجَبْـــنا لأمـــيرٍ ... ظلـــمَ الـــناسَ وســـبَّحْ
فَهْـــوَ كالجـــزّارِ فـــيهم ... يذكـــرُ اللهَ ويـــذبحْ

وقال

رُبَّ رسَّـــامٍ ملـــيحٍ ... حَـــسَنِ الطلْعـــةِ كاسِـــمهْ
وضـــنى جـــسمي علـــيهِ ... هـــيِّنٌ فَهْـــوَ بـــرسمهْ

وقال وقد صادر لؤلؤ الناس

أشـــكو إلى الـــرحمن لؤلـــؤاً الـــذي ... أضـــحى يـــصادرُ ســـادةً وصـــدورا
نثـــرَ الجـــنوبَ بـــل القلـــوبَ بسوطهِ ... فمـــتى أشـــاهدُ لؤلـــؤاً منـــثورا

وقال وقد امتلأ العالم سرورًا، وأصبح لؤلؤًا منثورًا، فإنه ملك بعد ما ملك، وعوقب حتى هلك

ألؤلـــؤُ قَـــدْ ظلمْـــتَ الـــناسَ لكـــنْ ... بقـــدْرِ طلـــوعكَ اتفـــقَ الـــنزولُ
كـــبرْتَ فكـــنتَ في تـــاجٍ فلمَّـــا ... صـــغرْتَ سُـــحقْتَ ســـنَةَ كـــلِّ لولو

وقال مواليا

حمَّـــامُكُمْ فـــيهِ قـــيِّمُ منظـــرُهُ[2] يُسبي ... غـــسلني[1] بالدمـــعِ ثمَّ أنشد كذا صبي
جعـــل مـــسنَّهُ وموسه[3] والحجر نصبي ... قـــال ذا عـــذاري وذا طـــرفي وذا قلبي

---

(١) وغسلن.

(٢) منظرو.

(٣) قوسو.

وقال في فقير

بي فقـــيرٌ بـــل غـــنيٌّ بـــسنا وجـــهٍ مـــنيرِ
لا تلمْـــني في افتـــضاحي فغرامـــي بـــالفقيرِ

وقال

لاعـــبْتُ بالـــشطرنجِ مَـــنْ أضـــحى كـــشمسٍ طالعَـــهْ
نفـــسي بـــه ماتـــتْ ومـــا تعجـــبُني المقاطعَـــهْ

وقال

محـــدِّثٌ كالـــبدرِ في هالـــةِ قـــومٍ محدقَـــهْ
عـــشَّاقُهُ مِـــنْ حـــولِهِ هـــمُ رجـــالُ الحلقَـــهْ

وقال

بـــبابِ فـــردوسٍ حلـــبْ ســـطرٌ بـــأعلاهُ عجـــبْ
فـــيه صـــحافٌ مـــن ذهـــبْ هُـــنَّ صـــحافٌ مـــنْ ذَهَـــبْ

وقال

إني لمجـــنونٌ بمجـــنونةٍ يغـــارُ مـــنْ قامَـــتها الغـــصنُ
فمـــن عُذَيْـــري في هـــوى ظبـــيةٍ قَـــدْ عَـــشِقَتْها والإنـــسُ والجـــنُّ

وقال

حكـــى العقـــيقَ والـــنقا بالـــرملِ والأنامـــلِ
وقـــال وصـــلي عقلـــةٌ إلاّ بقـــبضٍ داخـــلِ

وقال

ســـيِّدي زادَ انـــتحالي فـــيكَ حـــتى حـــالَ حـــالي
كـــنتُ أبكـــي مـــن عـــدوِّي فعـــدوِّي قـــد بكـــى لي

وقال

وعاذلـــةٍ رأتْ محـــبوبَ قلـــبي فكـــانَ لهـــا بطلعـــته افتـــنانْ
وجـــاءتْ وَهْـــيَ ســـكرى مـــنْ هواهُ وقالـــتْ لـــيسَ كالخَبَـــرِ العـــيانْ

وقال

ناســــــخٌ راســـــخُ الـــــــروا دفِ والخـــــصرُ قــــدْ طفـــا
قـــد بـــرى الجـــسمَ عـــندما نـــسخَ الوصـــلَ بالجفـــا

وقال

ناشـــدتُهُ أنـــتَ نحـــوي فـــشدَّدَ الـــياءَ عامـــدْ
وقلـــتُ أنـــتَ كـــريمٌ فقـــالَ والكـــافُ زايـــدْ[1]

وقال

يعـــيبُ شـــعريَ أقـــوامٌ وأعـــذرُهُمْ فـــإنَّ شـــعريَ ورديٌّ وهـــمْ جعـــلُ
شـــعري وإنْ كـــانَ سهلاً فَهْوَ ذو ثقلٍ علـــى حـــسوديَ فَهْـــوَ السهلُ والجبلُ

وقال

لـــسانُ حـــالِ عـــذارٍ مِـــنْ هاجـــري لِيَ قائـــلْ
لا تـــدنُ مـــني ودعـــني أكـــتبْ وأنـــتَ تقابـــلْ

وقال

وأفـــشيْتُ ســـرِّي إلى صـــاحبٍ فعـــدْتُ[2] لـــهُ طـــولَ دهـــري ذليلا
فـــوا أســـفا كـــيفَ أودعـــتُهُ لـــيومِ العـــداوةِ ســـيفاً صـــقيلا

وقال

إني تـــركتُ عقـــودَهُمْ وفـــسوخَهم وفروضَـــهم والحكـــمَ بـــينَ اثـــنينِ
ولـــزمتُ بـــيتي قانِعـــاً ومطالِعـــاً كُـــتُبَ العلـــومِ وذاكَ زيـــنُ الـــزينِ
أهـــوى مِـــنَ الفقـــهِ الفـــروقِ دقيقةً فـــبها يـــصحُّ تفـــرّزُ النـــصَّيْنِ
وأحـــبُّ في الإعـــرابِ مـــا هو غامضٌ عـــن نـــصفِ نحـــويٍّ وعابـــرِ عـــينِ
وأقـــولُ في علـــمِ الـــبديعِ معانـــياً مقـــسومةً بـــينَ البـــيانَ وبـــيني

---

(١) في نسخة: زائد.

(٢) في نسخة: فصرت.

وتركتَ نظمَ الشعرِ إلا نادرا   كالبيتِ في سنةٍ أو البيتينِ

ما الشعرُ كالعلمِ الشريفِ نباهةً   فالعلمُ فيه سعادةُ الدارينِ

وقال

كلُّ غرامٍ فيكَ أمسى لي   أَوَاهِاً بي كنتَ أَمْ سالِ

فاجْرِ على أحسنِ منوالِ   فليسَ لي غيرُكَ مِنْ والِ

وقال

وصاحبٍ كنتُ أرجوه فحين رقي   بعضَ الرقيِّ بدا في ثوبِ منحرفِ

فكلما نقلوا مَيْناً حلفْتُ لَهُ   أينقضي العمرُ بينَ النقلِ والحلفِ

وقال

أكُلُّ شعرِكَ يبغي   ميلي إلى الحبِّ مكرَهْ

هوِّنْ عليكَ فروحي   جاءَتْ تُقادُ بشَعْرَهْ

وقال في صدر كتاب إلى أمين الدين إبراهيم كاتب طشتمر وقد دخل الروم صحبة مخدومه في الكائنة المشهورة

ـنا لا عدمناكم إلينا   فمملكةُ الشمالِ(1) بلا يمينِ

ـما حالُ الجنودِ بغيرِ سيفٍ   وما حالُ الوجودِ بلا أمينِ

وقال

ـ تقنعَنَّ بدونٍ   واطمحْ إلى كلِّ غالِ

ـكنْ كغائصِ بحرٍ   مخاطرٍ للآلي

ـ نفسْ بنفسٍ عزوفٍ   تواقةً للمعالي

ـيسَ القناعةُ إلا   للعجزِ أو للكلالِ

وقال

ـا ترجماناً لي ثمانونَ في   ذمَّته مَنْ عزَّ بالمطْلِ هانْ

ـ ثمانينَ وبُلِّغْتَها   قدْ أحوجَتْ سمعي إلى ترجمانْ

---

(1) في نسخة: الشآم.

وقال وقد أنشده بعضهم ثمانين بيتًا سمجة النظم

هــــذه ثمانــــونَ بيــــتاً لا يلــــذُّ بهــــا ... سمــــعٌ ولا بــــصرٌ تحكــــي الثعابيــــنا

قالــــوا أنيــــنُكَ طــــولَ الليــــلِ يقلقُــــنا ... فمــــا الــــذي تــــشتكي قلــــتُ الثمانينا

وقال

بــــاركَ اللهُ في قلــــيلِ ذُهَــــيْبٍ ... صــــانني عــــنْ تــــبذُّلٍ وســــؤالِ

وجــــزى[1] اللهُ مَــــنْ دعــــا لــــصديقٍ ... بارتفــــاعٍ وقــــد رأى مــــا جــــرى لي

وقال

مَــــنْ رامَ طــــولَ العمــــرِ يــــصبرْ على ... مــــصائبٍ أهــــونُها[2] مــــا تــــراهْ

طالــــتْ حــــياتي في ســــوى طائــــلٍ ... حــــتى رأيــــتُ القــــردَ[3] قاضي القضاه

وقال

أحــــسِنُ مــــدارةَ الــــورى ... يَعُــــدْ علــــيكَ نفعُهــــا

كــــمْ مــــنْ يــــدٍ قبلْــــتُها ... كــــانَ بــــودِّي قطعُهــــا

وقال

العروضــــيُّ فــــلانٌ ... إنْ بَــــدَتْ مــــنهُ هــــناتُ

فلــــهُ عــــاداتُ ســــوءٍ ... فــــاعلاتٌ فــــاعلاتُ

وقال

مــــاذا تقولــــونَ في محــــبٍّ ... عَــــنْ غــــيرِ أبــــوابكم تخلَّــــى

وجــــاءكم زائــــراً حفــــيظاً[5] ... لعهــــدِكم[4] هــــلْ يجــــوزُ أمْ لا

---

(١) في نسخة: وخزى.

(٢) في نسخة: هذي.

(٣) في نسخة: استاذي.

(٤) في نسخة: عفيفا.

(٥) في نسخة: مداراة.

وقال

يــا مــنْ يطــببُ قــوماً ثم يمهلُهُم[1]   يــوماً بمــاذا عــداكَ الــشرُّ تعــتذرُ
اذكــرْ فــلانَ الــذي أســهلْتَهُ سَحَرَاً   إنَّ الكــرامَ إذا مــا أســهلوا ذكــروا

وقال

إذا مــا قلــتَ إنَّ القــرعَ يحكــي   بــني الــورديِّ أخطــأتَ الــرميَّهْ
فــإنَّ القــرعَ ذو عمــرٍ قــصيرٍ   وإنَّ الــوردَ شــوكتُهُ قــويَّهْ

وقال

قــوِّضْ إلى قــوصِ الــصعيدِ فــبابُها   بــابٌ صــحيحٌ للقــبولِ مجــرَّبُ
مَــنْ لم يجــدْ مــاءً يكــنْ متــيمماً   قوصــاً فقــوصُ هــي الصعيدُ الطيِّبُ

وقال

رأيــتُ فقــيراً في المــرقَّعةِ الــتي   علــى لطفــهِ[2] دلَّــتْ وحسنِ طباعهِ
بخدَّيــه ريحــانُ الحواشــي محقَّــقٌ   إلى الــثلثِ والفــضّاحُ تحــتَ رقاعــهِ

وقال

انقلــــبَ الحــــبرُ علــــى   ثــــوبكَ فابْــــشر بــــالأدبْ[3]
فــــإنَّ حــــبرَ[4] كاتــــبٍ   ربــــحٌ إذا هــــو انقلــــبْ

وقال

إذا لَمْ يــــردَّ فــــلانُ الكــــتابَ   ودافعــــني عــــنهُ بالــــباطلِ
نــــدبتُ لــــه قاضــــياً فاضــــلاً   وحــــصَّلْتُ حقّــــيَ بالفاضــــلِ

---

(١) في نسخة: عن مالكم.

(٢) في نسخة: حسنه.

(٣) في نسخة: الأرب.

(٤) في نسخة: فحبر كل.

وقال

لمجـــــنونِكُمْ عـــــارضٌ أخــــضرُ دليلــــي علـــى حـــبِّه نــــاهِضُ
وقالـــوا أسُـــلٌ بـــه[1] عـــارضٌ فقلــــتُ وبي ذلـــكَ العـــارضُ

وقال

واللهِ لا هجـــــــــــــوتُهُ ولا الـــــــتفتُّ نحــــــوَهُ
مَـــنْ لـــستُ أرضـــى مدحَـــهُ فكـــيفَ أرضـــى هجـــوَهُ

وقال

واغــــضبا مِـــنْ شـــاعرٍ وإنْ أقــــلَّ وافتقـــــرْ
أهـــانَ مـــا يعلمُــــهُ فقلَّـــدَ[2] الـــدرَّ البقـــرْ

وقال

إلى كـــمْ هكـــذا سمـــنا وطـــولاً وأمُّـــك ذاتُ عـــرقٍ مـــستدِّقِ
لقـــدْ أصـــبحتما طرفَـــيْ نقـــيضٍ ألا يـــا نخلـــةٌ مِـــنْ ذاتِ عـــرقِ

وقال

إنْ كـــنتَ أبـــصرتَ مثلـــي يـــوماً فلـــم أرَ مـــثلَكْ
لـــو تـــستطيعُ المعـــالي جـــاءَتْ تقـــبِّلُ رجلَـــكْ

وقال

لقـد عجَّـلَ المحـبوبُ نَبْتَ عذارِهِ[3] فـزادَ بـه حُـسناً فعـيلَ بـهِ الصبرُ
تـردى ثـيابَ المـوتِ حمراً فما أتى لهـا الليـلُ إلا وَهْيَ منْ سندسٍ خضرُ

---

(١) في نسخة أسله فبه.

(٢) في نسخة: يقلد.

(٣) في نسخة: وعاج له نبت العذار بخده.

وقال

بتـــنا ضـــيوفاً لغـــادة قـــصدَتْ ... ذبـــحَ خـــروف قَـــدْ طـــابَ واعتدلا

حلـــتْ ربـــاطَ الخـــروفِ تنـــشدُهُ[1] ... أمـــا تـــرى الـــشمسَ حلّـــتِ الحَملا

وقال مضمنًا من قصيدة المتنبي

كـــأنَّ الـــشقيقَ وألـــوانهُ ... ثـــيابٌ شُـــقِقنَ علـــى ثاكـــلِ

وثغـــرُ الأقاحـــيَ مستـــضحكٌ ... لهـــمْ فـــيهمُ قـــسمة العـــادلِ

فـــدى نفـــسَهُ بـــضمان النـــضارِ ... وأعطـــى صـــدورَ القـــنا الـــذابلِ

ونرجـــسُنا ناظـــرٌ ناضـــرٌ[2] ... ولا يـــرجعُ الطـــرفُ عـــنْ هائـــلِ

فـــيا لـــكَ غـــصناً علـــى ذابـــلٍ ... مكـــانَ البـــنانِ مـــنَ العامـــلِ

وقال

كاتـــبٌ علّـــقَ قلـــبي ... مـــنْ عذاريـــه ســـطورُ

قـــالَ لي أكـــتبُ ثلـــثاً ... قلـــتُ والـــثلثُ كـــثيرْ

وقال

إذا وَهَـــبْا الـــيومَ فلـــساً واحـــداً ... يقـــصرُ عـــنا في الـــسخاء جعفـــرُ

جعفـــرُ أعطـــى والـــزمانُ مقـــبلٌ ... ونحـــنُ نعطـــي والـــزمانُ مدبِـــرُ

وقال مجيزًا للبيت الأخير

أراني اللهُ وجهَـــكَ كـــلَّ حـــينِ ... ضـــحوكَ الثغـــرِ وضـــاحَ الجـــبينِ

ولـــيَّنَ قلـــبَكَ القاســـي لدمـــعٍ ... إذا كفكفْـــتُهُ خُـــضِبَتْ يمـــيني[3]

فكـــمْ لي مـــنْ دمـــوعٍ غالـــيات ... رخـــصنَ لـــدرٍّ مبـــسِمكَ الـــثمينِ

أتفـــرحني بطـــيبِ الوصـــلِ كـــلاً ... فمـــا في العاشـــقينَ ســـوى حـــزينِ

---

(١) في نسخة: منشدة.

(٢) في نسخة: ناصر.

(٣) في نسخة: أغضبت عيني.

متى أبصرتُ قبلكَ ظبيَ إنسٍ ... تصيدُ لحاظُهُ أسْدَ العرينِ

فأغمدْ سيفَ لحظِك فهْوَ ماضٍ ... فما يُبقي عليَّ ولا يقيني

بمنْ(١) ذا أستعينُ عليكَ هلْ منْ ... رشيدٍ ناصرٍ للمستعينِ

تخلّتُ فمنْ يعدني لم يجدني ... ولَيسَ يدلُّهُ إلاّ أنيني

أعيشُ متيَّماً وأموتُ صبّاً ... وأُبعَثُ عاشقاً حلفَ الحنينِ

حفظْتُ منَ الهوى قلبي زماناً ... ولمْ أعلمْ بأنّك في الكمينِ

وقال

لمْ أجمعِ المالَ فخراً ... ولا لصيتٍ وشهرَهْ

لكنْ ليسترَ وجهي ... عنِ الخضوعِ لغُرَّهْ

وقال

لمْ أجمعِ المالَ فَخْراً ... ولا لحرصٍ وغَفْلَهْ

لكنْ ليسترَ وجهي ... عنِ الخضوعِ لسفلهْ

وقال

يا سادةً لما بَعُدْنا عنهمُ ... بَعُدَتْ مودتُهمْ وعزَّ مرامُ

الشوقُ أعظمُ أنْ يحيطَ بوصفهِ ... كتبٌ وتبلغُ حدَّهُ الأقلامُ

الشوقُ أعظمُ أنْ يحيطَ بوصفهِ ... عهدي وإنْ لمْ تجمعِ الأيامُ

فعليكمُ وعلى حمىً أنتمْ بهِ ... وعلى دمشقَ تحيَّةٌ وسلامُ

وقال

قلْ لتقيِّ الدينِ حاشاكَ منْ ... إضاعةِ الصاحبِ والجارِ

أنتَ منَ الفردوسِ في جنَّةٍ ... ونحنُ منْ بعدكَ في نارِ

---

(١) في نسخة: بماذا.

وقال

قـــدرُكَ يـــا صـــاحبي وقـــدري يجـــلُّ عمّـــا أبـــنْتَ عـــنهُ
مَـــنْ لـــستُ أرضـــى لـــهُ قلـــيلاً فكـــيفَ أرضـــى القلـــيلَ مـــنهُ

وقال

قـــدْ عبـــتمُ خـــدَّ حِبّـــي لمـــا بـــدا الـــشعرُ فـــيهِ
وذا الـــــذي عِبـــــتُموهُ هـــو الـــذي أشـــتهيهِ

وقال

مـــا الـــذي ضَـــرَّكَ لـــوْ زرْ تَ إذا غـــابَ الـــرقيبُ
إنْ نـــزلتَ القلـــبَ يـــا بـــد رُ فللطـــرفِ نـــصيبُ

وقال

قـــال زنـــارُ خـــصرِهِ كـــمْ كـــذا تـــرجعُ البـــصرْ
قلـــتُ لا تنفـــردْ بـــهِ لـــكَ شـــدٌّ ولي نظـــرْ

وقال

أيُّهـــا الفاضـــلُ الـــذي عـــزلُوهُ فتبـــسمتُ مِـــنْ غـــبونٍ وضَـــنكَ
صـــدَّقَ الـــناقلونَ هـــذا ولكـــنْ[٢] لا تَـــشَفٌّ تبـــسُّمي بَـــلْ تـــشكِّي
ومِـــنْ الـــضحكِ مـــا يكـــونُ لحـــزنٍ ومـــنَ الحـــزن مـــا يكـــونُ لـــضحكَ
كمـــشيبِ الـــرءوسِ يـــضحك لَمّـــا يبـــتدي وَهْـــوَ في الحقـــيقةِ يبكـــي[١]

وقال

قولـــوا لمـــنْ يفخـــرُ بـــالعظمِ الفخـــرُ بـــالعلمِ وبـــالحلمِ
إذا عـــلا قـــدري عـــن والـــدي بـــزعمكُمْ دلَّ علـــى عزمـــي

(١) في نسخة: مبكي.

(٢) في نسخة: عني هذا.

يـــا رحمـــةَ الـــرحمنِ أُمِّـــي أبي ... واللهِ مــــا كــــانَ[1] أبي أُمِّـــي

هـــذا وبالـــصدِّيقِ لي نـــسبةٌ ... ووصــــلةٌ تُعـــرف كالـــنجمِ

أعــــددْتُها للحـــشْرِ ذخـــراً ولا ... أبغـــي بهـــا فخـــراً علـــى خـــصمي

يـــا ثـــانيَ المختـــارِ في غـــارِهِ ... وقـــبرِهِ الزاكـــي وفي الحكـــمِ

لا تُخْلِـــني مِـــنْ لحظـــاتٍ فلـــي ... أعـــداءُ ســـوءٍ يكـــرهون اسمـــي

ذنـــبي إلـــيهمْ أنـــني عـــالمٌ ... وفـــارسٌ في النثـــرِ والـــنظمِ

وإن ذكـــري شـــائعٌ ذائـــعٌ ... وذكـــرُهُم أخفـــى مـــنَ الـــوهمِ

مـــن كـــل مَـــنْ يعلـــمُ فـــضلي وقدْ ... أضـــلَّهُ اللهُ علـــى علـــمِ

وقال

إنَّمـــا أهـــرامُ مـــصرَ مهلـــكٌ ... كـــلُّ مَـــنْ غـــرَّرَ فـــيها يُختـــرمْ

قـــالَ قـــومٌ مـــا هـــوَ الـــشرُّ الـــذي ... يتمـــناهُ الفـــتى قلـــتُ الهـــرمْ

وقال

بعلـــةِ الـــسلِّ توفِّـــيْ أخـــي ... وكـــانَ في الأســـيافِ معـــدودا

يـــا مغمـــداً في التـــربِ مِـــنْ بينـــنا ... أبكـــيكَ مـــسلولاً ومغمـــودا

وقال

إذا مـــا زوجـــةُ الإنـــسانِ ماتـــتْ ... فمـــا بقـــيتْ لمـــسكنِه ســـكينَهْ

وكـــيف يطـــيعُهُ نظـــمٌ ونثـــرٌ ... ولا بـــيتٌ لَدَيْـــهِ ولا قـــرينهْ

وقال

إنَّمـــا الدنـــيا عـــناءٌ وذلٌّ ... ســـاءَت الأحـــوالُ في حالتـــيها

إنْ طلبـــناها طلبْـــنا خـــيالاً ... أو تـــركناها اضْـــطررْنا إلـــيها

---

(١) في نسخة: فسرني كون.

وكتب إلى الشيخ شهاب الدين بن المرحل النحوي المصري وقد حضر حلقة تدريسه بجامع

ألا أيُّها المولى الذي زارَ عبدَهُ ... ولا بدعَ في مولى تمشَّى إلى عبدِ
تفضلْتَ حتى ضاقَ ذرعي لشكرِ ما ... صنعْتَ وهذا لا يقومُ به جهدي [1]
وعنديَ أني حاضرٌ أنا عندَهُ ... لرفعته لا أنه حاضرٌ عندي
وكانَ هناكَ الصمتُ أجملُ بي وأنْ ... أصيخَ سماعاً لا أعيدُ ولا أبدي
فهلْ أنا إلا قطرةٌ منْ سحابكُمْ ... ولو كنْتَ في الإعرابِ كالعلمِ الفردِ
عرقْتُ حياءً من حضورِكَ ذاهلاً ... بفضلِكَ عنْ حسنِ المباحثِ والنقدِ
ولكنْ وثوقي منكَ بالصفحِ حثَّني ... على بعضِ بحثٍ بالتكلُّفِ والجهدِ
وجئتُ ببحثٍ أعجبتْكَ فنونُهُ ... ولولا حيائي كنتُ أبدعتُهُ جهدي
وليسَ حياءُ الوجهِ في الذئبِ شيمةً ... ولكنها من شيمةِ الأسدِ الوردي

وقال

قالوا تركتَ الحكمَ قلتُ تركتُهُ ... واعتضتُ عنْ خضرِ القضا بالياسِ
قَتَلَ الأنامُ على الحطامِ نفوسَهُمْ ... فصفعتُ دنياهم بألفِ مداسِ

وقال

أُعَبِّسُ حينَ ألقاهُ ... كأني لستُ أهواهُ
محاذرةً من الواشي ... ووسْطَ القلبِ مأواهُ
وقالوا صفْ لنا شهداً ... وخمراً خامراً فاهُ
سلوا مَنْ ذاقَهُ يوماً ... فلستُ بعالمٍ ما هو

ومدح جمال الدين بن ريان الشيخ جمال الدين بن نباتة بقصيدة فأجابه عنها الناظم بقوله

خليليَّ هَلْ من رقدةٍ أستريحُها ... على البيْنِ أمْ مِنْ عبرةٍ أستبيحُها

---

(١) ويروى: حمدي.

ألا أيهـــذا الـــباعثُ الكـــتْبَ حـــيلةً ... ليذْكـــرني داراً قـــريباً نـــزوحُها[١]

بـــدا كنـــبات القطـــرِ قَطْـــر نـــباتَها ... فـــأخجلني إطـــراؤُها ومـــديحُها

فمـــا روضـــةٌ بالحـــزنِ باكـــرَها الحيا ... يمـــجُّ خـــزاماها نـــداهُ وشـــيحُها

بأطـــيبَ مِـــنْ أبـــياتِ نظـــمٍ بعثـــتُها ... تجـــدِّدُ أشـــواقاً طـــوالاً شـــروحُها

ومـــا فـــضلُ مـــولانا بـــبدْعٍ فكمْ لهُ ... مآثـــرِ إحـــسانٍ جلـــيٌّ وضـــوحُها

جـــدودُكَ أقطـــابُ الكـــلامِ ملـــوكُهُ ... فـــلا عجـــبٌ بالمعنـــيين فـــتوحُها

لقـــد رُدَّ تفويـــفُ الكـــلامِ موشَّـــعاً ... لهـــم مـــثلما رُدَّتْ ليوشَـــعَ يـــوحُها

فـــأيُّ زمـــانٍ مـــرَّ قـــطُّ ولَمْ يكـــنْ ... علـــى غـــصنِ العلـــياءِ منكمْ صدوحُها

فـــأولكُمْ في الأولـــينَ خطيـــبُها ... وآخـــركُمْ في الآخـــرينَ فـــصيحُها

فقـــل للـــذي يبغـــي مـــداها بـــزعمه ... نعـــمْ جـــسداً لكـــنْ يفـــوتُكَ روحُها

وبعـــدُ فلـــي ســـرٌّ[٢] إلـــيكَ أبـــوحُهُ ... ومـــا كـــلُّ أســـرارٍ عنـــتني أبـــوحُها

وذلـــك أني تجنـــبْتُ مـــا الـــورى ... علـــيهِ مـــنَ الدنـــيا الـــتي غـــرَّ ريحُها

ولمـــا تأملـــتُ الأمـــورَ وبـــانَ لي ... بتجـــريبها معـــتلُّها وصـــحيحُها

تخـــذْتُ مقامـــاً بالمقـــامِ مقاطعـــاً ... لأطمـــاعِ نفـــسٍ حـــانَ منها ضريحُها

ونـــزَّهْتُ نفسي منْ زحامِ الورى على ... ركـــيٌّ بكـــيٌّ لا يـــبضُّ شـــحيحُها

إلى كـــمْ وكـــمْ إذلالُ نفـــسٍ إلى متى ... فخـــيرٌ مـــنَ الإذلالِ مـــوتٌ يـــريحُها

ســـلامٌ علـــى الدنـــيا فهلْ مِنْ موافقٍ ... علـــى تـــركِ دنـــيا ليسَ تبرا جروحُها

فـــإنْ رنَّحـــتْ عطفـــاً فـــلا يستميلُها ... وإنْ سمحـــت لطفـــاً فلا يستميحُها[٣]

فـــلا تُخْلـــني[٤] مـــنْ دعـــوةٍ أُخْرويَّة ... عـــسى تـــوبةٌ يُرضـــي الإلهَ نصوحُها

فأنـــتَ أخٌ في اللهِ يُرجـــى دعـــاؤُهُ ... إذا استنـــصحَتْ نفـــسٌ فأنتَ نصيحُها

---

(١) ويروى: تروحها.

(٢) ويروى: شوق.

(٣) ويروى: تستميحها.

(٤) ويروى: تنسني.

سـقى عهـدَ دارٍ قَدْ حللتَ سفوحَها   عهـادُ سـحابٍ مـستهلٌ سـفوحُها

وقال

علـيكَ بـصهوةِ الـشهباءِ تكفـي   بجوشَـنِها محاربـةَ الـزمانِ
فللغـرفاتِ في الفـردوسِ طـيبٌ   يفـوحُ شـذاهُ مِـنْ بـابِ الجنـانِ

وقال

مـا دامَ في الإنـسانِ روحٌ فقـد   يـبلغُ[1] الدنـيا أمانـيهِ
فـلا تَهيـنَنَّ صـغيراً فقـدْ   يحطُّـكَ الدهـرُ ويعلـيه

وقال

لا تعاتـبْ علـى انقطاعـي فـودِّي   محـرزٌ لا تخـفْ علـيهِ ضـياعا
فوصـالُ العـدوِّ لـيسَ وصـالاً   وانقطـاعُ المحـبِّ لـيسَ انقطاعـا

وقال

غـيري يُغيِّـرُه الجفـا   ويـصدُّ عـنْ مـيْتٍ بحـيْ
لا أرتـضي ودَّ امـرئٍ   إنْ زدتُ رشـداً زادَ غـيْ
إن الغـنيَّ هـو الغـنيّ   بـربِّه والمـالُ فَـيْ
مـا كـلُّ شـيءٍ كافـياً   وإذا قـنعْتَ فـبعضُ شـيْ
عـزَّ الخـلاصُ فلـمْ أقـل[2]   هـذا جـناهُ أبي علـيْ

وكتب إليه الشيخ جمال الدين بن نباتة كتابًا يخبره فيه أنه مدح القاضي شهاب الدين بن فضل الله بقصيدة مطلعها "خلقت على مرادي واقتراحي" وأن القاضي شهاب الدين طلب على لسان الشيخ جمال الدين وزنها من الشيخ زين الدين بن الوردي فقال

أأُقْـتَلُ بـينَ جـدِّكَ والمـزاحِ   بنـبلِ جفـونِكَ المرضـى الـصحاحِ
يكـدِّرُني نـواكَ وأنـتَ صـافٍ   ويـسكرني هـواكَ وأنـت صـاحِ

---

(١) ويروى: يبلغ في.

(٢) ويروى: كيف الخلاص من الأذى.

وأبكـــي للغـــرامِ وأنـــتَ لاهٍ | وأُعـــذَرُ في الأُوامِ وأنـــتَ لاحِ
فمـا لـسراحِ دمعـي مِـنْ إسـارٍ | ومـا لإسـارِ وجـدي مـنْ سـراحِ
رضـاكَ إلى رضـابكَ لي دلـيلٌ | ألـيسَ كلاهمـا روحـي وراحـي
ومـا لـصباحِ وجهِـكَ مِـنْ مساءٍ | ومـا[1] لـمساءِ شـعركَ مِـنْ صباحِ
ولي لحـظٌ يطـيرُ إلـيكَ شـوقاً | فهـا قـدْ طـارَ مـبلولُ الجـناحِ
ووجهُـكَ فـوقَ قـدِّكَ عـرفاني | بإثمـارِ الـبدورِ مـنَ الـرماحِ
عـذارُكَ ملحـةٌ بعـد اختـتامٍ | يقـولُ[2] أقـولُ مـنْ بعـدِ افتـتاحِ
وثغـرُكَ جوهـريُّ الـنظمِ يُعـزى[4] | غـريبُ الحـسنِ فـيهِ إلى الـصحاحِ
لقـدْ أصـبحتُ مـن سـرِّي ودمعي | لَقَـىً بـينَ اسـتتارٍ وافتـضاحِ
وسمعـي لا يعـي بـابَ الوصـايا | وطـرفُكَ عـارفٌ بـابَ الجـراحِ
فـإنْ يكـنْ اجتـرحتُ هـواكَ ذنباً | فتكفـيني[3] جراحـي باجتراحـي
يحـقُّ لِمَـنْ لحـاني فـيكَ ذمـي | وحُـقَّ لكاتـبِ الـسرِّ امتداحـي
ولـستُ سـوى ابنِ فضلِ اللهِ عني[5] | شـهابِ الـدينِ ذي الغـررِ المـلاحِ
أبي العـباسِ بـسَّامِ الثـنايا | كفـى الجـيشَ الـتحاماً بالـتماحِ
يعـدُ نـداه في إحـياءِ مـيْتٍ | كعـدٍّ سـطاهُ في القـدرِ المـتاحِ
جـوادٌ كثُّـرتْ يـدُهُ أيـادي الْ | عفـاةِ وقلَّلـتْ أهـلَ الـسماحِ
وحـيدٌ مـا لقلـبي عـنهُ ثـانٍ | ولا يعـدوهُ في الدنـيا اقتراحـي
قريـرُ العـينِ مـضطربُ الأعـادي | مـصونُ العـرضِ مـبذولُ الـسماحِ
مهـيبُ المنتمـى طلـقُ المحـيَّا | خفـيُّ المرتمـى بـادي الـصلاحِ

---

(١) ويروى: ولا.

(٢) ويروى: تقول.

(٣) ويروى: فيكفيني.

(٤) ويروى: يغزى.

(٥) ويروى: أعني.

شمائلُـــــهُ حَمَـــتْهُ عـــنْ شمـــولٍ ... فمـــا دارَتْ لـــــهُ راحٌ بـــراحِ
ومـــا سمـــرُ القـــدودِ وإنْ ســبتنا ... أحـــبُّ إلـــيهِ مـــنْ سمـــرِ الـــرماحِ
ولا بـــيضُ الـــثغورِ إلـــيه أشـــهى ... وإنْ عـــذبتْ مـــن البـــيضِ الـــصفاحِ
نـــدى لانَـــتْ معاطفُـــهُ وبـــأسٌ ... يـــذيبُ حـــشاشةَ الأســـدِ الـــوقاحِ
وجـــودٌ لـــوْ تفـــرَّق في الـــبرايا ... خَلَـــتْ بـــابنِ الكـــرامِ عـــن الشحاحِ
حـــرامٌ أنْ يُـــذمَّ وجـــوبُ نـــدبٍ ... نفـــى المكـــروهَ بالمـــالِ المـــباحِ
لـــهُ قلـــمٌ بفـــضلِ اللهِ يُحيـــي ... لـــنا نحـــيا بـــه بعـــدَ انتـــزاحِ
فمـــا أدري أنقـــشاً[1] فـــوقَ طـــرسٍ ... يطـــرزُ أم مـــساءً في صـــباحِ
أســـدُّ مـــن الـــسهامِ[2] مـــضاءَ أمـــرٍ ... وأجـــرى في الخطـــوبِ مـــن الـــرياحِ
كأسمـــرَ في قلـــوبِ البـــيضِ مـــنهُ ... شـــكاوى فَهْـــيَ شـــاكيةُ الـــسلاحِ
هـــو ابـــن جَـــلا وطـــلاَّعُ الثـــنايا ... مـــتينُ المـــتنِ خفَّـــاقُ الجـــناحِ
أأحمـــدَ فاضـــلٍ وأجـــلَّ صـــدرٍ ... وأســـعدَ كاتـــبٍ وأعـــزَّ مـــاحِ
أتـــاني فـــيكَ مـــدحٌ مـــنْ إمـــامٌ ... بقطـــرِ نـــباتِه يحلـــو انـــشراحي
ســـكرتُ بلفظِـــهِ شـــكراً وحمـــداً ... لقائلِـــــهِ فقـــــامَ مقـــــامَ راحِ
فواطـــربا للـــذةٍ مـــا ســـقاني ... ويـــا طـــيبَ اغتباقـــي واصـــطباحي
فـــلا تـــسجحْ[3] بمدحِكَ فَهْوَ[4] صدقٌ ... وبعـــضُ المـــدحِ أكـــذبُ مِنْ سجاحِ
وكـــمْ قـــدْ بلَّغـــوني عـــنكَ جـــبراً ... وتأهـــيلاً يـــزيدُ بـــهِ مراحـــي
فـــدتْكَ عـــدى هـــمُ الأعـــداءُ غـــياً ... وقـــدْ كانـــوا ذوي لـــسنٍ فـــصاحِ
فـــإنْ ســـالمتهم ســـلموا وســـاموا ... وإن حاربْـــتَهم أضـــحَوا أضـــاحي
بـــني الفـــاروقِ بيـــتُكُمْ رفـــيعٌ ... أثـــيلُ المجـــدِ محـــروسُ النواحـــي

---

(١) ويروى: أنقسا.

(٢) ويروى: القضاء.

(٣) ويروى: يسجح.

(٤) ويروى: وهو.

فمـــا لكـــتابةِ الأســـرارِ عـــنكُمْ وأســـرارُ الكـــتابةِ مِـــنْ بـــراحِ
بـــيانٌ مِـــنْ معانـــيكمْ بديـــعٌ بـــه نمَّقْـــتم روضَ الـــبطاحِ
فـــضرَّجتمْ بـــه للـــوردِ خـــداً وفلَّجـــتمْ بـــه ثغـــرَ الأقاحـــي
فخـــذْها بـــنتَ ليلـــتِها عروســـاً تُـــزَفُّ إلـــيكَ كالخـــوْدِ الـــرداحِ
قـــوامُ الغـــصنِ مـــنها في ذبـــولٍ ووجـــهُ الـــبدرِ مـــنها في افتـــضاحِ
فـــإنْ يـــكُ عـــنْ مـــداكَ بهـــا قصورٌ فـــبذلُ الجهـــدِ عـــندي كالـــنجاحِ
ومـــا أنـــا شـــاعرٌ حاشـــا علومـــي ولـــستُ أرى التكـــسُّبَ بامتداحـــي
فلـــي مِـــنْ نعمـــةِ الـــرحمنِ مـــالٌ يـــصونُ عـــن احتـــياجٍ واجتـــياحِ
ولْمْ أقـــصدْ بمـــدحِكَ غـــيرَ ودٍّ أروضُ بـــهِ الـــزمانَ عـــن الجمـــاحِ
لأعلـــمَ أنَّ في الدنـــيا وفـــياً فأســـلو عـــنْ نواحـــي في النواحـــي
ولـــولا الـــشعرُ بالعلمـــاءِ يـــزري لأتعـــبتُ القـــرائحَ باقتراحـــي
أرى في العلـــمِ عـــنه ألـــفَ لاحٍ يـــناديني بحـــيَّ علـــى الفـــلاحِ
وكـــنتُ أطـــا علـــى الشعرى بشعري وأطفـــي الـــشُّهْبَ مـــنْ شررِ اقتداحي
وهـــا أنـــذا اطـــرحْتُ غـــبونُ دهري فدهـــري للأفاضـــلِ ذو أطـــراحِ
حـــثوتُ بأوجـــهِ الآداب تـــبراً[1] ولم أشـــرعْ لـــشارعِها جناحـــي
وخفـــتُ علـــى بـــناتِ الفكـــرِ يتماً فـــإنَّ الـــشيبَ يـــنذرُ بالـــرواحِ
وعفْـــتُ شـــرابَ أمداحـــي فلمـــا وجـــدتُكَ أهلَهـــا حَـــسُنَ امتداحـــي
فـــساغَ لي الـــشرابُ وكـــنت قـــدْماً أكـــادُ أغـــصُّ بالمـــاءِ القُـــراحِ
ولـــو أني اســـتطعتُ أتـــيتُ[2] أسعى إلـــيكَ وفـــزتُ بالمجـــدِ الـــصراحِ
ومـــنْ لي أن أبـــيتَ قريـــرَ عـــينٍ أعاطـــي كـــأسَ لفظِـــكَ للـــصباحِ

---

(١) ويروى: تربا.

(٢) ويروى: لجئت.

أشـــنِّفُ مـــسمعيَّ بـــدرٍّ درٌّ	تناثَـرَ مِـنْ سـحائبِكَ الـسحاحِ[1]

بقـيتَ لأمـةٍ لـو لَمْ تـصنْها	طحـا بنفوسِـها للـبينِ[2] طَـاحِ

ففعلُـكَ للجمـيلِ اسـمُ اختـتامٍ	فَـدُمْ مـا دامَ هـا حـرفَ افتـتاحِ

وقال

لـو كـنتَ تدري ما لَقِيْتُ من الهوى	وعلمـتَ سـرَّ عـذابيَ المـستعذَبِ

لوصـلْتَ وصـلي واقـتطعْتَ قطيعتي	وهجـرْتَ هجـري واجتنـبتَ تجنُّبي

وقال

جعلْـتَ مـضيفَنا جبـناً رديـئاً	وكـناً مظلمـاً لم يـرضِ سـاكنْ

فـلا يكثـرْ لـكَ الـرحمنُ خـيراً	فمـا إنْ طبَّـنا جـبنٌ ولكـنْ

وقال

يـا هـندُ مـا في زمـاني	مـساعف أو مـساعدْ

فـإن[3] صـدقْتُ وإلا	فكذبـيني بـواحدْ

وقال

كـلَّ يـومٍ رتَّـبوا أربعـةً	لـكَ فـازددتَ علينا صعـصعهْ

فلـوِ اسْـتُفْتيتُ في سـيدنا	قلـتُ يـستأهلُ قطـعَ الأربعَـهْ

وقال

فـولٌ بفلـسٍ غـداءً	واللـبس سـحق قطـيفَهْ

فـاشمخْ بأنفِـكَ تـيهاً	وعـشْ بـنفسٍ شـريفَهْ

والمـوتُ عـدلٌ يـسوِّي	بـيني وبـينَ الخلـيفَهْ

---

(١) ويروى: السجاح.

(٢) ويروى: للحين.

(٣) ويروى: قولي.

وقال

يـــا نفـــسُ قـــدْ آنَ أنْ تجـــدِّي فــــلا تقـــولي الـــرحيلُ مـــبهمْ
فـــشيبُ رأســـي وعـــيبُ نفـــسي أُسْـــــرجُ هــــذا وذاكَ أجْـــمْ

وقال

خلعْـــتُ ثـــوبَ القـــضاءِ طـــوعاً هــــذا ومــــا كــــنتُ بالظلـــومِ
إنْ زالَ جـــاهُ القـــضاءِ عنِّـــي يكفـــــيني الجـــاهُ بالعلـــومِ

وقال

اكـتم الغيظ في الهجا إن هجيت وإن[1] زاد هاجـيك في الهجــاء وقــبح
وتجلَّــدْ لــزورِ هجــوٍ ومــدحٍ أو لـيسَ الملـوكُ تُهجـى وتُمـدحْ

وقال

وخطـــــيبٍ تظـــــنُّهُ فائـــــزاً وَهْـــوَ هالِـــكْ
فَهْـــوَ في المـــاءِ ناســـكٌ وَهْـــوَ في المـــالِ فاتِـــكْ

وقال وقد سكن كمال الدين بن ريان بالمقام ظاهر حلب

بـكَ يـا كمـالَ الـدينِ إبراهيمُ قدْ شَـرُفَ المقـامُ وأنـتَ فـيهِ مقـيمُ
لـولا التقـى أنـشدْتُ فيكَ مخاطباً[2] هـذا المقـامُ وأنـتَ إبـراهيم

وقال

ألا يــــا لَقلـــــةِ إنـــــصافه ألا يــا لهــا يــا لهــا يــا لهــا
وكـــم بلَّغـــوني أقاويلَـــهُ فأحلـــفُ بـــاللهِ مـــا قالهـــا[3]
ولـــو قلـــتُ في حقـــهِ بعـــضَها لزلـــزلتِ الأرضُ زلـــزالها

---

(١) ويروى: اكتمِ الغيظَ إنْ هُجيتَ وإلا.

(٢) ويروى: موريا.

(٣) ويروى: ويحلف بالله ما قالها.

وقال

أنـــا لا أمـــشي إلـــيه لا ولا أســـأَلُ عـــنهُ
إنْ يكـــنْ أشـــهرَ مـــني فأنـــا أكمـــلُ مـــنهُ

وقال

قـــد زرتُـــهُ يـــوماً فـــصادفْتُهُ يكـــتبُ أسمـــاءَ الطفيلـــيَّهْ
فخفْـــتُ أنْ يكتـــبني مـــنهمْ فقـــالَ كُـــلْ قلـــتُ علـــى نـــيَّهْ

وقال

إيـــاكَ ونظـــمَ الـــشعرِ(١) فإنـــهُ بالعلمـــاءِ يُـــزري
واللهِ لـــولا شـــهرتي وذكـــري بـــالعلمِ كـــان الـــشعرُ حـــطَّ قدري

وقال وسمعت من ينشد

كـــم عـــالم عـــالم أعـــيت مذاهـــبه وجاهـــل جاهـــل تلقـــاه مـــرزوقًا
هـــذا الـــذي تـــرك الأوهـــام حائرة وصـــير العـــالم النحريـــر زنـــديقًا

وقال

كـــم عـــالمٍ عـــالمٍ يشكو طوى وظما وجاهـــلٍ جاهـــلٍ شـــبعانَ ريَّانـــا
هـــذا الـــذي زادَ أهلَ الكفرِ لا سلِموا كفـــراً وزادَ أولي الإيمـــانِ إيمانـــا

وقال

حظِّـــي حـــظٌّ نـــاقصٌ مِـــنْ أصـــدقائي والعـــدى
لـــو كـــانَ حظـــي بـــشراً لكـــانَ عـــبداً أســـودا

وقال ملغزًا في نار

عجـــبتُ لـــشيءٍ كـــلُّ شـــيءٍ يهابُهُ وكـــمْ فـــيهِ مِنْ نفعٍ عظيمٍ ومِنْ ضررْ
لـــهُ وجـــنةٌ محمـــرَّةٌ وذوائـــبٌ طـــوالٌ وعـــنقٌ لا يلابُـــسُهُ قـــصرْ
وســـعيٌ بـــلا رجـــلٍ وبطـــشٌ بلا يدٍ وحقـــدٌ بـــلا قلـــبٍ وأكْـــلٌ بلا ثغرْ

---

(١) ويروى: تصدير البيت بـــ"بنيَّ".

لـــهُ فـــردُ عـــينٍ في وجـــوهٍ كـــثيرةٍ ... ومِـــنْ عجـــبٍ أنْ ليسَ يوصفُ بالعورْ
لـــهُ نقطـــةٌ ســـوداءُ مِـــنْ فوقِ رأسهِ ... وهـــذا[1] لعمـــري حلـــيةُ الحيَّةِ الذكَرْ
وســـــرَّتُهُ[3] بالمعنـــــيين كـــــنخلة ... ســـحوق وخـــيرُ اللغـــزِ ما حيَّرَ الفكرْ
تـــراهُ نهـــاراً كالبعوضـــةِ خـــسَّةً[4] ... وباللـــيلِ كالطـــودِ الذي طالَ واشمخرْ
علـــى أنَّـــهُ حامـــي الحمى ويضيعُ مَنْ ... يجـــاورُهُ هـــذان ضـــدان في النظـــرْ
يعـــجُّ ويُـــبدي أنَّـــةً وتحـــرُّقاً ... علـــى أهلـــه حـــتى يلـــينَ لـــهُ الحجرْ
إذا أبدلـــوا[5] بالـــباءِ حـــرفَ ختـــامه ... تـــرى اسمـــاً وفعـــلاً ثم حـــرفاً له وبرْ
وتـــصحيفُهُ يـــا أيهـــا العـــدلُ جارحٌ ... فإيـــاكَ مـــنهُ فَهْـــوَ كالوخـــزِ بالإبرْ[2]
وإنَّ لـــهُ ضـــداً هـــوَ الخلـــدُ فاعجبوا ... لخلْـــدٍ لـــهُ عيـــنانِ فَهْـــوَ مـــنَ العبَرْ
إذا لم تجـــدْ في جـــنةِ الخلـــدِ حلـــةً ... فحـــذركَ[6] يـــا مسكينُ تلقاهُ في سقرْ
فـــيا ناظـــراً في اللغـــزِ لو رمتَ كشفَهُ ... رجعْـــتَ إلى القـــولِ الـــذي قالَهُ عمرْ

وقال

كَـــمْ وكَـــمْ دولـــةٍ تـــبرمْتُ مـــنها ... ثم زالـــتْ كأنَّهـــا[7] لمْ تكـــنْها
وإذا نعمـــــةُ الظلـــــومِ تـــــداعتْ ... لـــزوالٍ فاحـــذرْ مـــنَ الـــذبِّ عـــنها

وقال

إيـــاكَ مـــنْ غـــضبي علـــيكَ فإنَّـــهُ ... ســـمٌّ يجـــلُّ الدهـــرَ عَـــنْ دريـــاقِ
واحـــذرْ أهاجـــيَّ الـــتي لـــو قلـــتُها ... طـــارتْ بأجـــنحةٍ إلى الآفـــاقِ

---

(١) ويروى: وهذي.

(٢) هذا البيت ليس موجودًا في بعض النسخ.

(٣) ويروى: وجادلنا.

(٤) ويروى: حيَّة.

(٥) ويروى: أبدلوا.

(٦) ويروى: فإنك.

(٧) ويروى: لأنها.

وقال

يــا صــاحباً إنْ غــبتَ عــنْ عينــيه ... يـــشارِكُ المغـــتابَ والعائـــبا[1]

مــا صــاحبي مَــنْ ودَّني حاضــراً ... بــل صــاحبي مَــنْ ودَّني غائــبا

وقال

كـــتمتُ في القلـــبِ الهـــوى ... جهـــــدي فلـــــمْ يكتـــتمِ

والـــنارُ صـــعبٌ كَـــتْمُها ... مـــا بـــينَ لحـــمٍ ودمِ

وقال

مُجـــالِسٌ مـــؤتَمَنٌ ... يحمـــلُ عـــني الكَلَفـــا

يـــأتي إذا جالـــسني ... بالكـــبرا والخَلَفـــا

أراهُ لي في خلـــوتي ... عـــنْ كـــلِّ خـــلٍّ خَلَفَـــا

وقال

لقـــدْ علمـــتْ نـــساءُ الحـــيِّ أني ... أُسِـــرُّ قـــرينتي وأســـوءُ قـــرني

خـــبيرٌ بالمعـــالي والمعـــاني ... قلـــيلُ الخـــبرِ في كـــأسٍ ودَنٍّ

وقال مقتبسًا[2]

إذا قـــالَ مـــا رِدْفي وشـــعري أجـــتُهُ ... كثـــيبٌ مهـــيلٌ فـــوقَهُ حـــيَّةٌ تـــسعى

وإنْ قـــالَ هل[3] ترعى عذاري[4] مُوَرِيًا ... أقـــولُ لـــهُ إيْ والـــذي أخرجَ المرعى

وقال

بـــاللهِ إنْ غنيـــتِهِمْ فتبرقعـــي ... يـــا نـــزهةَ الأسمـــاعِ لا الأبـــصارِ

غنـــيتِ ســـافرةً لهـــمْ فقلـــوبُهُمْ ... في جـــنَّةٍ وعـــيونُهمْ في نـــارِ

---

(١) ويروى: والعاتبا.

(٢) زيادة من بعض النسخ.

(٣) ويروى: البيت بدون "هل" بعض النسخ.

(٤) ويروى: بنت خدي.

وقال

قـــد مـــات أصـــغر مـــني ... ســـــنًا وأكـــــبر مـــــني

لم يـــــبق إلا رحيلـــــــي ... يـــا خالـــق[1] فاعـــف عـــني

وقال

إنّـي امـرؤٌ قَـلَّ بـينَ الناسِ أشباهي ... إذ لا أزالُ غـنيَّ الـنفس باللّـهِ

رفعـتُ كلـي عـنِ الأصحابِ كلّهم ... فـلا أثقّـلُ في مـالٍ ولا جـاهِ

وقال ملغزًا في حلب وبلخ

مِـصرانِ في العـربِ وفي العجـمِ لمْ ... يـصرفْهما إلاّ مَـنِ اضـطرا

وأيَّـةً صـحَّفْتَ معكوسـها ... بـنقطة دلَّـت علـى الأخـرى

وقال

يـا مَـنْ أكـادُ لحسنِ صـورتهِ ... وجمالِـهِ أنْ لا أمـثّلهُ

مـا أنـتَ للفقـراءِ مـنفعلٌ ... أمّـا مَـنِ اسـتغْنى فأنـتَ لَـهُ

وقال

يـا أيُّهـا القاضـي ونعـمَ القاضـي ... ومَـنْ جمـيعُ الـناسِ عـنه راضِ

جـاءَ سـوادٌ مـنكَ في بـياضٍ ... يعـربُ عـنْ خاطـرِكَ الفـيّاضِ

ألطـفُ مِـنْ أزاهِـرِ الـرياضِ ... ومـاءِ مـزنةٍ علـى رضـراضِ

وكتب إليه علم الدين

ليهـنأ بـني الـوردي أنـك مـنهم ... فقـد زدتهـم في الـناس مجدًا على مجد

وكـم في رياض الفضل من زهر حكمة ... وما في صنوف الزهر أزكى[2] من الورد

(١) ويروى: خالقي.

(٢) ويروى: أذكى.

قال فأجبته

سلامٌ كأنفاسِ النسائمِ سحرةً ... على علمِ الدينِ المبادئ[1] بالودِّ

لئنْ كانتِ الأعلامُ فينا كثيرةً ... خصصتُ بودِّي حَضْرَةَ العلمِ الفردِ

وقال

خشونةُ أهلِ العلمِ غيرُ عجيبةٍ ... وإنْ بالغوا في الحفظ والبحثِ والفكرِ

لهمْ أنفسٌ وحشيةٌ ما تأنَّستْ ... بجاريةٍ تسقي وساقيةٍ تجري

وقال

اعجبْ لهوايَ فيهِ غُصناً ... والقدُّ بمعنيينِ سائلْ

ما جادَ عذارُهُ لدمعي ال ... سائلِ لا ما يحبُّ سائلْ

وقال في جارية له اسمها لؤلؤة ماتت

وتنظرُ في القبورِ فلا تراني ... وأنظرُ في القصورِ فلا أراها

فليتَ الباكياتِ بكلِّ أرضٍ ... جُمعْنَ لها فنُحْنَ على صباها

وقال فيها

أيا موتُ رفقاً على حسنها ... فقدْ بلغَتْ روحُها الترقوهْ

تركْتَ جواهرَ عندَ اللئامِ ... وتحسدُ مثلي على لولوهْ[2]

وقال فيها

خلعَتْ ثوبَ صباها ... وهْوَ غصنٌ يتثنَّى

إنَّ قبراً قدْ حواها ... قدْ حوى بدراً وغُصنا

وقال فيها

مضت الحبيبة والشبيبة جملة ... ويلاه من فقد الصبية والصبا[3]

يا ربُّ ذقْتُ الحادثاتِ فلمْ أجدْ ... شيئاً أمرَّ منَ الفراقِ وأصعبا

---

(١) ويروى: المبادي دون همز.

(٢) ويروى: لؤلوه.

(٣) وفي نسخة يروى البيت:

قضتِ الحبيبةُ والشبيبةُ آهِ وا ... أسفاهُ مِنْ فقدِ الصبيةِ والصِبا.

وقال فيها

فـــريدةٌ مـــنْ لآلـــئٍ تتثنَّـــى مـــنَ المـــرضْ
ثُـــمَّ ماتـــتْ فجـــسمُها جوهـــرٌ زالَ بالعـــرضْ

وقال

أحـــسنْ إلى الـــناسِ وإلا فـــلا تعـــتبْ علـــى الـــناسِ إذا قالـــوا
إذا حـــرمْتَ الـــناسَ مالـــوا[1] فمـــا يـــردُّهمْ جـــاهٌ ولا مـــالُ

وقال

لحيـــته عظـــيمة قـــد أثقلـــت أحـــناكه[2]
لـــو غـــاصَ في البحـــرِ بهـــا لعـــرقلَتْ أسماكَـــهُ

وقال

نحـــويُّكمْ مِـــنْ شَـــعْرِهِ وجبيـــنه أمـــسى وأضـــحى
وبطـــرفِهِ وقـــوامِهِ مـــتقلِّداً ســـيفاً ورمحـــا

وقال

خـــذْ مـــنَ الدهـــرِ نـــصيبا قـــبلَ أنْ يأخـــذَ مـــنكا
وانقـــبضْ عـــنْ كـــلِّ فـــانٍ قـــبلَ أنْ يُقـــبضَ عـــنكا

وقال

قالـــوا زهـــدْتَ عـــنِ الحكـــمِ قلـــتُ مـــنْ حـــسنِ بخـــتي
قـــدْ كـــنتُ قاضـــيَ بـــرٍّ فـــصرتُ ســـلطانَ وقـــتي

---

(١) ويروى: قالوا.

(٢) وفي نسخة خطأ:

لحيتُهُ طويلةٌ قدْ لأثقلَتْ أحناكَهُ.

وقال

ألا يـا دهـرُ دعـني في خمـولي | فملبسيَ النباهةُ والنزاهةْ
وعاضدْ كلَّ ذي عيبٍ وريبٍ[1] | بعرضِ الشخصِ منهُ ألفُ عاهةْ
إذا كانتْ وَجَاهتهمْ بإثمٍ | ففي تركِ الوجاهةِ لي وَجاهَةْ

وقال

إنَّ لحساديَ عندي يداً | يحقُّ أن يعرفَها مثلي
أبدَوا عيوبي فتجنبتُها | ونبَّهوا الناسَ على فضلي

وقال مضمنًا

نثرتُ عليكَ الدمعَ يومَ فراقنا | كما نثرت فوق العروس الدراهم
وخالفْتُ رأيي طائعاً فيكَ للهوى | فإنَّ الهوىَ يقظانُ والرأيُ نائمُ

وقال

إنْ عبتَ مَنْ أهواهُ واغْتَبْتَهُ | مدحتُهُ عندي بما عبْتَهُ
ما نلتَ خيراً في الذي قلتَهُ | أغضبتني عنكَ وأغضبْتَهُ

وقال

إذا أحببْتَ نظمَ الشعرِ فاخترْ | لنظمكَ كلَّ سهلٍ ذي امتناعِ
ولا تكثرْ مجانسةً ومكِّنْ | قوافيَهُ وكلْهُ إلى الطباعِ

وقال

قالوا لقدْ كسدَ القريضُ فقلتُ بلْ | عاشتْ ضراغمُهُ وماتَ ضباعُهُ
الآنَ طابَ سماعُهُ وتقطّعَتْ | أطماعُهُ وتعزَّزتْ صنّاعُهُ

---

(١) ويروى: حمق وجهل.

وقال

قــدْ كــسدَ الــشعرُ فــيا أهلَــهُ بـــــشراكمُ إذْ ذاكَ بالعافـــــيهْ
زالَ لــباسُ الــذلِّ عــنكمْ وقــدْ صــــرتمْ إلى مــــرتبةٍ عالـــيهْ
حُــقَّ ركــوبُ الــشّعراءِ الــضحى في زمـــرِ الأحـــزابِ والغاشـــيهْ[1]

وقال

رأيـــتُ ظبـــياً كُـــسرَتْ مـــنهُ يـــدٌ لمـــا نَفَـــرْ
إنْ كُـــسرَتْ مـــنهُ يـــدٌ يـــوماً فكـــمْ قلـــبٍ كـــسرْ

وقال

كُـــسرتْ يـــدٌ مِـــنْ نافـــرٍ عـــني تعـــاظَمَ كـــيدُهُ
والظـــبيُ مهمـــا عاقَـــهُ شـــيءٌ تيـــسَّرَ صـــيدُهُ[2]

وقال

قالـــوا حبيـــبُكَ غـــصنُ بـــا نِ قلـــتُ صُـــغراً للغُـــصَيْنِ
قالـــوا فظـــبيٌ نقـــا فقـــلْ تُ الظـــبيُ يـــسوى درهمـــينِ

وقال

لحاظُـــــكَ لي مهلـــــكٌ وثغـــــرُكَ لي مطلـــــبُ
يكـــادُ ســـنا بـــرقِهِ بأبـــصارِنا يـــذهبُ

وقال

أحـــبُّ مَـــنْ كلّمـــا رأتـــني في وجههـــا للرضـــى دلـــيلُ
مـــا بخلـــتْ لي بـــيومِ وصـــلٍ لكـــنَّ دهـــري بهـــا بخـــيلُ

---

(١) ويروى: فالغاشيه.

(٢) ويروى:

والظبي إن كسرت يد منه تيَسَّرَ صَيدُهُ

وقال

ومـــــالي في زائـــــرٍ رغـــــبةٌ   ففـــــيهِ عـــــنِ اللهِ لي مَـــــشْغَلَهْ
وقـــــدْ لا أراهُ كمـــــا قـــــيلَ لي   وقـــدْ لا يـــراني كمـــا قـــيلَ لَـــهْ

وقال وقد عظم الجور وغلب إلى أن تولى الفزع قضاء حلب

ويلـــي علـــى الـــشهباءِ ويـــلُ الشهبا   قَـــدْ أصـــبحتْ بـــينَ الوحـــوشِ نهبا
قـــرداً وذئـــباً زُوِّجَـــتْ وكلـــباً   مـــا بقـــيتْ تعـــوزُ إلا الـــدبَّا

وكتب إلى صديق

إني أذم ســـــــــــــــحابًا[1]   قـــدْ عـــاقني عـــنكَ شـــهرا
ســـــحابُ كفّـــيْكَ أهـــنا   مـــنَ الـــسحابِ وأمْـــرا
مـــا عـــابسٌ درَّ ســـيلاً   كباســـــمٍ ســـــالَ دُرَّا

وقال

خَـــوْدٌ جَلَـــتْ للـــشيخِ كاســـاتِها   تـــزفُّها بالـــدفِّ والجـــنكِ
قالـــتْ تـــرى العفـــةَ عـــنْ هـــذهِ   فقـــالَ لا عـــنها ولا عـــنْكِ

وقال

مـــــا لي وللـــــسعي إلى   مَـــنْ في الحـــرامِ قَـــدْ غطـــسْ
بـــينَ لـــئامٍ لـــوْ أتـــى   بـــضرطةٍ قالـــوا عَطَـــسْ

وقال

للهِ وردٌ ســــــــــــرَّنا   في كـــــلِّ عـــــامٍ قـــــربُهُ
أذكـــــرني بـــــشمِّهِ   وَجْـــــنَةَ مـــــنْ أحـــــبُّهُ

وقال في مليحة عليها قباء أطلس أهدت شيئًا من النرجس

إذا بـــرزَتْ في قـــباءِ الحريـــرِ   تقـــولُ هـــيَ الـــشمسُ في الأطلـــسِ
أماتـــتْ بنرجـــستَيْ ناظـــرٍ   وأحيـــيَتْ بناظِرَتَـــيِ[2] نـــرْجِسِ

---

(١) ويروى: أشكو إليكَ سحابا.

(٢) ويروى: بناضرتي.

وقال

واللهِ مــــا المـــــردُ مـــــرادي وإنْ   نظمـــتُ فـــيهم كعقـــودِ الجمـــانْ
لكـــنَّ[1] مَـــنْ رامَ نفـــاقَ الـــذي   يقـــولُهُ يـــنظمُ خَـــرْجَ الـــزمانْ

وقال

مـــا المـــردُ أكـــبرُ همّـــي   ولا نهايـــــةُ علمـــــي
ولـــستُ مـــنْ قـــومِ لـــوطٍ   حاشـــا تقـــايَ وحلمـــي
وإنمـــا خَـــرْجُ دهـــري   كـــذا فـــنفّقْتُ نظمـــي

وقال

قالـــوا فـــلانٌ جـــيِّدُ   فأجـــبْتُ أيـــنَ الجـــيِّدْ
إمـــا غـــنيٌّ باخـــلٌ   أو معـــسرٌ يتـــصيَّدُ

وقال

يـــا صـــاحباً كـــانَ لي وفـــيَّاً   وبي حفـــيَّاً فعـــادَ نَـــذْلا
قـــدْ يـــستحيلُ المـــدامُ خَـــلاً   ويـــستحيلُ الطعـــامُ زَبْـــلا

وقال

هـــذا الـــيهوديُّ الطبـــيبُ إذا رأى   أَمَـــتِي الـــضعيفةَ عـــنهُ طبعـــي نافـــرُ
أأصـــونُها عـــنْ أختـــها شمسِ الضحى   ويـــرى محاســـنَها العـــدوُّ الكافـــرُ

وقال عن لسان صاحب له ماتت زوجته يرثيها

أوحـــشْتِني يـــا صـــنعةُ الـــباري   كمالـــك العـــاري عـــن العـــار[2]
يـــا نـــورَ عـــيني ويـــا حـــياتي ويـــا   أنـــسي ويـــا مـــودعَ أســـراري
لم تنـــصفيني أنـــتِ في جـــنةٍ   ومهجـــتي بعـــدَكِ في نـــارِ[3]

---

(١) ويروى: بل كل.

(٢) ويروى: جمالُكَ العاري منَ العارِ.

(٣) ويروى: النار.

بعـــــدَكِ لا تعجـــــبني غـــــادةٌ ... ولـــو غـــدتْ كالكـــوكبِ الـــساري

وإنْ أجـــــدْ مـــــثلَكِ مِـــــنْ لي ... في عـــشقيَ الطـــاري صـــبا طـــارِ

إنْ كـــانَ صـــبري ناصـــري بعـــدما ... بِـــنْتِ فـــيا قلـــةَ أنـــصاري

آثـــارك الحـــسنى إذا مـــا بـــدت ... تكـــاد أن تـــذهب آثـــاري

والله قـــد أبكـــيت عـــيني وقـــد ... أوحـــشت يـــا شمـــس الضحى داري

وقال

قالـــوا تـــنقَّلْ لتـــنالَ العُلـــى ... واشمـــخْ إلى العـــزِّ ولا تقتـــنعِ[1]

قلـــتُ خمـــولٌ فـــيهِ لي راحـــتي ... وأيـــنما ســـافرتُ حظـــي معـــي[2]

وقال

هـــــذه دارٌ رأيـــــنا ... كـــلٌّ مـــا نكـــرهُ مـــنها

نـــــسألُ اللهَ تعـــــالى ... أنْ يـــزيلَ الـــسترَ[3] عـــنها

وقال

هـــــذه دارٌ رأيـــــنا ... كـــلٌّ مـــا نختـــارُ مـــنها

نـــــسألُ اللهَ تعـــــالى ... أنْ يـــزيلَ الـــبؤسَ عـــنها

وقال مضمنًا

دُنـــيا يُـــضامُ كـــرامُها بلـــئامِها ... ودلـــيلُ ذاكَ حـــسينُها ويـــزيدُها

يـــا خاطـــبَ الدنـــيا الدنـــيَّة إنهـــا ... طُـــبعتْ علـــى كـــدرٍ وأنـــتَ تريدُها

وقال

ســـــألتُ ربي عروســـــاً[4] ... وكـــــنتُ في ذاكَ مخطـــــي

فجـــــادَ لي بعـــــروسٍ ... لكـــــنَّها تحـــــتَ إبطـــــي

---

(١) في نسخة: تقنع.

(٢) ويروى البيت:

فقلت خلوني في موضعي ... فأينما سافرت حظي معي

(٣) ويروى: السعد.

(٤) ويروى: سألتُ دهري عروساً.

وقال

عشقت[1] حصاداً حكَتْ قامتي ... منْ طولِ ما يهجرُني منجلَهْ
أقولُ والسنبلُ منْ حولهِ ... مولايَ أنتَ الشمسُ في السنبلَهْ

وقال

ألثغُ بالراءِ زارَ بيتي ... فجاءَنا حاسدٌ وأصغى
قلتُ أفقْ فالحسودُ برًّا ... قال أفقْ فالحسودُ بغًّا

وقال

خصْرُ خبازِكمْ رقيقٌ[2] ولكنْ ... بطنُهُ عجنةٌ فدعْ فيهِ نصحي
وجهُهُ كالرغيفِ يعلوهُ ملحٌ ... فاعذروني في حفظِ خبزٍ وملحِ

وقال

ليَ نفسٌ تقيةٌ[3] لم يعبْها ... غيرُ حظي وذا بغيرِ اختياري
جامعُ الحظِّ والذكاءِ قليلٌ ... يصعبُ الجمعُ بينَ ماءٍ ونارِ

وقال

مشتملاً[4] بالسيفِ قدْ زارني ... وكنتُ لا أطمعُ في الطيفِ
وقال خالفْتُ كلامَ العدى ... فيكَ وقد زرتُكَ بالسيفِ

وقال

قاضٍ لنا مهما انثنى أوْ بدا ... يغارُ منهُ الغصنُ والبدرُ
قالَ لسانُ الحالِ منْ ريقِهِ ... اليومَ خمرٌ وغداً أمرُ

---

(١) وتروى: هويت بدلاً من عشقت.

(٢) وفي نسخة: دقيق.

(٣) وتروى نفيسة بدلاً من تقية.

(٤) في نسخة: مشتمل.

وقال

ودَّعـــتْني بطـــرفِها ومـــضتْ وهْـــيَ لا تعـــي
يـــدُها فـــوقَ خـــدِّها ويـــدي فـــوقَ أضـــلعي

وقال

أبـــني زمـــاني مـــا أنـــا مـــنكمْ وقـــولُ الحـــقِّ يثـــبتْ
وإذا نـــشأتُ خلالكـــم فالـــوردُ بـــينَ الـــشوكِ ينـــبتْ

وقال

أبائــعَ حَــبِّ القمــحِ في وصلِ شادنٍ لعــونٍ ضــحوكٍ للعقــول ســلوبِ
حظــيتَ بــردٍّ العجزِ للصبر[1] فاحتقرْ قلــيبَ حُــبوبٍ في حبــيبِ قلــوبِ

وقال

حالـــةُ الـــدولابِ دلَّـــتْ أنَّـــه في فـــرطِ حـــزْنِ
كـــانَ يُـــسْقى ويغنَّـــى صـــار يـــسقي ويغنِّـــي

وقال

أفـــديكِ أيـــتها الـــدِمَنْ رَكْـــبُ الحبـــيبِ مـــتى ظعـــنْ
ظعـــنوا بظـــبيٍ ســـاكنٍ قلـــبي وقلـــبي مـــا ســـكنْ
ولقـــدْ عهـــدتك مَلْعَـــباً للغـــيدِ والرشـــأِ الأَغـــنْ
يـــا لائمـــي في حـــبِّهِ أيكـــونُ مـــا وتلـــومُ مَـــنْ

وقال

ودقـــاقٍ يـــدقُّ قفـــا عـــذولي بخَـــدٍّ مـــنهُ ينـــشقُّ الـــشقيقُ
رَبَـــتْ أردافـــهُ إذ دَقَّ خـــصراً فقلـــتُ لـــه بِكَـــمْ هـــذا الدقـــيقُ

وقال في حاجب مذموم السيرة عزل وتولى حاجب مشكور السيرة

إذا الحاجـــبُ المذمـــومُ عنْ حلبٍ مضى ودامَ بهـــا المـــشكورُ أنـــشد صـــاحبي
تـــبدَّتْ لـــنا كالـــشمس تحتَ غمامةٍ بـــدا حاجـــبٌ مـــنها وضنَّتْ بحاجبِ

---

(١) ويروى: للصدر.

وقال

أرى الـشيخَ شمـسَ الدينِ أزمعَ رحلةً ... إلى حـضرات القـدسِ أفديهِ مِنْ شمسِ
ولـوْ رامَ غـيرَ القـدسِ كـنتُ منعتهُ ... وكـيفَ يجـوزُ المنعُ عن حضرةِ القدْسِ

وقال

إذا مـا تعاصـى مـن تحـب لقـاءه ... عـن الوصـل واسـتولى علـيه التغير
فارسـل لـه الديـنار فهـو طيـبه[1] ... ومـن عجـب الدنـيا طـيب مصفر

وقال

إنَّ للـشامِ قـرايا[2] ... لم تـصلْ مـصرُ إلـيها
كـمْ بمـصرٍ مـن وجـوهٍ ... نَفَـضَ النـيلُ علـيها

وقال

قلـتُ لَمـيٍّ أنـا في حـيِّكمْ ... مَـيْتٌ فـدتْكِ الـنفسُ مـنْ مَـيٍّ
تَـرَيْنَ مـاذا فيَّ قالـت أرى ... مـا[3] يخـرجُ المـيْتُ مـن الحـيِّ

وقال

مجلـسُهُمْ مجلـسٌ بهـيٌّ ... يجعـلُ مـالَ البخـيلِ فيـئا[4]
وفـيه ظـبيٌ يقـولُ شـيئاً ... وأغـيدٌ لا يقـولُ شـيئا

وقال

لا تكـنْ لائمـي إذا اهتـزَّ عطفـي ... مـن سماعـي لكـلِّ معـنى نظـيمِ
كـل مـن كـان في ريـاض المعاني ... غُـصناً هـزَّهُ مـرورُ النـسيمِ

---

(١) طبيبه.

(٢) ويروى: قراتًا بدلاً من قرايا.

(٣) وفي نسخة: "أن" بدل "ما".

(٤) ويروى: فيًا.

وقال رحمه الله قلت تأدبًا لا تكسبا ولم أرد بها معينًا والحمد لله على الغنى فأنا لا أمدح ولا أهجو، ولا أخاف حرمان أحد ولا أرجو وسميتها الذهب الخالص في حسن المخالص

أنـــا في الحــبِّ قانـــعٌ باليــسير ... بخــيالٍ يــزورُ أو وَعــدِ زورِ

مـــا لهــندٍ إذا طلــبتُ رضــاها ... فاجـــأتني بنفــثةِ المــصدور

ألِعَــيْبٍ كــرِهْتِني أمْ لــريبٍ ... أمْ لــشيبٍ قالــت لهــذا الأخــيرِ

أنــا بــدرٌ وقــد بــدا الــصبحُ في رأ ... ســكَ والــصبحُ طــاردٌ للــبدورِ

يـــا نهـــارَ المــشيبِ مَــنْ لي وهــيها ... تَ بلــيلِ الــشبيبةِ الديجــوري

قلـــت إنَّ المــشيبَ نــورٌ فقالـــت ... أشــتهي نُــورَةً لــذاكَ[1] الــنورِ

قلـــت لا فــضلَ في ســوادِ الــشعورِ ... عــندنا غــيرُ لــونِ نقْــسِ الوزيــرِ

ســارَ بــين الأنــامِ فــيكِ وفــيه ... مــن مديحــي ديــوانُ شــعرٍ كــبيرِ

لــكِ وجــهٌ أغــرُّ بــاهٍ فــريدٌ ... مــثلُ دهــرِ الوزيــرِ بــينَ الدهــورِ

لــيسَ شــغلي إلاّ هــواكِ ومدحــي ... فــيهِ هــذانِ روضــتي وغديــري

وإذا ضــاقَ مــنْ تجنِّــيك صــدري ... فمديحــي لــهُ شــفاءُ الــصدورِ

كــلُّ شــيءٍ سينقــضي غــيرَ حــبي ... لــكِ والمــدحِ للوزيــرِ الكــبيرِ

كــم جــرتْ أدمعــي لهجــرِكِ تحكي ... مِــنْ عطايــا الوزيــرِ ســيلَ البحورِ

أنــا لــولا هــواكِ صــنتُ دموعــي ... صــونَ ديــنِ الوزيــرِ عــنْ محظــورِ

مدمعــي فــيكِ والــندى مــن يديه ... أخجَــلا مُــسْبَلَ الغمــامِ الغزيــرِ

وإذا كــنتُ في هــواكِ مــسيئاً ... فمــديحُ الوزيــرِ كالــتكفيرِ

لا وطــولِ القــيامِ فــيكِ[3] ووجدي ... مــا لطَــوْلِ الوزيــرِ مِــنْ تقــصيرِ

كــيفَ أســتطيعُ لــثمَ ثغــرِكِ يا هنْـ ... ـدُ ودأبُ الوزيــرِ ســدُّ[2] الــثغورِ

---

(١) ويروى: لهذا.

(٢) في نسخة: صون.

(٣) في نسخة: منك.

فأديـــري علـــيَّ كـــأسَ مُـــدامٍ — مـــثلَ أخلاقِـــهِ بـــلا تكديـــرِ
لـــيسَ لي عـــنْ هـــواكِ أقسمْتُ صبرٌ — لا ولا عَـــنْ مديحـــه المـــبرورِ
بي إلى وصـــلكِ افـــتقارٌ[1] كمـــا بال — نـــاسِ فقـــرٌ إلى بقـــاءِ الوزيـــرِ
لِيَ جفـــنٌ وللوزيـــر لـــواءٌ[2] — دُعـــيا بالـــسفاحِ والمنـــصورِ
أنعمـــي بالوصـــالِ جـــادكِ غـــيثٌ — كـــنوالٍ مـــن راحتـــيهِ غزيـــرِ
ربَّ لـــيلٍ ســـهرتُ فـــيكِ إلى أنْ — لاحَ فجـــرٌ كـــنورِهِ أيَّ نـــورِ
أثْقَلَـــتْني ردفـــاكِ والجـــودُ مـــنهُ — أنـــا لا أســـتطيعُ حمـــلَ الطـــورِ
لا تـــذلي[3] علـــى هـــواكِ عـــنادي — للأعـــادي أمـــا الوزيـــرُ نـــصيري
فـــيكِ وجـــدي يـــا هندُ وجدٌ عظيمٌ — مـــثلُ وجـــدِ الوزيـــرِ بالتبذيـــرِ
وإذا كـــانَ في ودادكِ نقـــصٌ — فـــبمدحِ الوزيـــرِ تمَّ ســـروري
لـــكِ طـــرفٌ يـــروي روايـــةَ مكحو — لٍ وإحـــسانُهُ عـــنِ ابـــنِ كـــثيرِ
فَهْـــوَ طـــرفٌ فـــتورُهُ ذو فـــتونٍ — أنـــا أفـــدي الوزيـــرَ مِـــنْ ذا الفـــتورِ
وإذا مـــا نـــشرتِ شـــعركِ دَلاً — فَهْـــوَ حاكـــي لـــوائهِ المنـــشورِ
وإذا مـــا فـــتحتِ جفـــنَكِ المـــكْ — ســـورَ همْـــنا بـــسيفهِ المنـــصورِ
وإذا بـــسمْتِ عـــن ثغـــركِ المـــنْ — ظـــومِ أغـــرى بلفظـــه المنـــثورِ
وإذا مـــا هـــزَزْتِ لي قَـــدَّكِ المـــنْ — صـــوبَ قلـــنا كـــرمحِهِ المجـــرورِ
ويـــلكَ يـــا قلـــبَها بعلـــمٍ وفـــاءً — مـــنهُ إنَّ الـــوفاءَ أحـــصنُ ســـورِ
واســـتفدْ يـــا زمـــانُ عطفـــاً ولطفـــاً — في هـــواها مـــن خلقـــه المـــشكورِ
أنـــا لـــو كـــنتُ حازمـــاً في هـــواها — حـــزمَهُ في الحـــروبِ جـــادَتْ أموري
حـــبُّها فاعـــلٌ بقلـــبيَ أفعـــا — لَ يديـــه في مالـــه المذخـــورِ

---

(١) ويروى: "التفات" بدلاً من "افتقار".

(٢) ويروى: لوآء.

(٣) في نسخة: تذمي.

قسماً إنَّ ريقَها ونداه ... ينشرُ الميْتَ قَبْلَ يومِ النشورِ
ليسَ أحلى من وصلها غيرَ مدحي ... طَوْلَ هذا الوزيرِ لولا قصوري
هاكها أيُّها الوزيرُ عروساً ... أنتَ كفءٌ لحسنها الموفورِ
فهْي بكرٌ عذراءُ في ظلِّكَ المُمْ ... دودِ تجلى بسمعِكَ المقصورِ
كلُّ بيتٍ فيه نسيبٌ ومدحٌ ... مستجادٌ من مستكنٍّ ضميري
كرَّرتْ لي مخالصاً فيك تحكي ... سُكَّراً يُستلذُّ بالتكريرِ
عمدةٌ للذي يريدُ مديحاً ... كلُّ بيتٍ منها يُعَدُّ بدورِ
طابعٌ تُطْبَعُ البدورُ عليها ... فهْي للناظمينِ كالدستورِ
مهرُها منكَ خالصٌ من ودادٍ ... إنَّ مهرَ الفاني أخسُّ المهورِ
واكتسابُ الغنى بنظمٍ ونثرٍ ... فيه نقصٌ للفاضلِ المشهورِ
أنا لفظي درُّ النحورِ ومثلي ... لم يبعْ بالحطامِ درَّ النحورِ
إنَّ فقرَ النفوسِ ذلٌّ وشَيْنٌ ... وغِنى النفسِ عزُّ كلِّ فقيرِ
كم غنيٍّ أضحى نظيرَ عديمٍ ... وفقيرٍ أمسى عديمَ نظيرِ
فعلى وجهِكَ الوسيمِ سلامي ... وإلى بابِكَ الكريمِ حضوري

وقال

ناديتُ صالحةً لقد ... أمسيتِ عنا نازحَهْ
قالتْ نزحْتُ لأنَّكم ... ما تصلحونَ لصالحَهْ

وقال

تغسلُ عيني وجنتي ... بدمعةٍ هاملةِ
فوجنتي قائلتي ... عوَّتي غاسلتي

وقال

أزرقُ عينٍ لابسٌ أزرقا ... في ظلِّ كرمٍ يانعٍ مورقِ
فانهضْ إلى فيءِ الدوالي بنا ... نشاهدِ الأزرقَ في الأزرقِ

وقال فيمن سرق من مخدومه ظرف خمر ففصله عن خدمته

في ظــرفِ خمــرٍ خــانَ مخدومَــهُ ... فامــتلأَ المخــدومُ غــيظاً علــيهْ

لا بــدْعَ في ظــرفٍ أتــى فاصــلاً ... بــينَ مــضافٍ ومــضافٍ إلــيهْ

وقال

أيــا أرضَ الــشمالِ فــدتكِ نفــسي ... وأُصــغِرُ أنْ أقــولَ فــداكِ مــالي

وقالــوا مِــلْ إلى جهــةٍ ســواها ... فقلــتُ القلــبُ في جهــةِ الــشمالِ

وقال

جــدارُ بــيتي وفــتاتي بــهِ ... ذا ســاقطٌ ضَــعْفاً وذي ســاقطهْ

فالبــيتُ محــتاجٌ إلى حــائطٍ ... والمــالُ محــتاجٌ إلى حائطــهْ

وقال

لي شــهوتانِ أحــبُّ جمعَهُمَــا ... لــو كانــتِ الــشهواتُ مــضمونَهْ

أعــناقُ عــذّالي مدققــةٌ ... ومفاصــلُ الــرقباءِ مدفــونَهْ

وقال

إذا أخفــى صــديقكَ عــنكَ ســرّاً ... وأبهــمَ حالَــهُ فــسواهُ أولى

فــلا تجــزمْ بالاســتفهامِ عــنهُ ... وهــبْ أخــبارَهُ أخــبارَ لــولا

وقال

أقــولُ طلــبت مــالاً ... وملــتِ عــنِ افــتقاري

فقالــتْ كــلُّ قلــبٍ ... يمــيلُ إلى اليــسارِ

وقال

حبــيبي كــمْ مجانــبةٍ وصــدٌّ[1] ... علــوٌّ مــنك ذلــك أمْ غلــوُّ

ظلمــتَ وربمــا إن دامَ هــذا ... يــدبُّ أعــوذُ بــاللهِ الــسلوُّ

---

(١) ويروى: وصدًّا.

وقال

بـــشَّروني لَّمـــا جـــربْتُ وقالـــوا ... لا تخـــفْ قـــد لبـــستَ ثـــوباً مدثَّـــرْ

قلـــتُ لا خـــيرَ في دنـــانيرَ ثـــوبٍ ... زغـــلٍ لـــونُها علـــى الحـــكِّ أحمـــرْ

وقال في مجدر

قالـــوا تجـــدَّرَ مـــنْ تهـــوى فطلعـــتُهُ ... كالـــبدرِ مِـــنْ فـــوقِها سمطان منْ لولو

فقلـــتُ مـــا هـــوَ في أعراضِ عدَّتهِ[1] ... إلاَّ أغـــنُّ غـــضيضُ الطـــرفِ مكحولُ

وقال

لـــو كـــانَ يرضـــى بحكمـــي ... في الحـــسْنِ ســـودٌ وبـــيضُ

لقلـــتُ للـــسودِ ســـودوا ... وقلـــتُ للبـــيضِ بيـــضوا

وقال

مـــا السودُ كالبيضِ وَصْلُ السودِ مَنْقَصةٌ ... فعـــدْ عـــنهنَّ واذكـــرْ خجلـــةَ الحَبَلِ

وارجـــعْ إلى الحـــقِّ والطبعِ السليمِ تجدْ ... في طلعـــةِ الـــشمسِ ما يغنيكَ عَنْ زُحَلِ

وقال

أعـــورُ بالـــيمنى إلى جنـــبهِ ... أعـــورُ باليـــسرى قـــدِ انـــضما

فقلـــتُ يـــا قـــومُ انظـــروا واعجـــبوا ... مـــن أعـــورينِ اكتـــنفا أعمـــى

وقال

وناتـــفٍ للـــشعَرِ إنْ لمـــتَهُ ... قـــالَ ولا تَخْـــشَ مـــن الجـــبْهِ

شـــعري جـــناحُ الحـــسنِ أَنْـــسَلْتُهُ ... كـــي لا يطـــيرَ الحـــسنُ مِـــنْ وجهي

وقال

أُأضِـــيعُ ســـحرَ جفـــونهِ ... وأُهـــينُ مبـــسَمَهُ وخمـــرَهْ

مـــنْ شـــعرتين بخـــدِّهِ ... كـــلاَّ ولا ألفـــينِ شـــعرَهْ

---

(١) ويروى: الأغراض أجمعها.

وقال مجيبًا للقاضي بدر الدين بن الخشاب المصري عن أبيات كتبها إليه عند منصرفه من حلب

فـــراقُكَ للأجـــسادِ مُفْـــنٍ ومـــتلفُ ... وبُعـــدُكَ للأكـــبادِ مـــضنٍ ومُـــضْعِفُ

بـــأيِّ اجتـــراحٍ أم بـــأيِّ جـــريمة ... تـــصدُّ عـــنِ الهـــادي إلـــيكَ وتصدفُ

وكـــنا نرجِّـــي أنْ نُجـــازى بميلـــنا ... إلـــيكَ بأضـــعافٍ فإنَّـــكَ منـــصفُ

ومَـــنْ ذا الـــذي نرضاهُ بعدَكَ حاكماً ... يعـــزُّ علیـــنا أم بمَـــنْ نتعـــرَّفُ

فـــيا طـــولَ ذكـــرانا لأوصـــافِكَ التي ... تجـــلُّ عـــنِ المـــسكِ الذكـــيِّ وتلطفُ

أســـيدنا قاضـــي القـــضاةِ الـــذي لهُ ... تقـــى وعلـــومٌ جمـــةٌ وتعفُّـــفُ

وديـــنٌ وعـــرضٌ ســـالمٌ وتعطّـــفٌ ... وصـــونٌ وثغـــرٌ باســـمٌ وتلطُّـــفُ

أأبـــياتُ شـــعرٍ أنـــتَ نـــاظمُ عقدها ... لتجـــبرَ كـــسري أمْ ســـلافٌ وقرقفُ

لقـــدْ شـــرَّفَتْ قدري وأعلَتْ مراتبي[1] ... ومـــثلُكَ حقـــاً مَـــنْ بـــهِ يُتـــشرَّفُ

لـــئنْ ســـرَّني ذاكَ الـــنظامُ المفـــوَّفُ ... لقـــدْ ســـاءني هـــذا الـــبعادُ المسوِّفُ

ولا بـــدْعَ مِـــنْ مـــصرٍ جمالٌ ورفعةٌ[2] ... فقـــيلَ حوى الوصفينِ في مصرَ يوسفُ

لقـــدْ ســـرتَ فيـــنا ســـيرةً عُمَـــرِيَّةً ... تـــشرِّفُ أسمـــاعَ العلـــى وتـــشنِّفُ

عجـــبتُ لأيـــامِ اللقـــاءِ قـــصيرةً ... تمـــرُّ ســـراعاً فهْـــيَ كالـــبرقِ تخطفُ

إذا لمْ أصـــفْ حـــبي لكـــمْ فهْوَ مضمرٌ ... وقـــدْ مـــنعوا أنَّ الـــضمائرَ توصَـــفُ

فـــسرْ في أمـــانِ اللهِ ذكـــرُكَ طـــيِّبٌ ... وعرضُـــكَ محفـــوظٌ وأنـــتَ مـــشرَّفُ

ســـتعتاضُ بـــالأهلينَ عـــنَّا و بالعلـــى ... وتعويـــضُنا عـــنكَ الأســـى والتأسفُ

علـــى أنـــنا نـــرجو مـــن اللهِ عـــودةً ... يُـــسرُّ بهـــا بـــاكٍ ويـــنعَشُ مدنَـــفُ

وقـــدْ يجمـــعُ اللّـــهُ الـــشتيتينِ مِـــنَّةً ... وفـــضلاً وربُّ الـــناسِ بالـــناسِ ألطفُ

---

(١) في نسخة: مكانتي.

(٢) في نسخة: عفة.

وقال في ابن ابن له توفي

أمفارقـــي طفــلاً أشـــبْتَ مَفارقـــي ... إذْ كـــنتَ محـــبوباً إلى محـــبوبي

فجـــرَتْ أنابـــيبُ الدمـــوعِ[1] عوالياً ... كالـــرمحِ أنـــبوباً علـــى أنـــبوبِ

وقال

لـــثغةُ مَـــنْ أهـــواهُ مِـــنْ حـــسنها ... عـــندي علـــى الـــوجهينِ محمـــولَةْ

قلـــتُ ســـهامُ الطـــرفِ منـــسولةٌ ... لرمـــيِ قلـــبي قـــال منـــثولَةْ

قلـــتُ ســـيوفُ الـــصبرِ مـــسلولةٌ ... علـــيكَ منّـــي قـــال مـــثلولَةْ

وقال

حاجـــبُكَ المـــزْورُّ أَبْعـــدْهُ عـــنْ ... عيـــنكَ واحـــذرْ مـــنهُ أنْ يهلكَـــكْ

أمـــرانِ فاحـــذر مـــنهما واحـــداً ... أنْ تتـــركَ الحاجـــبَ أو يتـــركك[2]

وقال

زرتُهُـــــــمُ صـــــــحبةً ووِدًّا ... ألفيـــــتُهم مغلقـــــينَ بابـــــا

ســـعيي إلى بـــابهم جـــنونٌ ... مـــني فأســـتأهلُ الحجابـــا

وقال

جئـــنا إلى الـــبابِ باحـــتفالٍ ... ثمَّ رجعـــنا بـــسوءِ حـــالِ

قالـــوا لـــنا نـــائمٌ فقلـــنا ... بـــلْ هـــوَ يقظـــانُ للمعـــالي

وقال

جئـــنا إلى الـــبابِ بانـــتهاز ... ثمَّ رجعـــنا بِـــلا جـــواز

قالـــوا لـــنا نـــائمٌ فقلـــنا ... بـــلْ هـــوَ يقظـــانُ للمخـــازي

---

(١) ويروى: الدماء.

(٢) وفي نسخة:

حاجبُكَ المزْورُّ أَبْعدْهُ عنْ ... عينكَ واحذرْ منهُ أنْ يهلكَكْ

أمرانِ فاخترْ منهما واحداً ... أنْ تتركَ الحاجبَ أو نتركَكْ.

وقال

تـــــــدرونَ لَمْ ســـــــبقتمُ ولَمْ تأخـــــــرتُ أنــــــــا
لأنــــــي مــــــنْ بيــــــنكمْ رُبـــــيتُ حــــــرّاً ديِّــــنا

وقال

يقـــــولُ لي بـــــوابُهُ إذْ رأى بالـــباب مِنِّـــى وِقفـــةَ الحائـــرِ
لـــــهُ مخـــازيمُ بهـــا شــغلُهُ قلـــتُ مخـــازيمُ بـــلا آخـــرِ

وقال

معـــــرةُ الأذكـــياءِ تـــسبي لـــبي[1] ووادي الجـــنانِ حـــسبي
قالـــوا الـــزُّرَيْنيق قلـــتُ عـــيني قالـــوا المغيـــبين قلـــتُ قلـــبي

وقال

إنَّ بالـــشامِ لـــبرْداً يابـــساً عابـــساً يخـــشاهُ مَـــنْ فـــيهِ أقامـــا
فاصـــرفِ اللـــهمَ عـــنا شـــرَّهُ ربـــنا واجعلـــهُ بـــرداً وســـلاما

وقال في إمام باجرة ويعظ ويجبي

صـــلى بحـــرفٍ مِـــنْ رغـــيفٍ كـــذا مَـــنْ يعـــبدُ اللهَ علـــى حـــرفِ
وكفهـــم بالـــوعظِ لكـــنْ جـــبى فـــأكُلُهُمْ بـــالخمسِ والكـــفِّ
فاقتـــربتْ آخـــرُ صـــادٍ لـــهُ إذْ لَمْ يكـــنْ مـــنْ أولِ الـــصفِّ

وقال

رعـــى اللهُ عيـــشاً بالمعـــرةِ لي مـــضى حكـــاهُ ابتـــسامُ الـــبرقِ إذْ هوَ أومضا
وعـــصرُ شـــبابٍ في ســـباتٍ قطعْـــتُهُ وفي أرضِ حَـــنْدُوثينِ في ذلـــكَ الفضا
أعـــاذلُ لـــو شـــاهدتُ بـــابَ جنانها لمـــا كـــنتَ يـــوماً ناهـــياً بل محرِّضا
ولـــو عـــينُ معـــراثاً رأيـــتَ صفاءَها لأصـــبحتَ مِـــنْ غـــيظِ الملامةِ ريِّضا
فـــصفْ لي عـــيوناً بالمـــنابعِ فُيَّـــضا أريـــكَ عـــيوناً بالمدامـــعِ فُيَّـــضا

---

(١) ويروى: ودِّي.

ولا تبــــتدرْ[٢] بالبـــــيدرين فأضـــــلعي ... أخـــافُ مـــنَ الأشواقِ أن تتقضقضا[١]

ولا تجـــريا لي ذكـــرَ جـــريا ونحـــوها ... ربي جادَهـــا غـــيثٌ فـــروَّى وروَّضـــا

ففـــستقُها عـــند ابتـــسامِ ثغـــورهِ ... يُـــضاحِكُ بـــرقاً قد أضاءَ بذي الأضا

وقلعـــتُها عـــندي وإنْ بـــانَ أهلُهـــا ... كأطـــولَ مـــنْ سهدي عليها وأعرضا

وعـــينُ زُرَيْـــقٍ بي إلى مائِهـــا ظمـــا ... ألم تـــرَ لـــونَ المـــاءِ أزرقَ أبيـــضا

وكـــم لقلـــيلاتِ[٦] العـــسيلِ حلاوةً ... وإنْ ملحـــتْ في عـــينِ مَنْ مرَّ مُعْرِضا

وشـــوقي إلى أنـــوارِ مـــشهدِ يوشـــعٍ ... تـــشوُّقُ مَـــنْ ضـــاقَتْ به سعةُ الفضا

ولـــو درتُ وادي ديـــرِ سمعـــانَ ساعةً ... لكـــنتُ أبـــلَّ الشوقَ مِنْ عمرِ الرضى

ويـــا ماشـــياً في ملـــكِ فـــارسَ راجلاً ... ســـعدتَ فكنْ عنْ ملكِ فارسَ معرضا

لقـــد طـــالَ بالهرماسِ عهدي وماؤُهُ[٧] ... إذا مـــا جـــرى كالسيفِ أحمرَ منتضى

كمعـــصمِ خَـــوْدٍ خـــضَّبَتْهُ وأومـــأتْ ... بـــهِ في قـــباءٍ سندســـيٍّ تقوَّضـــا[٣]

فمـــا أهـــيبَ الهـــرماسَ إنْ عجَّ مزبداً ... بهـــا وإلى قطـــعِ الطـــريقِ تعرَّضـــا

حكـــى الخمـــرَ حاشـــاهُ فهـــذا محلَّلٌ ... طهـــورٌ مـــباحٌ[٤] للعـــبادةِ مرتـــضى

إذا صـــقلَتْ ريـــحُ الـــصَّبا متـــنَهُ أتت ... تفـــرِّكُ ثـــوباً مُذْهـــباً ومفضَّـــضا

علـــى جانبـــيهِ الـــدوحُ لا بلْ عرائسٌ ... تـــرومُ لنثـــرِ الـــدرِّ أن تتنفـــضا

وروضٍ غـــدا عـــن ســـحبِهِ طيِّبَ الثنا ... بنفـــسجُهُ يحكـــي الخُدَيْـــدَ المفضضا[٥]

---

(١) ويروى: تتفضفضا.

(٢) وفي نسخة: تبدرا.

(٣) ويروى: تفوضًا.

(٤) ويروى: مباح طهور.

(٥) في نسخة: المعضضا.

(٦) في نسخة: لعليات.

(٧) في نسخة: ومائه.

وأسمـــرَ زاهٍ[٤] قــدْ تقلَّــدا أسمــرا وأبــيضَ نــاهٍ[١] قــدْ تقلَّــدَ أبيــضا[٢]

أصــباغِ ألــوانٍ وأحــداقِ نــرجسٍ وقــاحٍ أبَــتْ أجفانُهــا أن تغمَّــضا

وقامــات أغــصانٍ رشــاقٍ تعانقَــتْ فمنــثورُ مــنظومِ الأزاهــرِ قَــدْ أضــا

وشــقَّ الــشقيقُ الــثوبَ عنهُ كثاكلٍ علــيها ثــيابٌ للــدما لــيس تنتــضى

فمــا المنحنى ما السفحُ ما البانُ ما النقا ومــا رامــةٌ عــندَ المعــرة مــا الغضى

فــواللهِ لا فــضَّلْتُ في الأرضِ بقعــةً علــيها ســوى مــا فضَّلَ اللهُ وارتضى

لهــا خَبَــرٌ في طيــبِها فَهْــيَ مبــتدا فمــرفوعُها[٣] مــا كانَ عندي لِيُخْفَضا

ومــا[٦] بُنــيَتْ بــينَ الفــراتِ وجلّقٍ ســدى إنمــا هــذا لــسرٍّ قد اقتضى

مــنازلُ كانــتْ مربعــي[٧] زمنَ الصِّبا فأبعــدَني المقــدورُ عــنها وأنهــضا

مــــراتعُ آرامٍ مــــرابعُ جــــيرةٍ مَلاعــبُ[٥] غــزلانٍ معاهــدُ تُرْتضى

فللّــهِ هاتــيكَ الــربى وســفوحُها وللهِ عمْــرٌ في ســواها قــدِ انقــضى

ومــا عــنْ رضــى كانتْ سواها بديلةً لهــا غــيرَ أنَّ الدهــرَ ما زالَ مدحضا

قــضاها لغــيري وابــتلاني بحــبِّها فحمــداً لــهُ فــيما ابتلاني وما قضى

وَمَــنْ نَظَــرَ الدنــيا بمــا هــي أهلُهُ أرتْهُ الرضى كالسخطِ والسخطَ كالرضى

ســلامٌ علــى ذاتِ القــصورِ وأهلِهــا ومــستقبلٍ مِــنْ حسنِ حالٍ بها مضى

---

(١) في نسخة: زاه.

(٢) وهذا البيت والذي قبله يروى ترتيبهما على العكس.

(٣) في نسخة: ومرفوعها.

(٤) في نسخة: ناه.

(٥) في نسخة: مراتع.

(٦) في نسخة: فما.

(٧) في نسخة: مرتعي.

وقال

جُمِعتْ للبنان ثلاثُ محاسنٍ ... مِمَّنْ هويتُ على جلالةِ قدرِهِ
تفاحةٌ مِنْ وجنتيهِ وخمرةٌ ... مِنْ مقلتيهِ وثلجةٌ مِنْ ثغرِهِ

وقال

قالتْ إذا كنتَ ترجو ... أُنسي وتخشى نفوري
صفْ وردَ خدِّي وإلا ... أجورُ ناديتُ جوري

وقال

ناعورةٌ مذعورةٌ ... وَهْيَ كثكلى حائرَهْ
الماءُ فوقَ كتْفِها ... وَهْيَ عليهِ دائرَهْ

وقال

وتاجرٍ ماطلْتُهُ دينَهُ ... لأجتليهِ قال ما أمطَلَكْ
قلتُ لهُ جيدُكَ لي أوْ لِمَنْ ... فقالَ هاتِ المالَ والجيدُ لكْ

وقال دو بيت

يا روضةَ حسنٍ ليتَها لي وحدي ... الشركةُ فيكِ قَدْ أذابَتْ كبدي
ما ضرَّكِ أنْ تُسقي بماءِ فردِ ... والواجبُ أنْ يكونَ ماءَ الوردِ

وقال بيتين مباركين نظمهما ليقولهما كل وقت

أمررْتُ كفاً سبَّحتْ فيها الحصى ... وروَّتِ الركبَ بماءٍ طاهرِ
على معاشي ومعادي وعلى ... ذرِّيَّتي وباطني وظاهري

وقال

أفدي الذي صدغُهُ لامٌ وحاجبُهُ ... نونٌ وقامتُهُ ممشوقةً ألفُ
حروفُ خطٍ مِنَ الوجهينِ هنَّ لنا ... إنَّا لَنطلبُها[١] منهُ فينحرفُ

---

(١) ويروى في نسخة: إنا ونطلبها.

وقال دو بيت

قالـــوا فـــلا[2] أبـــدًا زنديـــق   في حـــبك قلـــت يكـــذب الـــزنديق
مـــن أيـــن لـــرافض هـــنا تـــصديق   واسمـــي عمـــر وجـــدي الـــصديق[1]

وقال

لِي صـــديقٌ صِـــنانُ إبْطـــيْهِ صَـــعْبٌ   عملَـــهُ تحـــتَ إبْطِـــه حـــيثُ مَـــرَّا
عرسُـــهُ مـــنْ صـــنانهِ شـــابَ قـــرنا   هـــا فقالـــتْ بَعلـــي تـــأبَّطَ شـــرَّا

وقال

تمنَّـــى القـــضا فاقـــداً شـــرطَهُ   ولـــيسَ رضـــيًّا ولا مُرْتـــضى
ســـألتُ الإلـــهَ لـــهُ خيـــبةً   وأنْ يجعـــلَ المـــوتَ قـــبلَ القـــضا

وقال في مليح ترك الحديث واشتغل بالمنطق الخبيث

قُلْـــتَ[3] بالعقـــلِ معْرِضـــاً   عـــنْ أحاديـــثَ كالغـــررْ
أنـــتَ لـــو كـــنتَ عـــاقلاً   لتمـــسكتَ بالأثـــرْ

وقال يرثي صاحبه كمال الدين عمر بن ضياء العجمي رحمهما الله تعالى

يـــا مـــربعاً لـــك في فـــؤادي مـــربعُ   أتـــذلُّ بعـــدَ ابـــنِ الـــضياءِ وتخـــضعُ
حاشـــاكَ مـــنْ ذلٍّ فـــشمسُ كمالِـــه   كانَـــتْ علينـــا مـــنْ سمائِـــكَ تطلـــعُ
أصـــلٌ وفـــرعٌ في ثلاثـــةِ أشـــهرٍ   ذَوَيَـــا فَحُـــقَّ لكـــلِّ عـــينٍ تدمـــعُ
مـــنْ ذا يطـــيقُ يـــرى خليلـــيهِ معـــاً   في التـــرب قـــدْ رُمِـــيا بمـــا لا يُدفـــعُ
أمـــودَّعانِ معـــاً وقلـــبي واحـــدٌ   فالدمـــعُ بيـــنهما عـــصيٌّ طـــيِّعُ

---

(١) وفي نسخة:

قـــالوا لفـــلانَ أبداً تدقيقُ   في حبك قلت يكذبُ الزنديقُ
مِنْ أينَ لرافِضي هُنا تصديقُ   واسمي عمرٌ وجديَ الصديقُ.

(٢) في نسخة: فلان.

(٣) وفي نسخة: مِلْتَ بدلاً من قُلْتَ.

حلبٌ على رغمي أقلُّ سعادة ... مِنْ أنْ يعيشَ لها الكمالُ الأورعُ[1]

الأمرُ للهِ الذي مهما يشا ... يفعلُ فلمْ يكُ للتعرُّضِ موضعُ

بكتِ الأجانبُ يومَ ماتَ وأهلُهُ ... منهمْ ضحوكٌ في المسرَّةِ يرتعُ

لبسوا النقا وازدادَ عيشُهُمْ صفا ... ومضى الحمى إذْ فارقوه ولعلعُ[2]

وغدوتُ أجرعُ منْ محصَّب عبرتي ... مثلَ العقيقِ أسى ودمعي ينبعُ

قالوا نظنُّ ديارَهُ مملوءةً ... ذهباً فماتَ وكلُّ دارٍ بلقعُ

تاللهِ قدْ نقضوا بفضلِ كمالهم ... لو انصفوا لتألَّموا وتوجعوا

لهفي عليه وليسَ لهفي نافعاً ... قدْ كانَ تاجاً بالعلومِ يُرَصَّعُ

إنْ كانَ قدْ ماتَ الكمالُ فذكرُهُ ... باقٍ ونشرُ علومِهِ يتضوَّعُ

أوْ فاضَ دمعي مِنْ يتامى وِلْدِهِ ... فالدرُّ يُوصَفُ باليتيمِ فيُرْفَعُ

تتصرَّمُ الدنيا وتأتي بعدَهُ ... أممٌ وأنتَ بمثلِهِ لا تسمعُ

أسفي على حلبٍ وَقَدْ عدمَتْ فتىً ... يقظانَ كانَ إلى العلى يتطلَّعُ

لو لمْ أكنْ أقسى الورى قلباً لما ... أصبحتُ أودِّعُهُ الترابَ وأرجعُ

يا وافياً سكنَ الجنانَ إلى متى ... قلبي لفقدِكَ في جحيمٍ تلذعُ[3]

لم يبقَ بعدَكَ للمدارسِ بهجةٌ ... والعلمُ بعدَكَ يا حفيظُ مضيَّعُ

يا مؤنسي في غربتي ومشاركي ... في العلمِ أسمعُهُ وطوراً أُسْمِعُ

كمْ قدْ قطعْنا ليلةً في وصلِنا ... نظرَ العلومِ لغيرنا لا يقطعُ

واللهِ إنَّ قبيلةً فَقَدَتْكَ قدْ ... زالت مزايا السعد عنها أجمعُ

لو يُدفَعُ المقدورُ عنكَ دفعتُهُ ... جهدي ولكنَّ القضا لا يُدفعُ

فارقتَ منزلكَ المنيفَ وقصركَ الـ ... عالي ورحتَ إلى المقابرِ تُسرِعُ

---

(١) في نسخة: الأروع.

(٢) ويروى: ولعلعوا.

(٣) ويروى: في حميم تدرع.

ونـزعتَ أثـوابَ الـشباب جديـدةً لهفـي عليها عـنْ جمالـكَ تُـترعُ
وتـركتني وَجعَـاً وأنـتَ بمعـزلٍ عـني فـلا تـشكو ولا تـتوَجَّعُ
لم تـسكنِ الأعـداءُ مِـنْ خوفٍ بهم حـتى سـكنْتَ فليـتهم لا مُـتِّعوا
أغـضبْتَهُمْ لَّمـا رثيـتُكَ فاغـتدى كـلٌّ لـهُ في العـتْبِ سـمٌّ مـنقعُ
لـكَ يـا صـديقَ الـصدقِ مـني أنّةٌ لا تنقـضي وكآبـةٌ لا تقلـعُ
مـا سُـنَّتي رفـضُ الـودادِ لصاحبٍ ولكـلٍّ مَـنْ رفـضَ المـودةَ مصرَعُ
فعلـى ثـرى أمـسيتَ فـيهِ سحائبٌ همـي كمـا شـاءَ الـربيعُ وهمـعُ

وقال في فرس

صـافنٌ طِـرْفٌ ثـلاثٌ سـنُّهُ كـمْ بـهِ كـسَّرْتُ جمعـاً وَهْوَ مفردْ
جـرِّدوهُ وانظـروا مِـنْ أوجـهٍ في تـصاريفِ الثلاثـيِّ المجـرَّدْ

وقال

فـلان لا تعجـب إذا عُـزِلتَ[1] واعـرفْ مـا الـسببْ
فمـا رأيـنا مَـنْ وَلي بفـضةٍ إلا ذَهَـبْ

وقال

عـزلوكَ لَّمـا قلـتَ مـا أُعطـي وولَّـوا مَـنْ بَـذَلْ
أوَ مـا علمـتَ بـأنَّ مـا حـرفٌ يكـفُّ عـنِ العمـلْ

وقال

صـديقُكَ الموصـولُ مقطـوعٌ إلى سـوءِ مـزاجٍ غالـبٍ مـستحوذِ
وكـيفَ يستحـسنُ أن تُخْلِـيَهُ مـنْ صـلةٍ وعائـدٍ وَهْـوَ الـذي

وقال

بـسِّي مـنَ الـشعرِ بـسِّي لا أرتـضي بـالأخسِّ
أكـونُ عفـاً بـريئاً ومـا أبـرِّئُ نفـسي

---

(١) في نسخة: صرفت.

وقال

ومـــالِيَ إلا حـــبُّ آلِ محمـــد ... فكـم جمعـوا فضلاً وكم فضلوا جمعا

محبَّـــتُهُمْ تـــرياقُ زلاتِيَ الـــتي ... يُخيَّل لي مِـنْ سـحرِها أنها تسعى

وقال

عاتـــبتُ ظَبْـــياً مـــصوناً ... لِمْ أنـــتَ ســـيئُ خـــطٍّ

قـــالَ اغتفـــرْ قـــبحَ خطِّـــي ... لحـــسنِ شـــكلي وضـــبطي

وقال في مجد الدين وقد آذته زوجته ووالدها وجدها

زوجـــةُ مجـــدِ الـــدينِ والـــداها ... في أخـــذ عـــرضِ المجـــدِ أشـــبهاها

إنَّ أباهـــا وأبـــا أباهـــا ... قـــدْ بلغـــا في المجـــدِ غايـــتاها

وقال

أراكَ علـى مـا فـيكَ تُـبلغُني الأذى ... فـدعنيَ وافعـلْ مـثلَ ذا ببلـيدِ

أمـا تـستقيلُ الـشرَّ مـني وتتقـي ... علـى صـفحاتِ الدهرِ عارَ[1] نشيدي

ولـو رمتُ هجوَ الشمسِ قلتُ قرونَها ... طـوالٌ وقـدْ كانـتْ سـراجَ ثمـودِ

رهيـنةُ تكويـرٍ وكـسفٍ[2] كأنهـا ... رغـيفُ غـلاءٍ أو كقـرصِ حديـدِ

ولـو رمْـتُ ذمَّ الـبدرِ شبهتُ وجهَهُ ... بـدفٍّ بغـيٍّ أو بخـفٍّ قعـودِ

وقلـتَ حكـى في بـردِهِ واصـفرارِهِ ... وكلفـته الـسوداءِ وجـهَ يهـودي

ومَـنْ كـانَ حالُ الشمسِ والبدرِ عندَهُ ... كـذاكَ فَمَـنْ عـاداهُ غـيرُ رشـيدِ

وقال

قلـتُ لدنـيايَ لِمْ ظلمـتِ بـني ... علـيٍّ المرتـضى أبي الحـسَنِ

قالـتْ أمـا تنـصُفُوا لطائفـةٍ ... أبـوهمُ بالـثلاثِ طلقـني

---

(١) في نسخة: عاد.

(٢) وفي نسخة: خسف.

وقال

محمــــدُ عـــبدَ اللّــهِ[1] حـــيٌّ وجــدُّنا   أبـــو بكـــرٍ الـــصديقُ عـــندَ محمـــدِ

فـــنحنُ علـــى مَـــنْ يعـــتدي سمُّ ساعةٍ   ومَـــنْ لا يـــصدِّقْ فليجـــرِّبْ ويعـــتدي

وقال

مـــا الـــناسُ ناسٌ كنتُ أمسِ عهدتُهُمْ   والـــدارُ دارٌ كـــنتُ أمـــسِ عَهِـــدْتُها

فـــإذا تأمّلْـــتُ الـــرجالَ فقـــدتُهُمْ   وإذا تأملـــتُ الـــبقاعَ وَجـــدْتُها

وقال

قـــدْ أنكـــرتْ عـــيني الديارَ وقد رُمي   خَـــضِرُ الحـــياةِ لـــبعدِكُمْ بالـــياسِ

وإذا تأملـــتُ الـــبقاعَ وجـــدتُها   كالـــناسِ في ســـعدٍ[2] وفي إتعـــاسِ

فالـــدارُ غـــيرُ الـــدارِ بعـــدَ رحـــيلِكم   والـــناسُ واحـــرباهُ غـــيرُ الـــناسِ

وقال أيضًا

قـــلْ لـــلأُلى حـــسدوا علايَ وشهرتي   أيهـــالُ ضـــرغامٌ بنـــبحِ كـــلابِ

مـــا أنـــتمُ مثلـــي ولـــيسَ لنقـــصِكمْ   فـــضلي ولا أســـبابُكمْ أســـبابي

لـــوْ أنّكُـــمْ تقفـــونَ عـــندَ حدودِكمْ   لخلـــصتمُ مِـــنْ روعـــةٍ وعـــذابِ

أنـــا فـــارسُ المـــنظومِ والمنـــثورِ هـــلْ   تـــسري المعـــاني تحـــتَ غـــيرِ ركابي

شـــعري عـــنِ الأطمـــاعِ حـــرٌّ صانَهُ   ربي فلـــمْ يجعـــلْ بـــهِ استكـــسابي

ولـــئنْ حكيـــتمْ بعـــضَ منظومي فما   تحكـــــوني في العلـــــمِ والآدابِ

أنـــا لـــو تـــركتُ القـــريضَ تهتكَتْ   أســـتارُهُ وغـــدا كلمـــعِ ســـرابِ[3]

---

(١) وفي نسخة: عند الله بدلاً من عبد الله.

(٢) في نسخة: سوء.

(٣) وفي نسخة يروى هذا البيت:

إن لو تركت الشعر كنت بغيره   ريان من فقه ومن إعراب

ويروى بعده البيت:

وسواي لو ترك القريض تهتكت   أستاره وغدا كلمع سراب.

كـــم ذا أجـــدُّ وتلعـــبونَ ألم تـــروا ... أني امـــــرؤٌ دأبُ[1] العلـــــومِ ودابي

فدعـــوا ملامـــي ثم لومـــوا الـــناسَ إذْ ... قـــدْ أُولعـــوا بـــسؤالِهِمْ وجـــوابي

العلـــمُ لي والجـــاهُ في الدنـــيا لكـــمْ ... فارضَـــوا بقـــسمةِ عـــادلٍ وهّـــابِ

كـــم قـــد سبا الشعراءُ زخرفَ مقولي ... تـــبتْ يـــدا مِـــنْ لـــيسَ مِـــنْ أحزابي

وقال في وصف حمص دو بيت

مـــا حمـــصُ قلـــيلةٌ وإنْ طـــالَ عـــنادْ ... حمـــصٌ بلـــدٌ قـــدْ فاقَ في الحسنِ بلادْ

تنبـــيكَ حـــروفُ حمصَ صدقاً وسدادْ ... إذْ مـــنْ ســـورِ القـــرآنِ حـــم وص

وقال

إذا تعـــــــــذَّرَ حِـــــــــبي ... فخلّـــــــــه يـــــــــتعذّرُ

فجـــــيدُهُ أصـــــلُ مـــــا بي ... والجـــــيدُ لا[2] يتغيَّـــــــرُ

وقال

جـــدِّي هـــوَ الـــصدِّيقُ واسمـــي عمرُ ... وابـــني أبـــو بكـــرٍ وبـــنتي عائـــشَةْ

لكـــنْ يـــزيدُ نـــاقصٌ عـــندي ففـــي ... ظلـــمِ الحـــسينِ ألـــفُ ألـــفِ فاحشَةْ

وقال

أغـــــيدُ ذو طـــــبٍّ وذو حكمـــــةٍ ... لـــو عـــادَ أحـــيا قلـــبيَ الطائحـــا

فَهْـــوَ طبـــيبٌ لفـــؤادي ولـــو ... شـــئتَ لأبـــدلتَ الطـــاءَ حـــا

وقال

قالـــتْ سُـــلَيْمى والمحـــبُّ ســـامعُ ... تعـــرفُ مـــا يقـــصرُ عـــنهُ الطامـــعُ

الـــشمسُ والـــبدرُ ووجهـــي الطالـــعُ ... فَهْـــيَ ثـــلاثٌ مـــا لهـــنَّ رابـــعُ

---

(١) وفي رواية: "داب" بلا همز.

(٢) في نسخة: ما.

وقال

جنكيَّةٌ شاهدْتُ عاشقَها[1] وهمْ بها في الجَوْرِ والضنكِ
قالتْ أما تعشقُ جنكيةً قلتُ كذا يا ليتني جنكي

وقال

يا شجرَ اللوزِ ترنحْ وملْ عجْباً فمنْ حقّكَ تختالُ
الزهرُ في جيدِكَ درُّ الحلي والماءُ في ساقِكَ خلخالُ

وقال

وشادن سألتُهُ يعربُ لي شيئاً وقصديَ امتحانُ لُبِّهِ
قالَ سَبَتْ ملاحتي عقولَكم فعلٌ وفاعلٌ ومفعولٌ بهِ

وقال

فرَّقَ الحبُّ بينَ عقلي وبيني فاستهلّتْ دموعُ عيني كعينِ
طالَ في أُنسهِ القصيرِ غرامي وَهْوَ بدرٌ وينجلي في حنينِ
بِيَ نارٌ مِنْ جنَّتيْ وجنتيهِ لهفَ قلبي على جنى الجنتينِ
حَسَنٌ قدرُهُ عليَّ فيا مَنْ في ملامي يزيد موتي حسيني

وقال

قيلَ لي إنَّ فلاناً لكُم في سوءِ نيَّهْ
قلتُ لا تخشَ علينا شوكةُ الوردِ قويَّهْ

وقال

ضامنُ مكسٍ قدْ أتى في خلعةٍ ملفّقهْ
فقلتُ ماذي خلعةٌ بل لعنةٌ مزوَّقهْ

وقال

قالَ ما تطلبُ قلْ لي قلتُ منْ ذي العرشِ حفْظَكْ
قالَ ما أرشقَ قدي قلتُ ما أرشقَ لَحْظَكْ

---

(١) في نسخة: عشاقها.

وقال

بـــــأبي أعــــورُ عـــــينٍ أنــــورٌ ... مـــثلُ بــدرِ الــتمِّ والــبدرُ بعــين
طـــرفُهُ الـــواحدُ عـــضبٌ ذكـــرٌ ... فلـــهُ في الحـــسنِ حـــظُّ الأنثـــيين

وقال

رأيـــتُ رشـــيقَ القـــدِّ أعـــورَ أنـــورا ... لـــهُ مقلـــة أغنـــتْهُ عـــنْ حـــسنِ ثِنتينِ
إذا قـــالَ غـــصنُ الـــبانِ أنتَ ابنُ قامتي ... يـــناديه بـــدرُ الـــتمِّ أنـــتَ أخو عيني

وقال

يـــا ربُّ بالهـــادي البـــشيرِ محمـــدٍ ... وبديـــنهِ العـــالي علـــى الأديـــانِ
ثـــبِّتْ علـــى الإســـلامِ قلـــبي واهدني ... للحـــقِّ وانـــصرني علـــى الـــشيطانِ

وقال وقد دخل على كاتب السر بعد عزله فرآه ينسخ مصحفًا

قـــد كـــنتَ كاتـــبَ سرٍّ خارجاً معهمْ ... فـــصرتَ كاتـــبَ وَحْـــيٍ داخلٍ الدارِ
كـــمْ قـــدْ كتـــبتَ عن الباغي لخشيتِه ... فـــالآنَ لا تخـــشَهُ واكـــتبْ عنِ الباري

وقال

اعـــــتدى الدهـــــرَ وادعـــــى ... أنَّـــــــهُ وافـــــقَ الخـــــبرْ
فـــــضةُ الغـــــشِّ للعفـــــي ... ف[1] وللعاهـــــــرِ الحجـــــرْ

وقال في ذم عبد له اسمه بهادر

بهـــادرُ عَـــبْدي لا بهـــاءٌ ولا درُّ ... فمـــا أنـــا حـــرٌّ يـــومَ قـــولي لهُ حرُّ
رقـــيقٌ غلـــيظُ القلـــبِ فـــظٌّ مقطّبٌ ... كـــثيرُ الأذى بـــادي الـــبذا جبلٌ وعرُ
نمـــومٌ نـــؤومٌ ماكـــرٌ غـــيرُ شـــاكرٍ ... حقـــودٌ نقـــودٌ مـــائنٌ خـــائنٌ غمـــرُ
ذكـــيٌّ دقـــيقُ الفكـــرِ منتـــبهٌ لمـــا ... عـــناهُ ولكـــنْ عـــندَ مـــصلحتي غـــرُّ
لئـــيمٌ مـــتى أحـــسنْ إلـــيهِ يكـــافني ... بـــسيئةٍ لم ينكـــتمْ عـــندَهُ ســـرُّ
ثقـــيلٌ خفـــيفُ الكـــفِّ فـــيما ائتمنْتُهُ ... وَثـــوبٌ علـــى مـــالي كما يثبُ النمرُ

(١) ويروى: "للحفيف" بدلاً من "للعفيف".

لــــهُ كــــلَّ يــــومٍ فتــــنةٌ أو شــــكايةٌ وقـــالٌ وقـــيلٌ هكـــذا ينـــسلُ الكفرُ

لـــه همـــةٌ في الأكـــلِ والـــشربِ مالها شـــبيةٌ ســـوى التـــنورِ أَكْلَـــبَهُ السجرُ

يكـــونُ الرغيفُ السخنُ والأكلُ حاضراً لـــه ويقـــولُ الجوع قدْ أعوزَ[1] الصبرُ

تـــساوى لديْـــهِ منيَ السخطُ والرضى فمـــا شـــقَّ إعراضـــي عليهِ ولا الهجرُ

إذا حـــضرَتْ أعـــيانُ قومـــي بمجلسي لـــهُ حـــركاتٌ ضمنها النقصُ والصغرُ

ويقـــصدُ في العـــيدينِ غيظـــي فكبدهُ ولبـــتُهُ ودي لهـــا الفطـــرُ والنحـــرُ

إذا قلـــتُ قُـــمْ بـــرِّدْ لـــنا الماءَ قال لي أتـــرغبُ في فـــاني[2] النعـــيمِ وتغتـــرُّ

وإنْ قلـــتُ تـــوبلْ خبـــزَنا قالَ لا تكنْ مخالـــفَ مـــا يعـــتادُهُ الـــسلفُ الصدرُ

وإنْ قلـــتُ طيِّبْ مطعمي قالَ قد مضتْ أماثـــلُ مـــا للأكـــلِ عـــندهمُ قَـــدْرُ

وإنْ قلـــتُ جمِّـــلْ بيتـــنا قـــالَ كلُّ ذا فـــضولٌ وفي أشـــباههِ لمْ يلـــقْ فكـــرُ

وإنْ قلـــتُ قـــدِّمْ للوضـــوءِ مـــسينيَ يقـــولُ إذا لمْ تـــستعنْ يكمـــلُ الطهرُ

وإنْ قلـــتُ قـــدِّمْ شـــربةَ المـــاءِ هزَّها بغـــيظ رجـــاءَ أنْ يكـــدِّرَها العكـــرُ

وإنْ قلـــتُ باشـــرْ بعـــضَ ما قدْ أهمَّني يقـــولُ إذا باشـــرْتَ أنـــتَ لكَ الأجرُ

وإنْ أقـــلْ امـــسحْ لي مداسي يقلْ صهٍ أتنـــصرُ إبليـــساً علـــيكَ ومـــا النصرُ

إنْ قلـــتُ قـــدِّم بغلـــتي قـــالَ بغلـــتي ويـــــشخرُ لي بالموصـــــليِّ ويَـــــزْوُرُ

وإنْ قلـــتُ صـــوِّلْ قمحَـــنا قالَ بدعةٌ أصـــوِّلَ للـــــهادي وأصـــحابهِ الـــبرُّ

وإنْ قلـــتُ في الحمـــامِ حـــكَّ رجيلتي يقـــولُ ليَ اخـــشوشِنْ فقـــد يُبتلى الحرُّ

وإنْ قلـــتُ حـــقّ الطيبِ قدمْهُ لي يقلْ قبـــيحٌ بمـــنْ لا يخْلُـــدُ الطـــيبُ والعطرُ

وإنْ قلـــتُ فاصـــقلْ ثم فـــرِّكْ ثيابـــنا يقـــولُ أتفـــريكٌ لِمَـــنْ خلفَـــهُ القبرُ

وإنْ قلـــتُ فانظر في الطعامِ هل استوى يقـــولُ افـــتقدتُ الملـــحَ فانكبتِ القدرُ

أقـــولُ فهـــلْ مِـــنْ أمسِ عندَكَ فضلةٌ يقـــولُ أضـــعتُ الحـــزمَ فاجتـــرَّهُ الهرُّ

---

(١) في نسخة: أحوج.

(٢) في نسخة: فإني، وهو خطأ.

وإنْ قلتُ مَنْ بالبابِ قالَ مفوِّلاً ... على البابِ عزرائيلُ وانفصلَ الأمرُ
وإنْ قلتُ ما الأخبارُ قالَ رديئةٌ ... سعَوا فيك أو ماتَ امرؤٌ أو غلا السعرُ
وإنْ قلتُ لا تسرقْ ففي المالِ ضيقةٌ ... يقولُ أحرْصاً بعدما ذهبَ العمرُ
وإنْ قلتُ لا تسألْ منَ الناسِ نفتضحْ ... يقولُ فموسى استطعمَ الناسَ والخضرُ
وإنْ قلتُ لا تفعلْ أو افعلْ يقولُ قد ... بُليتُ بكمْ حتى متى النهْيُ والأمرُ
وكم ضَحْوَةٍ كلفْتُه ردَّ لهفةٍ ... فغابَ ووافاني وقدْ أذَّنَ العصرُ
ثيابي وشاشي عندَهُ في إهانةٍ ... وطرحٍ ولا طيٌّ عناهُ ولا نَشْرُ
وحصري ماذا تحتها منْ زبالةٍ ... فيا كسرَ قلبي عندما تُرفعُ الحصرُ
وعنديَ قنديلٌ شبيةٌ بوجهِهِ ... إذا ما مضى الشهرانِ يُغْسَلُ والشهرُ
وعنْ أكثرِ الحاجاتِ يُكبرُ نفسَهُ ... فيا أقذرَ الغلمانِ ما أنتَ والكبرُ
أعبدٌ خسيسٌ أنتَ أمْ أنتَ زاهدٌ ... عظيمٌ كما كانَ ابنُ أدهمَ أو بشرُ
بماذا يدلُّ[1] الكلبُ لا أنا عاشقٌ ... ولا حسنُهُ باهٍ ولا ثغرُهُ درُّ
ولا وجهُهُ صبحٌ ولا شعرُهُ دجى ... ولا قدُّهُ غصنٌ ولا ريقُهُ خمرُ
لقيتُ نقيضَ القصدِ يومَ اشتريتُهُ ... رجوْتُ به نفعاً فمسنيَ الضرُّ
وقلتُ أسيرٌ أستريحُ برقِّهِ ... فأتعبني واللهِ وانقلبَ الأسرُ
ولوْ أنني عاملتُهُ برذيلَةٍ ... لقلتُ بعصياني يعاقبُني الدهرُ
فيا ليتَ شعري ذلكَ الثمنُ الذي ... به ابتعتُهُ هلْ أصلُهُ النردُ أم خمرُ
فلا تحسبوا هذا الذي قلتُ وصفَهُ ... غلطتُمْ فلا العشرانِ هذا ولا العشرُ
إذا بعتُهُ رَدُّوهُ بالعيبِ سرعةً ... عليَّ وللمبتاعِ في ردِّهِ العذرُ
ولو كانَ في إعتاقِهِ ليَ راحةٌ ... فعلتُ ولكنْ خيفتي يعظمُ الشرُّ
بعيدٌ خلاصي منهُ إلا بموتِهِ ... فقدْ سرَّني أنْ لا يطولَ لهُ عمرُ

---

(١) في نسخة: يذل.

وقال شهاب الدين بن ريان وكتب بهما له

محـــبُّ مـــولانا ومملـــوكُهُ جـــاءَ يُهنـــيكَ بـــشهرِ الـــصيامْ
وقـــدْ بـــدا مـــنكَ جفـــاءٌ ومـــا عوَّدَتـــنا إلا الـــوفا والـــسلامْ

فأجابه الشيخ زين الدين

لامَ ولـــو أنـــصفَ مـــا كـــانَ لامْ ألـــيسَ يخشى فـــتحَ بـــابِ الخصامْ
يعـــتبُ والـــذنبُ لـــهُ خطـــةٌ يحـــقُّ للعاقـــلِ مـــنها ابتـــسامْ
جـــافٍ ويبكـــي مِـــنْ جفائـــي كَمَنْ يـــشكو جـــراحاً وَهْـــوَ رامي السهامْ
يـــا أيُّهـــا المـــولى الـــذي لم يـــزلْ لـــهُ بقلـــبي مـــنزلٌ لا يـــرامْ
وافى كـــتابٌ مـــنكَ في ضـــمنه عـــتْبٌ لطـــيفٌ مـــثل ســـجع الحمامْ
يـــشكو انقطاعـــي في صـــيامٍ أتـــى حـــالَ الـــوبا في موضـــعِ المـــيمِ لامْ
لـــيسَ انقطاعـــي عـــنكَ بغـــضاً ولا نقـــصاً ولا رفـــضاً لحـــقِّ الـــذمامْ
وإنمـــا ربَّـــيْتُ غرســـاً لـــه نـــضارةٌ كـــنتُ بهـــا ذا اهـــتمامْ
وطالمـــا كلفـــتُ نفـــسي علـــى ضـــعفي لهـــذا الغـــرسِ درع المقـــامْ
فـــصلٌ وجـــاءَ الـــناسَ هـــذا الـــوبا فكـــدَّرَ العـــيشَ وأوهـــى العظـــامْ
اللهُ لي مِـــنْ وبـــأٍ قـــدْ ســـبا حـــامَ علـــى الـــروحِ ولـــلنفسِ سامْ
لـــو كانـــت الأحـــلامُ ناجَـــتْ بـــهِ عـــينَ امـــرئٍ لامتـــنعَتْ أنْ تـــنامْ
ســـلَّمَنا اللهُ وإيـــاكُم مِـــنْ شـــرِّه فَهْـــوَ ألـــدُّ الخـــصامْ
فـــإنْ حمانـــا اللهُ مـــن شـــرِّهِ وعـــدْتُ للعلـــمِ رجـــونا التـــئامْ
وإنْ يكـــنْ واللهُ يكفـــي ســـوى ذا فالـــدعا يـــنفعُ تحـــتَ الـــرجامْ
وكـــيف ينـــسى منـــصفٌ شـــيخَهُ أمْ كـــيفَ ينـــسى تَـــبَعَاً أو غـــلامْ
أنـــا الـــذي صـــاحبتُ قـــوماً ومـــا ثقلْـــتُ يـــوماً مـــثلَ بعـــضِ اللـــئامْ
وإنْ[1] أكـــنْ في حلـــبٍ كاســـداً إنَّ لـــسوقي في ســـواها مقـــامْ

---

(١) في نسخة: إن.

أهملني قومٌ وكمْ فاضلٍ ... يودُّ أنْ ينظرني في المنامْ
وما نفاقي وكسادي على ... قلبي ولا فكريَ منهُ لمامْ
وَمَنْ رمى الأشياءَ عنْ قلبه ... فعندهُ الوحدةُ مثلُ الزحامْ
قنعتُ والقنعُ يعزُّ الفتى ... لما رأيتُ الحرصَ ذلَّ الكرامْ
أصبحتُ لا أرجو مزيداً ولا ... أخافُ نقصاناً وتمَّ الكلامْ
هذا لساني يدَّعي لومَكُمْ ... وليس في قلبي عليكُمْ ملامْ
والعهدُ باقٍ ودعاني لكمْ ... وافٍ وودي دائمٌ والسلامْ

وكتب إليه الأديب المعمر علاء الدين أبي أيبك الدمشقي

صاح إنْ كنتَ في الغرامِ معيني ... خذْ لقلبي الأمانَ منْ ذي العيونِ
هي بيضٌ أم أعينُ البيضِ أمستْ ... تتصدَّى لصيدِ أُسْدِ العرينِ
رشقتني بأسهمٍ انتضتها ال ... هدْبُ عنْ قوسِ حاجبٍ مقرونِ
يا لها أعيناً تصولُ علينا ... بذكورٍ مؤنثاتِ الجفونِ
مَنْ لقلبي بسلمِها وَهْيَ تأتي ... كلَّ يومٍ مِنْ حربِها بفنونِ
ليسَ ترنو إلا لحَيْنِ محبٌّ ... مبتلى بالفراقِ في كلِّ حينِ
هيَّجتْهُ حمائمٌ قدْ شجاها ... فَقْدُ إلْفٍ[1] وفقدُهُ للقرينِ
كلما ناحَ جاوبتْهُ فكلٌّ ... ناحَ شجواً على قدودِ الغصونِ
وغزالٍ يغزو القلوبَ بجفنٍ ... كمْ لهُ بالبهاءِ منْ مفتونِ
ذي فؤادٍ أقسى من الصخرِ لكنْ ... عطفُهُ يلتوي بفرطِ اللينِ
سكنَ القلبَ حبُّهُ فَهْوَ سعدٌ ... طرفُهُ ذابحٌ بلا سكينِ
فاطرُ القلبِ كم سبى زمراً منْ ... شعراءَ بنورِ ذاكَ الجبينِ
سلسلَ الدمعَ فوقَ خدَّيَّ لما ... زادَ في حسنِه البديعِ جنوني
حَرَبي منْ مهفهفٍ بانَ صبري ... بينَ تحريكِ عطفِهِ والسكونِ

---

(١) في نسخة: ألف.

ضنَّ بالطيفِ يا أخيَّ وقدْ كا ... نَ بطيبِ الوصالِ غيرَ ضنينِ

ليسَ أعلى منْ التغزُّلِ فيهِ ... غيرَ مدحِ الإمامِ زينِ الدينِ

عمرَ بنِ الورديِّ ذي العلمِ والحلـ ... مِ وفرطِ التقى وحسنِ اليقينِ

سيِّدٌ سادَ في الأنامِ بأصلٍ ... طاهرٍ زانَهُ بعرضٍ مصونِ

ذي جلالٍ وهيبةٍ ووقارٍ ... وحيا زائدٍ وعقلٍ ودينِ(1)

أريحيٌّ بجودِها راحتاه ... بَخَّلَتْ صَوْبَ كلِّ غيثٍ هتونِ

غرَّقتنا يمينُهُ بالعطايا ... فَهْيَ تُدعى فينا من أهلِ اليمينِ

عالمٌ عاملٌ تقيٌّ نقيٌّ ... دائنٌ دائماً بدينٍ متينِ

ولهُ في نظامِهِ كلُّ معنى ... يُفْرِجُ الهمَّ عن حشا المحزونِ

نحوَهُ يا بضاعة الفكرِ سيري ... سوفَ تحظى(2) منه بخيرِ زبونِ

ما سمعنا يوماً بأشعرَ منْهُ ... منذُ عهدِ الأمينِ والمأمونِ

في التشابيهِ والتغزُّلِ والتضـ ... مينِ والمدحِ والرثا والمجونِ

أسكرَتْنا ألفاظُهُ فوقَ سكرِ الـ ... ناسِ بالعشقِ وابنةِ الزرجونِ

فَهْوَ كالمسكِ في الشميمِ وكالبد ... رِ بدا سافراً لنا في الدجونِ

فلريَّاهُ في المعاطين عرفٌ ... ولرؤياهُ بهجةٌ في العيونِ

يا إماماً جيدُ الزمانُ تحلَّى ... بَعْدَ عطلٍ منهُ بدُرٍّ ثمينِ

خذْ قصيداً أتى بها بحرُ فكرٍ ... لكَ أهدى منْ درِّهِ المكنونِ

ذات حُسْنٍ كالشمسِ نورُ سناها ... ليسَ يُطفى على طوالِ السنينِ

لا عجيبٌ تضوُّعُ المسكِ منها ... حينَ جاءَتْ إليكَ في كانونِ

غرَّبَتْ نفسَها لتحظى بتقبيـ ... لِ أياديكَ يا إمامَ الفنونِ

---

(١) في نسخة: رزين.

(٢) في نسخة: تحظي.

فاجتلـــيها[٣] وخُـــصَّني بـــسواها   وأجــزْ غــثٌ منطقــي بالــسمينِ[١]

كـــيْ يموتَ الحــسودُ عــند رواحي   كاســـباً لا بـــصفقة[٢] المغـــبونِ

وابـــقَ واســـلمْ ودمْ وعــشْ عمرَ لقما   نَ بـــنِ عـــادٍ ونـــوحَ ربٌّ الـــسفينِ

فأجابه عنها

مـــا يقـــولُ المفـــتونُ في المَفْـــتونِ   بـــينَ بـــيضِ الطـــلا وسودِ الجفونِ[٤]

بيَ مَـــنْ لا يقـــاسُ بالغـــصنِ حاشـــا   وذلـــكَ[٥] القـــدُّ مِـــنْ غضونِ الغصونِ

طـــرفُهُ مـــنهُ خمـــرةٌ وسِـــنانٌ   ســـنَّهُ فالمكـــروهُ في المـــسنونِ

هـــوَ ظَبْـــيٌ وإنْ رنـــا فَهْـــوَ لـــيثٌ   فلهـــذا كناسُـــهُ كالعـــرينِ

ألـــفُ القـــدِّ مـــنهُ جـــاءَتْ لقطـــعٍ   ولوصـــلٍ وحـــرفِ مـــدٍّ ولـــينِ

لـــيتَ واواً مِـــنْ صـــدغِهِ واوُ عطفٍ   لا لـــصرفٍ ولا لعقـــدِ الـــيمينِ

ولـــهُ نـــونُ حاجـــبٍ مـــستطيلٍ   بالمـــنايا وبـــالمنى مقـــرونِ

جَمَـــعَ العاشـــقينَ بالـــواوِ والـــنو   نِ ولم يـــسلموا لـــواوٍ ونـــونِ

كـــمْ لمخمـــورِ جفـــنِهِ مِـــنْ فـــتورٍ   ولخمَّـــارِ طـــرفِهِ مِـــنْ فـــنونِ

ولمعـــسولِ ريقِـــهِ مِـــنْ طـــريحٍ   ولعـــسَّالِ خـــدِّهِ[٦] مِـــنْ طعـــينِ

بعـــذارٍ كـــاللامِ والفـــمِ كالمـــي   مِ وتـــصفيفِ طـــرَّةٍ كالـــسينِ

قلـــتُ مـــا اللـــيلُ إذْ سجا قالَ شعري   قلـــتُ والفجـــرُ قـــالَ ضـــوءُ جبيني(*)

قلـــتُ مـــا المرســـلاتُ قـــالَ لحاظي   قـــالَ مـــا الـــذارياتُ قلتُ جفوني(*)

---

(١) ويروى: بالثمين.

(٢) ويروى: كصفقة.

(٣) في نسخة: فاستمعها.

(٤) في نسخة: العيون.

(٥) في نسخة: ذلك.

(٦) في نسخة: قده.

(*) هذا من فاحش الاقتباس من القرآن لوضعه فيما لا يليق به.

(هذا القدر الذي وجد منها)

وقال

مـــرتجة الأرداف طاويـــة الحـــشا يمـــوت بهـــا فـــوج ويحـــيى بهـــا فوج

رأى ســاقها إن ينــصر الخصر عندما رأى الــضعف لكن حال بينهما الموج(*)

وقال

يـــا تاجـــرَ الأقـــباعِ فـــرقُكَ دائـــرُ أبـــداً لِلَفْـــقِ فـــؤاديَ المغـــبونِ

أصـــبحْتَ قـــدَّ الـــشوقِ لكـــنْ جائراً والعاشـــقون لـــديكَ دونَ الـــدونِ

وقال

يـــا شـــاكياً مـــنْ دولـــةِ التـــركِ مَهْ واثـــبتْ ثـــبوتَ الجـــبلِ الراســـي

مـــا تفعـــلُ التـــركُ كمعـــشارِ مـــا قـــدْ فعـــلَ الحجـــاجُ بالـــناسِ

وقال في مقري

ووعـــدتَ أمـــسِ بـــأنْ تزورَ فلم تزر فغـــدوتُ مـــشغولَ الفـــؤادِ مـــشتتا

لِيَ مهجـــةٌ(٢) في الـــنازعاتِ وعـــبرةٌ في المرســـلاتِ وفكـــرةٌ في هـــلْ أتى(*)

وقال

أعـــورُ كالـــبدرِ لـــهُ مقلـــةٌ واحـــدةٌ قامَـــتْ مقـــامَ اثنـــتينِ

قـــدْ ســـرقَ الـــرقدةَ مِـــنْ ناظـــري وقـــالَ مـــا جئـــتُكَ إلا بعـــينِ

وقال

أغـــيدُ عـــبريٌّ لـــهُ عِمَـــةٌ حَكَـــتْ مـــنَ العـــشّاقِ ألـــوانا

لقـــدْ ســـبى بالـــنورِ شمـــسَ الضحى فهـــلْ أتـــى مِـــنْ آلِ عِمـــرانا

(*) هذا من فاحش الاقتباس من القرآن لوضعه فيما لا يليق به.

(٢) ويروى: لي ظفرة.

وقال

قــــــــيَّمةٌ مُحـــــــــسنةٌ   للعـــــــــالمينَ مُكْــــــــــرِمَهْ[1]

مخلـــــــــصةٌ حنـــــــــيفةٌ   ذلـــــكَ ديــــــنُ القــــــيِّمَهْ[2]

وقال

بي مِــــنْ بـــــناتِ المغــــلِ مَــــنْ   تفــــضحُ مــــني مـــا[3] اســـترْ

فكـــــيفَ حـــــالُ مــــسلمٍ   أصــــبحَ في أســــرِ التتـــــرْ

وقال

زنــــــارُ بــــــنتِ النــــصارى   فــــخٌّ لهــــا أيُّ فـــــخٍّ[4]

أرخـــــانيَ الــــــشدُّ مـــــنْهُ   وكثـــــرةُ الــــــشدِّ ترخـــــي

وقال

هويــــتُها عـــرجاءَ أمــــسى بِهــــا   دمــــي مـــنَ العيـــنينِ مـــسفوكا

وكلمـــا تخطـــو تـــبوسُ الثـــرى   أحـــــسبها تـــضربُ لي جـــوكا

وقال

عـــــــــــوّادةٌ عـــــــــــوادةٌ   بالـــــــــــنَّغَمِ الملـــــــــــذِّذِ

قالـــــــتْ لـــــــنا أوتارُهـــــــا   أنطقَـــــــــنا اللهُ الـــــــــذي

وقال

ســــــــــامرْتُ ســـــــــامريَّةً   كأنهـــــا الغــــــصنُ النـــــضرْ

بطـــــــــرفِها وقـــــــــدِّها   يُذكـــــر موســــى والخـــــضرْ

---

(١) ويروى: "للعاشقين" بدلاً من "للعالمين".

(٢) ويروى: "خفيفة" بدلاً من "حنيفة".

(٣) في نسخة: بتكرار (ما) وهو خطأ.

(٤) ويروى هذا الشطر: لقتلي متوخي.

وقال

مليحةٌ مسطولةٌ إنْ لمتُها فيما جرى
تقول كلُّ ظبيةٍ ترعى الحشيشَ الأخضرا

وقال

رغيفُ خبازكمْ قدْ حكى منْ وجهِهِ التدويرَ والحمرَهْ
إذا رأى ميزانَهُ المشتري قالَ هنا الميزانُ والزهرَهْ

وقال

أقولُ لبدرٍ سائرٍ بينَ أنجمٍ أأنتَ أميرُ المصرِ قال أميرُهُ
فقلتُ إذا ماتَ الكرامُ بأسرِهمْ أأنتَ تُميرُ الوفدَ قالَ أميرُهُ

وقال

قلتُ لِفَرّا فرى أديمي وزادَ صدّاً وطالَ هجرا
قدْ فرَّ صبري وفرَّ نومي فقال لما عشقتُ فرّا[1]

وقال

بائعةٌ كارتُها خلفَها كبيرةٌ خافضةٌ رافعَهْ
قلتُ لها إني امرؤٌ مشترٍ للوصلِ قالتْ وأنا بائعَهْ

وقال

رأيتُ في الفقهِ سؤالاً حسناً فرعاً على أصلَيْنِ قدْ تفرَّعا
قابضُ شيءٍ برضى مالكِهِ ويضمنُ القيمةَ والمثلَ معا

وقال

ربَّ فلاحٍ مليحٍ قال يا أهلَ الفتوَّهْ
ردفي أثقلَ خصري[3] فأعينوني بقوَّهْ[2]

---

(١) ويروى هذا البيت:

قد فرَّ نومي وفرَّ صبري فقال مذ عشقت فرّا.

(٢) هذا من فاحش الاقتباس من القرآن لوضعه فيما لا يليق به.

(٣) ويروى هذا الشطر: كفلي أضعف خصري.

وقال

رامَ ظـبيُ التـركِ وردًا ... قلـتُ أقـصرْ خـابَ ضـدَكْ
عـندكَ الـوردُ يقيـناً ... قـال قـاني قلـت خـدكْ

وقال

زادَ في ظلـم عاشـقيه حبـيبي ... فبحقـي إذا دعـوتُ علـيه
لا شـفى اللهُ خـصرَه مـن نحـول ... وأدامَ الذبـولَ في شـفتيه[1]
وأطـالَ ارتجـاجَ ردفَـيْه حـتى ... يُتْعـباهُ والكـسرُ في جفنـيه

وقال

للّـهِ درُّ أُنـاسٍ قـدْ مَـضَوا ولهـمْ ... نـشرٌ يفـوحُ كنـشرِ المـندلِ العَطِرِ
جمـالَ ذي الـدارِ كانوا في الحياةِ وهمْ ... بعـدَ المـماتِ جمـالُ الكتبِ والسِيَرِ

ومما ينسب إليه وقد اشتهر عند الخاصة والعامة ولكن لم يوجد في ديوانه

اعتـزلْ ذكـرَ الأغـاني والغـزلْ ... وقـلِ الفـصلَ وجانـبْ مَـنْ هزلْ
ودعِ الذكـرى لأيـامِ الـصِّبا ... فلأيـامِ الـصِّبا نجـمٌ أفـلْ
إنَّ أحلـى[3] عيـشة قـضيتُها ... ذهـبتْ لـذاتُها والإثمُ حـلْ
واتـركِ الغـادةَ لا تحفـلْ بهـا ... تُمْـسِ في عـزٍّ وتُـرْفَعْ وتُجَـلْ
والـهَ عـنْ آلـةِ لهـوٍ أطـربَتْ ... وعـنِ الأمـردِ مـرتجِّ الكفـلْ
إن تـبدّى تنكـسفْ شمـسُ الضّحى ... وإذا مـا مـاسَ يـزري بالأسـلْ
زادَ إنْ قـسناهُ بالـبدرِ سـنا ... وعدلـناهُ بغـصنٍ فاعـتدلْ
وافتكـرْ في منتهـى حـسنِ الـذي ... أنـتَ تهـواهُ تجـدْ أمـراً جلَـلْ
واتّـقِ اللهَ فـتقوى اللهِ مـا ... جـاوزَتْ قلـبَ امـرئٍ إلاّ وصلْ[2]

---

(١) ويروى هذا البيت:

لا شفى الله طرفه من سقام ... وأراني الذبول في شفتيه.

(٢) سقط هذا البيت والذي بعده من النسخة الكمالية.

(٣) في رواية: أهنا.

ليسَ مَنْ يقطعُ طرقاً بطلاً ... إنما مَنْ يتّقِ اللهَ البطلْ[1]

واهجرِ الخمرةَ إنْ كنتَ فتىً ... كيفَ يسعى في جنونٍ مَنْ عقلْ

صدِّقِ الشرعَ ولا تركنْ إلى ... رجلٍ يرصدُ بالليلِ زحلْ

حارتِ الأفكارُ في قدرةِ مَنْ ... قدْ هدانا سُبُلنا[2] عزَّ وجلْ

كتبَ الموتَ على الخلقِ فكمْ ... فلَّ مِنْ جَمْعٍ وأفنى مِنْ دُولْ

أينَ نمرودٌ وكنعانٌ ومَنْ ... ملكَ الأمرَ وولّى وعزَلْ[3]

أينَ عادٌ أينَ فرعونُ ومَنْ ... رفعَ الأهرامَ مَنْ يسمعْ يخلْ

أينَ مَنْ سادوا وشادوا وبنوا ... هلكَ الكلُّ ولمْ تغنِ القللْ

أينَ أربابُ الحجا أهلُ النّهى ... أينَ أهلُ العلمِ والقومُ الأُوَلْ

سيعيدُ اللهُ كلاً منهمُ ... وسيجزي فاعلاً ما قدْ فعلْ

أيْ بنيَّ اسمعْ وصايا جَمعتْ ... حكماً خُصَّتْ بها خيرُ المللْ

اطلبِ العلمَ ولا تكسلْ فما ... أبعدَ الخيرَ على أهلِ الكسلْ

واحتفلْ للفقهِ في الدينِ ولا ... تشتغلْ عنهُ بمالٍ أوْ خَوَلْ

واهجرِ النومَ وحصِّلْهُ فَمَنْ ... يعرفِ المطلوبَ يحقرْ ما بذلْ

لا تقلْ قدْ ذهبَتْ أربابُهُ ... كلُّ مَنْ سارَ على الدربِ وصلْ

في ازديادِ العلمِ إرغامُ العدى ... وجمالُ العلمِ يا صاحِ العملْ[4]

جمِّلِ المنطقَ بالنَّحوِ فَمَنْ ... يُحرمِ الإعرابَ في النطقِ اختبلْ

وانظمِ الشعرَ ولازمْ مذهبي ... فاطّراحُ الرفدِ في الدنيا أقلْ

فهْوَ عنوانٌ على الفضلِ وما ... أحسنَ الشعرَ إذا لمْ يُبتذلْ

ماتَ أهلُ الجودِ لم يبقَ سوى ... مُقرفٍ أوْ مَنْ على الأصلِ اتكلْ

أنا لا أختارُ تقبيلَ يدٍ ... قطعُها أجملُ مِنْ تلكَ القبلْ

---

(١) في بعض النسخ: بطل بالتنكير وهو خطأ.

(٢) في نسخة: سبلا.

(٣) في نسخة: "الأرض" بدلاً من "الأمر". وفي رواية يأتي هذا الشطر بالتبادل مع الشطر الذي تحته.

(٤) ويروى هذا الشطر: وجمال العلم إصلاح العمل.

إنْ تُجزْني عنْ مديحي صرتُ في ... رقِّها أوْ لا فيكفيني الخجلْ[1]
أعذبُ الألفاظِ قولي لكَ خذْ ... وأمرُّ القولِ قولي بِلَعَلْ
مُنْكُ كسرى عنهُ تغني كِسرةٌ ... وعنْ البحرِ ارتشافٌ بالوشلْ
اعتبرْ نحنُ قَسَمْنا بينَهُمْ ... تلقَهُ حقاً وبالحقِّ نَزَلْ
ليسَ ما يحوي الفتى عَنْ عزمهِ ... لا ولا ما فاتَ يوماً بالكسلْ
واتركِ الدنيا فمنْ عاداتها ... تخفضُ العالي وتعلي مَنْ سَفلْ
عيشةُ الزاهدِ في تحصيلها ... عيشةُ الجاهدِ بلْ هذا أزلْ
كم جهولٍ وهْوَ مثرٍ مكثرٌ ... وحكيمٍ ماتَ منها بالعللْ
كم شجاعٍ لم ينلْ منها غنى ... وجبانٍ نالَ غاياتِ الأملْ
فاتركِ الحيلةَ فيها واتّئدْ ... إنما الحيلةُ في تركِ الحيلْ
أيُّ كفٍّ لمْ تنلْ منها المنى ... فبلاها اللهُ منهُ بالشللْ
لا تقلْ أصلي وفصلي أبدا ... إنما أصلُ الفتى ما قدْ حصلْ
قدْ يسودُ المرءُ منْ غيرِ أبٍ ... وبحسنِ السبكِ قَدْ يُنْفى الزغلْ
وكذا الوردُ منَ الشوكِ وما ... ينبتُ النرجسُ إلا منْ بصلْ
معَ أني أحمَدُ اللهَ على ... نسبي إذْ بأبي بكرِ اتصلْ
قيمةُ الإنسانِ ما يحسِنُهُ ... أكثرَ الإنسانُ منهُ أوْ أقلْ
واكتمِ الأمرينِ فقراً وغنىً ... واكسبِ الفلسَ وحاسبْ مَنْ بَطَلْ[2]
وادّرعْ جداً وكداً واجتنبْ ... صحبةَ الحمقى وأربابِ البخلْ
بينَ تبذيرٍ وبخلٍ رتبةٌ ... فكلا هذينِ إنْ زادَ قتلْ
لا تخضْ في سبِّ ساداتٍ مضَوا ... إنهمْ ليسوا بأهلٍ للزللْ
وتغافلْ عنْ أمورٍ إنَّهُ ... لمْ يفزْ بالرفدِ إلاّ مَنْ غفلْ

---

(١) وفي رواية: "إن جزتني" بدلاً من "إن تجزني".

(٢) سقط هذا البيت والذي يليه من بعض النسخ.

ليسَ يخلو المرءُ عنْ ضدٍّ وإنْ ... حاولَ العزلةَ في رأسِ جبلْ[١]

غبْ عنِ النمّامِ واهجرْهُ فما ... بلّغَ المكروهَ إلاّ مَنْ نقلْ[٢]

دارِ جارَ الدارِ إنْ جارَ وإنْ ... لمْ تجدْ صبراً فما أحلى النقلْ

جانبِ السلطانَ واحذرْ بطشَهُ ... لا تخاصمْ مَنْ إذا قالَ فعلْ[٣]

لا تلِ الحكمَ وإنْ همْ سألوا ... رغبةً فيكَ وخالفْ مَنْ عذَلْ

إنَّ نصفَ الناسِ أعداءٌ لمَنْ ... وليَ الأحكامَ هذا إنْ عدلْ[٤]

فهْوَ كالمحبوسِ عنْ لذّاتهِ ... وكِلا كفّيْهِ في الحشرِ تُغَلْ

إنما النقصُ والاستثقالُ في ... لفظةِ القاضي لوعظٍ ومثلْ[٥]

لا توازى لذّةُ الحكمِ بما ... ذاقَها المرءُ إذا المرءُ[٦] انعزلْ

والولاياتُ وإنْ طابتْ لمَنْ ... ذاقَها فالسمُّ في ذاكَ العسلْ

نَصَبُ المنصبِ أوهى جَلَدي ... وعنائي منْ مداراةِ السفلْ

قصِّرِ الآمالَ في الدنيا تفزْ ... فدليلُ العقلِ تقصيرُ الأملْ

إنَّ مَنْ يطلبُهُ الموتُ على ... غرّةٍ منهُ جديرٌ بالوجلْ

غِبْ وزُرْ غِبّاً تزدْ حباً فمَنْ ... أكثرَ الترْدادَ أضناهُ المللْ

خذْ بنصلِ السيفِ واتركْ غِمْدَهُ ... واعتبرْ فضلَ الفتى دونَ الحللْ

حبُّكَ الأوطانَ عجزٌ ظاهرٌ ... فاغتربْ تلْقَ عنِ الأهلِ بدلْ

فبمكثِ الماءِ يبقى آسناً ... وسُرى البدرِ بهِ البدرُ اكتملْ

أيها العائبُ قولي عبثاً ... إنَّ طيبَ الوردِ مؤذٍ بالجُعَلْ

---

(١) هذا البيت غير موجود في بعض النسخ.

(٢) في نسخة: يصدر البيت بـ"مل" بدلاً من "غب".

(٣) في نسخة: "الظالم" بدلاً من "السلطان".

(٤) هذا البيت غير موجود في بعض النسخ.

(٥) هذا البيت غير موجود في بعض النسخ.

(٦) في نسخة: "المر" بدلاً من "المرء".

عدِّ عَنْ أسهمِ لفظي واستترْ لا يصيبنَّكَ سهمٌ مِنْ ثُعَلْ
لا يغرنَّكَ لينٌ مِن فتى إنَّ للحيّاتِ لينًا يُعتزَلْ
أنا مثلُ الماءِ سهلٌ سائغٌ ومتى سُخِّنَ آذى وقتلْ
أنا كالخيروزِ صعبٌ كسرُهُ وهْوَ لدْنٌ كيفما شئتَ انفتلْ[1]
غيرَ أني في زمانٍ مَنْ يكنْ فيهِ ذا مالٍ هوَ المولى الأجلْ
واجبٌ عندَ الورى إكرامُهُ وقليلُ المالِ فيهمْ يُستقلْ
كلُّ أهلِ العصرِ غمرٌ وأنا منهمُ فاتركْ تفاصيلَ الجملْ

وقال قبل موته بيومين

ولستُ أخافُ طاعوناً كغيري فما هوَ غيرُ إحدى الحسنيينِ
فإنْ متُّ استرحتُ من الأعادي وإنْ عشتُ اشتفتْ أذني وعيني

قد تم بحمد الله تعالى طبع هذا الديوان الفائق، الجامع لكل معنى رائق، عن نسخة جليلة بخط أحد الفضلاء المسمى أحمد بن مسعود النابلسي وهي نسخة مضبوطة بالحركات، حتى أنه ظهر من بعض ما رسم في حواشيها أن ناسخها كان شاعرًا أديبًا، فمن نظمه قوله:

آل يسار منهم غزال قلبي للقياه ذو افتقار
فخذ يمينًا عني عذولي فالقلب في جانب اليسار

كتب ذلك قبالة قول الناظم:

فقلت كل قلب يميل إلى اليسار

وقد بذل الجهد في تصحيحه، وترتيبه وتنقيحه، وذلك في مطبعة الجوانب[2] وكان ختام طبعه في غاية شهر ربيع الأول سنة ١٣٠٠ هـ.

---

(١) يروى: "لين" بدلاً من "لدن"، وفي نسخة يروى هذا البيت بالتبادل مع الذي قبله.

(٢) في نسخة: الجوائب.

فهرس مطالع الأبيات





هذا الكتاب

إن الناظر في هذا الديوان يجد أنة أمام بحر زاخر تتلاطم أمواجه ، وتقذف بالجواهر واللآلىء ، فما بين مقامة شريفة ، وحكمة لطيفة ، ومدح عفيف ، وفخر منيف ، ورثاء شريف ، وهجاء ظريف ، ومثل طريف ، ووصف يعاينه الكفيف .

كل ذلك بلفظ قد سهل في جزالة ، ورق في فخامة ، قد نادي بنداوته ، وصاح بفصاحته ؟، وبان بيانه ، وبلغ القلوب ببلاغته ، يصور دقيق المعاني ، ولطيف الفكر ، ويرسم ببديعة أجمل الصور . فدونك بستان الورد في شعر ابن الوردي فنزه فيه الطرف، وتنشق منه الشذا والعرف، لتعرف حقيقة الوصف، وأنه دون واحد من ألف.

إن المطلع على ديوان هذا الأديب البارع يجد نفسه أمام رجل أديب ناقد لبيب بارع ، فطن فقيه دين ذي اعتقاد حسن ، آخذ بحظه من جميع العلوم .

فديوانه لايخلو من النظرات البلاغية والنقدية الدالة على حسن أدبي نقدي ، وذوق مرهف .

وشعره دال على اتساع في مختلف العلوم العربية والدينية من نحو وصرف وفقه ولغة وعروض وإملاء ومعان وبيان وبديع ومنطق وتوحيد وكلام وحساب وجبر وهندسة وبلدان، وقد حاول محقق هذا الديوان تجلية ذلك كله وبيانه والكشف عن هذه الفنون البديعة في شعر ابن الوردي فضلا" عن العناية بضبطه وتحقيقه وشرحه .

و[illegible] الأستاذ الدكتور / عبد الحميد هنداوى أستاذ البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن بكلية [illegible] لوم – بجامعة القاهرة ، وأستاذ التحقيق ومناهج البحث ، وهو متخصص في مجال الدراسات اللغوية والبلاغية والنقدية في مختلف العلوم اللغوية والشرعية على السواء .